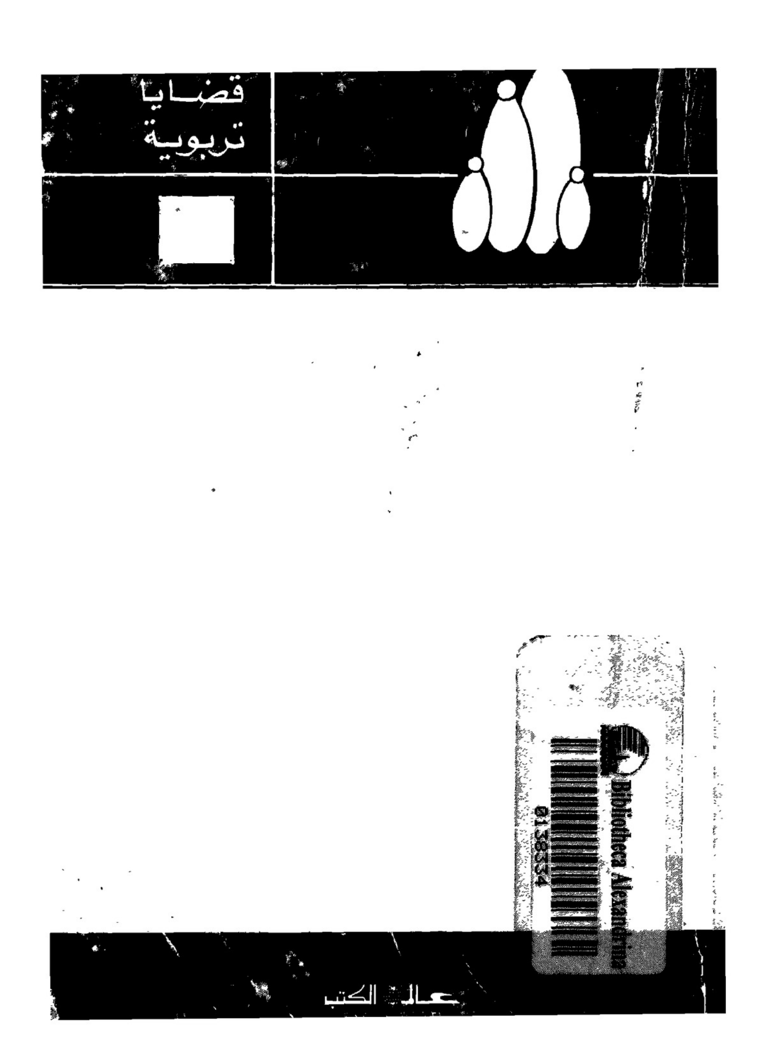

قضايا
تربوية
عالم الكتب

سلسلة قضايا تربوية – ٥

اشراف دكتور سعيد اسماعيل

# تبعيد العلماء
# عن تقريب الأمراء


للإمام الفقيه المحدث

## الملا على بن سلطان محمد القارى

المتوفى سنة ١٠١٤ هـ



دراسة وتحقيق

دكتور / محمد على المرصفى

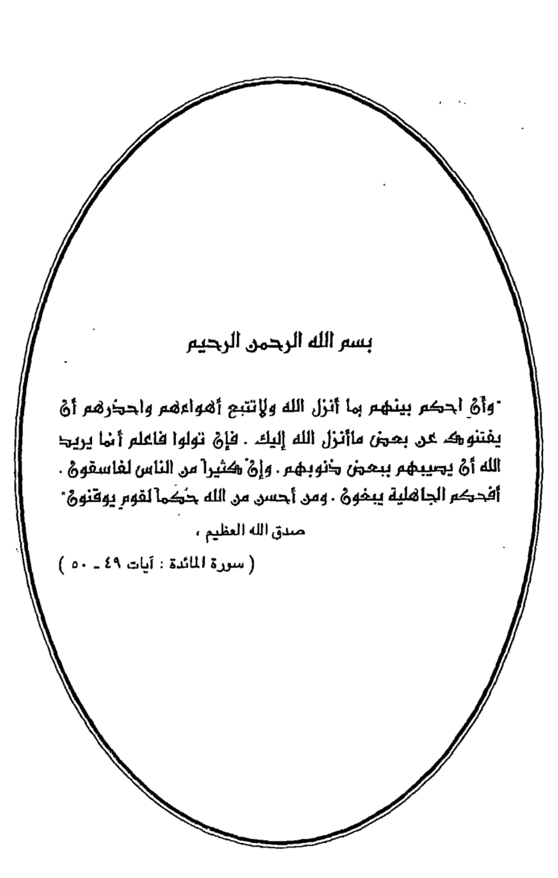
دكتوراه فلسفة فى التربية – جامعة ويلز – انجلترا

أستاذ أصول التربية المساعد بكلية التربية بطنطا

« محتويات القسم الأول ( الدراسة ) »

محتويات القسم الثاني ( النص المحقق )

الموضوع



بسم الله الرحمن الرحيم

"وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك . فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون"

صدق الله العظيم ،

( سورة المائدة : آيات ٤٩ ـ ٥٠ )

# تقديم

بقلم الدكتور سعيد اسماعيل على

إذا كان ( المال ) يقف في مقدمة الاغراءات التي يسيل لها لعاب الإنسان ويقاتل في سبيل الحصول عليها ، حيث ينظر اليه علي انه الطريق إلي تحقيق معظم ما يريد مما يباع ويشتري ، فإن ( السلطة ) تتفوق علي ( المال ) لأنها تستطيع أن تأتي به ، وتستطيع أن تمنعه عن الغير وتستولي عليه . والمال صورة من صور القوة ، لكنه لا يستغرقها كلها . و( السلطة ) تعبير عن القوة ، وهي تتدرج فيما تحمله من ( قوة ) بمقدار ما يكون بيدها من صلاحيات تشريعية ، ولذلك إرتبطت دائما بـ (الحكم ) والجهاز الحاكم .

لكن هناك صورا أخري من ( القوة ) لا تستند إلي سلطة تشريع وحكم ، ومع ذلك فلربما فاقت الكثير من مراكز السلطة ، والتاريخ يحفظ لنا أمثلة كثيرة عن دور نساء جميلات استطعن أن يشكلن مراكز تأثير علي حكام ، وخاصة في نظم الحكم التي تقوم علي الإرادة الفردية.

ونستطيع أن نؤكد هنا بغير مغالاة أن ( العلم ) هو أيضا يشكل (قوة ) تجعل منه ( سلطة ) رفيعة المستوي ، لكن المشكلة الكؤود التي تقف أمام هذه الصورة من صور السلطة ، أنها تفتقد إلي سلاحين هامين : أولهما المال ، وثانيهما : الصلاحيات القانونية ، مما يجعل حامل العلم في بعض الأحيان يتحرق شوقاً إلي هذين السلاحين . وفي

كثير من الأحيان ، نجد ( الحاكم ) - وسبحان الله - يفتقد صور (العلم) ، أكثر صور القوة تقديرا و إحتراما ، علي الرغم من أنه يضع يده علي الصورتين الأخريتين : المال والتشريع ؛ من هنا يحرص نفر من الحكام علي ان يقربوا اليهم نفرا من العلماء ، ربما ليستنيروا بالفعل بجهودهم ويستعينوا بآرائهم ، وربما لمجرد ( التزين ) واستكمال الصورة ، كمثل ذلك الثري التاجر الذي يروي عنه في التاريخ الإسلامي من أنه ذهب إلي السوق فوجد واحدا يرغب في شراء كتاب فعرض التاجر ثمناً أعلي وأخذ يزايد حتي وصل إلي ثمن أعجز الآخر ، فلما سأله : لماذا هذا الإلحاح علي شراء ذلك الكتاب بالذات ؟ أجاب بأن له مكتبة في منزله بها مكان خال ، وهذا الكتاب بحجمه ، هو المناسب لشغل الفراغ رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب ، وكان ذلك في عصر كان العلم فيه قيمة من القيم العليا ، فأصبح ( التعالم ) هدفا من الأهداف الكبري لكثير من الناس وخاصة اصحاب المال الذين افتقدوا العلم .

وهكذا شاهدنا سعي حكام الي تقريب العلماء ، وشهدنا في الوقت نفسه سعيا من عدد من العلماء ليتقربوا إلي الحكام .. كل يريد ان يحصل علي ما يفتقده ليستكمل صور (القوة) .

واذا كان المنطق النظري قد يبرر هذا التقريب حتي تقوم أعمال الحاكم علي آراء وأفكار العلماء ولا تكون نتيجة تفكير قاصر او نزوة وهوي ، وكذلك اتاحة الفرصة للعلماء ان يطبقوا ما يفكرون فيه وما يصلون اليه من آراء ويوفروا لها الدعم المالي والمساندة التشريعية ، الا ان هناك منطقا آخر هو المنطق العلمي الذي يكشف عن عشرات من الثغرات والاخطاء القاتلة التي يمكن ان يفرزها الارتباط بين السلطة والعالم:

فالجمهرة الكبري من اصحاب السلطان لا تنفتح آذانهم الا لما يحبون ان يسمعوه ، وتزور - غالبا - عن سماع ما يجب ان يسمعوه ، بحيث يتحول دور العالم إلي دور المبرر والمحلل . وهناك علماء ، عندما يشعرون بذلك ، يحكمهم منطق ( المسايرة ) ، فيبررون ويحللون ويرتكبون بذلك جريمة كبري ، ذلك لانهم يوفرون للحاكم (غطاء علميا ) لما يفعلون فتكتسب أعمالهم قوة وشرعية . هذا بطبيعة الحال عندما تكون هذه الأعمال في غير صالح الأمة .

كذلك فان القرب من أصحاب السلطان يشعر العالم بأنه قد أصبح جزءا من الجهاز الحاكم مما يقتضي منه ان يتخذ موقف الدفاع عما يأتيه هذا الجهاز حتي ولو كان خطأ ، مستخدما في ذلك مهاراته الفكرية وأسانيده العلمية وبراهينه المنطقية ، خاصة وأن استمرار المعية في مناخ الاسترخاء الإقتصادي بالقرب من السلطة ، والرفاهية وعلو المركز ، تؤدي في كثير من الأحيان الي نوع من الإنفصال الشبكي بين العالم وبين حركة الواقع بمشكلاتها وتموجاتها ونبضها .

من هنا حذر البعض من العلماء من ان يعملوا مع أصحاب السلطان ، من هؤلاء ، هذا الفقيه النابه (علي القاري) الذي الف كتابا مخصوصاً عن أهمية (تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء ) مشيرا الي أهمية وضرورة ( البعد ) عن مواقع السلطة والحكم .

ولعمري ، فان موضوع هذا الكتاب ، علي الرغم من مرور الزمن الطويل علي تأليفه ، يكاد أن يكون - كما يقال- قضية الساعة ، والتي اصطلح علي تسميتها حاليا بـ قضية العلاقة بين المثقف والسلطة .

ولا شك ان اخراج الكتاب من صورته (الخطية ) الي هذه

الصورة المنشورة المحققة التي بين يد القاريء يعد جهدا علميا عالي المستوي ، وخطوة علمية من تلك الخطوات التي تترك بصمة واضحة علي طريق البحث قام يها د. محمد علي المرصفي باقتدار لا يسعنا معه الا ان نهنئه ونشد علي يده تقديراً وإعتزازاً.

تبقي بعد ذلك قضية هامة ؛ ربما يري البعض انه ليس من الجائز ان نثيرها في هذا المكان ، لكني استسمح القاريء في أن أشغله بها لأنني حين أكتب ، تلح علي ذهني دائما مسؤولية ( التأريخ ) ، فمثل هذه القضية ان لم أثرها هنا ، فلن يجد لها أحد مظهرا وثائقيا يمكنه ان يضمه الي وقائع تاريخ الفكر التربوي في وطننا العربي .

فاذا كان موضوع الكتاب ، كما أشرنا هو عن علاقة المثقف بالسلطة ، فهل يدخل في مجالات اصول التربية ؟ان القاريء بالطبع لا يهمه كثيرا مثل هذا التصنيف الذي يهمنا نحن الباحثين : هل يقع في دائرة ( المناهج ) ام ( المقارنة ) ام (اصول التربيه) أم في مجال آخر غير تربوي .. وهكذا؟ كل ما يهم القاريء هو :هل هو موضوع جدير بالقراءة ام لا ؟

ومع ذلك فان تعرف القاريء علي (هوية المجال ) الذي تنتمي اليه الدراسة ، هام في عمليات ( الفهم ) و (التفسير) وادراك المعاني والدلالات.

أما الرأي الذي أذهب اليه ، فهو ان هذه الدراسة تقع في عقر دائرة الدراسات الأصولية التربوية من زاويتين :

الزاوية الأولي : انها جهد من الجهود العلمية التي تدخل في باب

(التربية الإسلامية) لأنها عمل عالم مسلم قام به في العصور الإسلامية وانطلق من منطلق اصولي ديني وهوالإستناد الى القرآن الكريم والسنة النبوية فعالج موضوعات تتصل بالعلم وطلبه واهميته وأهله وتقديرهم وشروط طلبه وشروط توظيفه واستخدامه ، وما الي هذا وذاك من مسائل أساسية فى عمليتي التعلم والتعليم . والتربية الإسلامية من حيث المباديء والاسس والفلسفة والأهداف ، من مجالات دراسة اصول التربية .

الزاوية الثانية ، هي ان الدراسة ، اذ تتناول علاقة المفكرين بالحكام ، فإنما تتصدي لقضية مجتمعية كبري تتعلق بوظيفة المثقف ودور الثقافة في المجتمع ، وما الشروط الصحية التي يجب ان تحكم العلاقة بين المفكر والحاكم .

وأرجو ألا أصدم القاريء اذا همست في اذنه : هل تصدق ان هناك من قال بأن هذه الدراسة لا تدخل في اصول التربية ؟

أعلم علم اليقين ان الحديث عن النفس مرذول ، لكنني مضطر الي هذا عندما اقول للقاريء ان كاتب هذه السطور ، اذ صنف هذه الدراسة في دراسات اصول التربية ، انما استند لا الي ( موقع وظيفي ) فقط، وانما -كذلك - الي (تاريخ علمي) ، فكاتب هذه السطور درس الفلسفة بفروعها المختلفة : يونانية ، واسلامية ومسيحية وغربية وشرقية وتصوف وعلم الكلام ، وعلوم النفس المتعددة ، وعلم الإجتماع منذ إنتهائه من الثانوية العامة في النصف الأول من الخمسينات ، وكل هذه الدراسات التي تشكل المصادر الحقيقية لأصول التربية ، ثم توجت هذه المسيرة برسالة ماچستير في فلسفة التربية ورسالة دكتوراة عن

الفكر التربوي العربي .

ولأن الكتاب العلمي ساحة فكر وميدان علم ، لا يتسع لغير الفكر ولغير العلم ، فلا أريد أن أذهب الي ما هو اكثر من هذا . ولا أستطيع إلا ان أوكد مرة أخري ان القاريء الذي سيقرأ فعلا كل سطور الكتاب، سيلمس مقدار الجهد الذي بذله المحقق الدكتور محمد علي المرصفي في قراءة المخطوط ، وفي تحقيقه والتعليق عليه وتخريج الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ومختلف التواريخ والشخصيات ، فضلا عن الشرح والتحليل ، كما لا بد لي أن أوكد للمحقق نفسه : انك خطوت خطوة لم يسبقك اليها باحث من باحثي اصول التربية في مصر، فجزاك الله عنا خير الجزاء : «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » .

## القسم الأول : الدراسة

### مقدمة الدراسة :

تحتل التربية الاسلامية فى الظروف الراهنة مكانة متميزة ، حيث بدأت الساحة التربوية تحظى باجتهادات الكثير من المتخصصين ، الأمر الذى أثرى - الى حد ما - المكتبة العربية والاسلامية بالفكر التربوى من منظور اسلامى .

وليس هنا مجال التقييم لطبيعة هذه الأبحاث فى مجال التربية الاسلامية ، من حيث توجهاتها وفلسفتها ، وأهدافها ومكانتها العلمية ، الا أنه تجدر الاشارة أن المكتبة التربوية الاسلامية تخلو - على حد علم الباحث - من دراسة الفكر التربوى الاسلامى من منظور تحقيق المخطوطات باستثناء دراسة الأهوانى .

هذا واذا كانت التربية الاسلامية فى حد ذاتها ، تستوجب احاطة بالمنهج الاستنباطى الذى يساعد على استنتاج الفكر التربوى من النصوص سواء القرآنية منها أو السنة النبوية ، إضافة الى الاحاطة بعلوم القرآن الكريم وعلوم الحديث والتاريخ الاسلامى وأصول الفقه ، اذا كان ذلك كذلك فان الدراسة للآراء التربوية من خلال تحقيق المخطوطات تستوجب بالاضافة الى ما سبق ، الأمانه والصبر ، والتمرس بقراءة المخطوطات وتخريج الآيات والأحاديث ، وترجمة الأعلام ، والضبط للكلمات المحرفة والمصحفة ، والتبويب للمخطوطة ، والربط بين أفكارها بعناوين تعبر عما ورد بها .

هذا ولا يفوتنا أن نؤكد أن التحقيق يستوجب أيضا الحنكة فى اللغة ، وحبكة السياق ، وتناسق العبارات ... الخ .

والباحث وهو يقدم لتحقيق هذه المخطوطة يود أن يشير الى أن كشف

الفكر التربوى من خلال تحقيق المخطوطات ، يثرى المكتبة التربوية الاسلامية ، ويفيد فى تنويع الانتاج العلمى من منظور اسلامى ، خصوصا وأن هذا الاتجاه يأتى نزولا على رغبة أستاذ لى فى التربية ، له من طول الباع وعلو الهمة فى مجال التربية عموما ، والتربية الاسلامية على وجه الخصوص الكثير ، بل واليه تعزى باكورة أول انتاج علمى فى مجال التربية الاسلامية ، والذى تتالت بعده الاقلام باحثة ومنقبة كل على طريقته ، أقول ان تحقيقى لتلك المخطوطة جاء استجابة لإشارة وإلماحة من أستاذى الفاضل المربى القدير الأستاذ الدكتور / سعيد اسماعيل على – حفظه الله – حينما جمعتنا به جلسة علمية تطرقنا فيها الى الحديث عن حال التربية عموما والتربية الاسلامية على وجه الخصوص ، فكان أن أشار سيادته بأهمية التوجه نحو التحقيق ، وكشف النقاب عن الفكر التربوى الاسلامى المطمور ، والذى يحتاج الى الجهد الكثير . فكان أن استخرت الله رب العالمين ، وشمرت عن ساعد الجد ، ولا ادعى أننى وجدت المجال أمامى سهلا أو ميسورا ، ذلك أن ميدان التحقيق ، عالم بذاته ، والبحث عن المخطوطات يحتاج إلى الكثير من الجهد إداريا ( الجهات المسئولة ) وفنيا (سهولة التصوير وخلافه ) .

وعلى وجه العموم فلا أخالنى فى حاجة الى الاشارة إلى صعوبة التحقيق ، أو التهويل من أمره ، انما كل عمل يدل على نفسه بآثاره ، وحسبى – والله أعلم – أن أقول أن المخطوطة التى نحن بصدد تحقيقها استغرقت وقتا وجهدا كبيرين ، خصوصا فى عملية ضبط وتدقيق بعض كلماتها المحرفة والمصحفة وتخريج آيات القرآن والأحاديث والترجمة للأعلام ....الخ.

وحسبى فى هذا العمل أنه باكورة أرجو الله تعالى أن تكون علامة على الطريق ، ولبنة فى بناء ، وبداية يتلوها جهد المخلصين من متخصصى

التربية عموما والتربية الاسلامية على وجه الخصوص.

## أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من اشتمال هذه المخطوطة « تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء من اشتمالها على الكثير من الآراء التربوية التى تدور حول :

* العلم وفضله . * أقسام العلوم . * التربية الخلقية .
* التربية العقلية . * التربية السياسية.

وقد جاءت هذه الآراء غاية فى الدقة ، خصوصا وأنها تتوافق فى كثير مما جاء بها مع ما يعانيه العلماء فى هذا العصر ، من غربة ، سواء غربة ذاتيه أو غربة مكانية . هذا اضافة الى أن تلك الآراء التربوية تلتقى فى كثير منها مع ظروف المجتمع المعاصر ، بعد أن أستشرت صفات وسمات أخلاقية هى أبعد ما تكون عن المنهج الاسلامى ، كما أنها أبعد ما تكون أن يتصف بها عالم حصيف أو مفكر لبيب . ويكفى ما نشهده فى الآونة الأخيرة من صفات النفاق وتملق الحكام استجداء لمال او استمطارا لمكانة أو منزلة اجتماعية .

## الهدف من الدراسة :

تهدف الدراسة الى :

* إبراز الآراء التربوية للعلامة على بن سلطان محمد القارى الحنفى المكى (.... – ١٠١٤ هـ ) من خلال تحقيق مخطوطته : « تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء » .
* الاستفادة من إيجابيات تلك الآراء التربوية فى حياتنا المعاصرة كلما

أمكن ذلك .

* الكشف عن أهمية التحقيق فى اثراء الفكر التربوى من المنظور الاسلامى.

## التساؤلات التى ستجيب عنها الدراسة :

لاشك أننا محاصرون فى الآونة الأخيرة بهجمة شرسة ، مفادها أن المنهج السلفى غير جدير بمواكبة الحياة المعاصرة ، ولما كانت طبيعة التاريخ تؤكد أنه لن يكتب لأمة من الأمم الشخصية المتميزة والقدرة على مواكبة التقدم والرقى إلا بالعودة إلى الذات قبل كل شىء ، ولما كان أحد طرق العودة إلى الذات تكمن فى الكشف عن الفكر التربوى الاسلامى لمفكرين مسلمين ، وبعث آرائهم المطمورة فى بطون المخطوطات والمراجع ، والتى استندت فى الكثير منها إلى : الكتاب والسنة والتاريخ الاسلامى ، لما كان الحال كذلك فقد نشأت الحاجة إلى دراسة الآراء التربوية لهؤلاء المفكرين من خلال مخطوطاتهم. ولعل هذا التوجه يسهم – على معنى من المعانى – فى مواجهة الغزو الفكرى التربوى من بيئات غير اسلامية.

فى ضوء ما تقدم يمكن صياغة تساؤلات الدراسة على الوجه التالى :

* ما المقومات التى أثرت فى الآراء التربوية للعلامة على بن سلطان محمد القارى وانعكست فى فكره التربوى من خلال مخطوطته : « تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء » ؟.
* ما آراؤه حول التربية العقلية . ؟
* ما نظرته حول التربية السياسية . ؟
* ما رأيه فى التربية الخلقيه والروحية ؟.

* ما مفهومه حول العلم وفضله وأقسامه ؟.
* ما آداب المعلم وما العلاقه بينه وبين المتعلم ؟.

## حدود الدراسة :

تقتصر الدراسة على :

* مناقشة الآراء التربوية للعلامة : على بن سلطان محمد القارى من خلال مخطوطته : « تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء »
* التعليق والربط بالواقع المعاصر كلما أمكن ذلك .
* الالتزام بمنهج التحقيق لنصوص المخطوطة من جميع الوجوه.

## منهج الدراسة :

ستستخدم الدراسة :

* المنهج التاريخى فيما يرتبط بالمقومات التى أثرت فى الفكر والآراء التربوية للعلامة على بن سلطان محمد القارى.
* المنهج المستخدم فى تحقيق المخطوطات والنصوص ، حتى يتسنى تحقيق المخطوطة التى بين أيدينا « تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء ».

## الدراسات السابقة :

### الدراسة الأولى :

دراسة عبد الله على الملا ، بعنوان : « كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود للإمام الفقيه الملا على بن سلطان محمد

القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ . دراسة وتحقيق . (١) »

وتقع الدراسة فى جزئين يتناول الجزء الأول دراسة لكتاب « رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود » . والكتاب ينسب لمؤلفه : على بن سلطان محمد القارى الذى رد به على : محى الدين بن عربى فى كتابه « فصوص الحكم » (٢) والذى ادعى فيه : وحدة الوجود .

أما الجزء الثانى من الدراسة : فقد قصره الباحث على التحقيق حيث قام بمقارنة النسخ وضبط الجمل والتعليق والتهميش عليها بما يضمن سلامة النصوص ويخرجه فى قالب علمى صحيح.

المنهج المستخدم فى تلك الدراسة :

اعتمد الباحث على استخدام :

* المنهج التاريخى فيما يرتبط بوصف الظروف السياسية والدينية والاجتماعية التى واكبت عصر العلامة على بن سلطان محمد القارى.
* المنهج المتبع فى تحقيق المخطوطات والنصوص.

---

(١) عبد الله على الملا . « كتاب رد الفصوص المسمى مرتبه الوجود ومنزلة الشهود للامام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ دراسة وتحقيق » رسالة دكتوراه » غير منشورة جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية الدعوة وأصول الدين . قسم العقيدة ١٤٠٩ هـ .

(٢) هكذا سماه محى الدين بن عربى حيث أنه قسم الكتاب إلى فصوص بدلا من أن يقسمه الى فصول.

أهم النتائج التى توصلت اليها الدراسة :

* تحقيق كتاب « رد الفصوص المسمى مرتبه الوجود ومنزلة الشهود » . لعلى بن سلطان محمد القارى.
* اثبات أن محى الدين بن عربى يقول بوحدة الوجود مهما بدا عنده مما قد يفيد خلاف ذلك .
* الرد على مزاعم من يتوهمون من فلاسفة المتصوفة أن ابن عربى لم يقل بوحدة الوجود .

هذا وتجدر الاشارة إلى أن الباحث قد استفاد من تلك الدراسة خصوصا فيما يرتبط بالمقومات السياسية فى عصر على بن سلطان محمد القارى وأيضا الترجمة له.

### الدراسة الثانية :

دراسة أحمد عبد الرازق الكبيسى بعنوان : « فصول مهمة فى حصول المتمة » تحقيق ودراسة . (١)

وقد تناولت الدراسة فى جزئها الأول بيان أهمية الصلاة ومكانتها ، ومميزات الرسالة محل التحقيق ، ولمحة عن المؤلف ونسبة الكتاب إليه والتحقق من اسم الكتاب والتعريف بالنسخ المخطوطة ووصفها ومصادر المؤلف.

أما الجزء الثانى من الدراسة فقد تضمن التحقيق لنصوص الكتاب ، مشتملا على حكم الاعتدال والطمأنينة فى الصلاة مع تفصيل آراء العلماء

---

(١) أحمد عبد الرازق الكبيسى « فصول مهمة فى حصول المتعة » للامام العلامة على بن سلطان القارى المكي ، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ، تحقيق ، مطابع الصفا بمكة : ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩م.

وأدلتهم ووجوب متابعة الإمام ومعرفة آداب السجود وهيئته.

وعلى وجه العموم فقد تناولت موضوعات النص خمسة فصول :

**الفصل الأول** : يعالج مرضى ترك الاعتدال والطمأنينة فى الصلاة.

**الفصل الثانى** : يعالج أهمية متابعة الامام وخطورة مسابقته.

**الفصل الثالث** : يعالج ما يقع فيه كثير من الناس من مرض التفريط فى صفة السجود وهيئته وآدابه.

**الفصل الرابع** : يعالج ما يقع فيه بعض الناس من مرض مسابقة الامام فى السلام.

**الفصل الخامس** : يعالج المرض العضال وهو : تحسين الظاهر باصلاح الطاعات وتخبيث الباطن بمراعاة المراءاة وهو المرض المهلك الذى يفنى ويهلك.

المنهج المستخدم فى الدراسة : لم ينص الباحث فى دراسته على المنهج المستخدم الا أننا استنتجنا أنه استخدم فى دراسته منهج التحقيق ليصل من ورائه الى تحقيق كتاب « فصول مهمة فى حصول المتمة » لعلى بن سلطان محمد القارى.

أهم النتائج التى توصلت اليها الدراسة :

لم يحدد الباحث فى دراسة نتائج بعينها إلا أننا نستطيع أنه نؤكد أنه بإخراجه هذا الكتاب على صورته التى تمت يعتبر فى حد ذاته انتاجا ثريا وابرازاً لقضية معاصرة يقع فيها كثير من المسلمين خصوصا ممن يتظاهرون ويراءون بصلاتهم والله سبحانه يقول الحق وهو يهدى السبيل .

هذا ولا ندعى أننا استفدنا كثيرا من تلك الدراسة ، خصوصا وأنها

خلت من الحديث عن جانب مهم من حياة على القارى وعمره وهو الجانب السياسى سواء فى هراة أو فى مكة المكرمة ۰ وعموما فلا أخالنى فى حاجة أن أنوه أننا بشكل أو بآخر استفدنا من تلك الدراسة على الأقل على أنها عمل له أصوله ومنهجه۰

## الصعوبات التى واجهت الباحث :

من منطلق أن المحقق لا بد أن يتصف بسمات منها :

* الاشفاق والحذر وليس الجرأة فى غير دقة۰
* الأمانة والصبر والمثابرة۰
* اليقظة العلمية ۰
* بذل الجهد فى سخاء ۰

من هذا المنطلق لم يدخر الباحث جهدا ، فى سبيل البحث والتفتيش فى المكتبات الكبرى ، من أجل الحصول على نص مخطوطى يكون مناسبا للدراسة والتحقيق ، ويتحقق من خلاله الفائدة التربوية – كلما أمكن ذلك – خصوصا فى ظروفنا الراهنة ۰ وبتوفيق من الله تعالى اهتدى الباحث بعد جهد جهيد الى هذه المخطوطة التى نحن بصدد تحقيقها :

« تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء » للعلامة على بن سلطان محمد القارى ۰ وكان ذلك بالمكتبة الأحمدية بمسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا۰

هذا وقد قام الباحث بقراءة المخطوطة قراءة أولية ، ماوسعه الجهد فى فك الكثير من ألفاظها ، التى لم تكن يسيرة القراءة ۰ ولما شعر الباحث بأهمية ما احتوته المخطوطة من آراء وأفكار تربوية ، استخار الله تعالى أن يعزم على تحقيقها۰

ولكن الأمر لم يكن ميسرا ، وكان لا بد من استئذان الجهات الرسمية بوزارة الأوقاف بالقاهرة ، الأمر الذى استغرق وقتا وجهدا ورجاء الى درجة لا توصف . ولما سنحت الفرصة بالإذن فى تصوير المخطوطة ، كان على الباحث أن يفتش على نسخ أخرى ، ورغم أن الباحث قد أعياه الجهد فى دور المخطوطات بالقاهرة ومنها :

* الهيئة العامة للكتاب ( دار الكتب سابقا ).
* مكتبة الجامع الأزهر.
* دار المخطوطات بالقاهرة .
* مركز البحث العلمى وإحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
* مكتبة الملك عبد العزيز بجدة.
* المكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية بالمدينة .
* مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

ومع ذلك لم يهتد الباحث الى نسخة مماثلة لتلك المخطوطة ، اللهم عدا رسائل ومخطوطات أخرى لنفس المؤلف.

ورب سائل يقول : إذن فلماذا الاصرار على تلك المخطوطة ؟

وجوابنا أننا بفضل من الله اهتدينا الى ثلاثة كتب ، عثرنا بها على كم لا بأس به من نصوص المخطوطة التى بين أيدينا ، ولما كانت منهجية التحقيق تجيز الرجوع الى « طائفة منسوبة من نصوص الكتاب مضمنة فى كتاب آخر »[1] فقد يسر الله للباحث هذا المنهج من خلال ثلاثة كتب :

---

(١) عبد السلام هارون . تحقيق النصوص ونشرها . مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع . ط ٢ ، القاهرة . ( ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م ) ص ٤٠.

* إحياء علوم الدين للغزالي.
* منهج البلاغة لعلى بن أبى طالب.
* العقد الفريد لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي.

هذا إضافة إلي ماتميزت به تلك المخطوطة من :

* الاستناد إلى الكتاب والسنة فى الاستدلال.
* التحدث عن التزام العالم وتعففه.
* الاشادة بالعلم والعلماء.
* الحديث عن العقل ووظيفته .
* التحدث عن الآفات التى يتسم بها بعض العلماء ومنها النفاق والتملق للحكام.
* التحدث عن الورع والتقوى وأثرهما فى تربية النفس.
* التحدث عن السمو الروحى والارتفاع فوق الشبهات.

لكل ما سبق ، وكثير غيره ، ونظرا لأننا نعيش الآن فترة نكاد أن نقول عنها : « ما أشبه الليلة بالبارحة » ، فقد آثر الباحث أن يخرج هذا النص ليرى النور ، لعل فيه عظة وعبرة لأولى الألباب . « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد [1] » وحسبى فى هذا الجهد أن أكون قد أرضيت ضميرى ، وأوصلت كلمتى من خلال تلك المخطوطة فى وقت عزت فيه الكلمة على النشر.

وهكذا يعيش العالِم غريبا فى داخله وفى ذاته ، كما يعيش غريبا عن مجتمعه ، وربما غريبا بجسمه وعقله ، فيهجر وطنه ، وهذا هو بعينه نزيف العقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

---

(١) سورة ق ، آية (٣٧).

## المقومات التي أثرت في فكر على بن سلطان محمد القاري :

*** مولده :**

لا يوجد على وجه التحديد تاريخ دقيق لميلاد الملا على بن سلطان محمد القاري سواء في الكتب والمخطوطات التى كتبها ، أو فيما كتبه عنه طلابه اللهم فيما عدا استنتاجات وتنبؤات لتاريخ مولده ، قد ترقى إلى درجة الصحة في الغالب الأعم ؛ ذلك أنه قد ثبت أن شيخ الاسلام الهروى (١) قد توفى سنة ٩١٦ هـ . واذا ترجح أن وفاة الشيخ معين الدين شيخ الملا على القاري ، كانت في العام نفسه ، أي سنة ٩١٦ هـ ، وكان الملا على القارى قد درس عليه قراءة القرآن ، كما أشار بنفسه الى ذلك ، اذا أدركنا هذا علمنا أن على القارى كان آنذاك حديث السن ، صغيرا ، خصوصا إذا كانت العادة تقتضى أن الآباء يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب لحفظ القرآن وتلاوته في سن التمييز والفهم أى من سن الخامسة إلى العاشرة تقريبا ، اذا علمنا ذلك فيمكن القول:

أن تاريخ ميلاد الملا على بن سلطان القارى يقع ما بين عام ٩٠١هـ - الى ٩١٠ هـ.

هذا وقد كانت ولادته في هراة (٢) من بلاد أفغانستان ، وقد استقر

---

(١) هو : أحمد بن يحى بن محمد بن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، الهروى ، سيف الدين ، شيخ الاسلام الحنفى ، ولى قضاء هراة مدة ثلاثين عاما . ولما دخلها الشاه اسماعيل الصفوى أمر بقتله مع جماعة من علماء هراة ، دون ذنب ، وقد نعت بالشهيد . له عدة مؤلفات منها : « حاشية على شرح التلخيص » و « شرح تهذيب المنطق » و « الدرر الفضية في مجموعه الحفيد » انظر ترجمته في : روضات الجنات ٣٤٢/١ ، هدية العارفين ١٣٨/١ والاعلام ٢٧٠/١.

(٢) هراة : بالفتح مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ،فيها بساتين كثيرة=

فيها فترة من الزمن تتلمذ فيها على بعض علمائها ، ثم ارتحل بعد ذلك إلى مكة . ويرجح أن ارتحاله إليها كان عام ٩٣٥ هـ ، كما أنه قضى حياته وعمره في المقام بمكة المكرمة.

## اسمه ونسبه وكنيته ولقبه : (١)

هو علي بن سلطان محمد القاري ، الهروي ، ثم المكي الحنفي . واسم أبيه من الأسماء المركبة ( سلطان محمد ) على أرجح الآراء . ويؤيده أن الأعاجم اعتادوا على الأسماء المركبة فهي تكثر فيهم.

وتجدر الاشارة إلى أن على القاري ينحدر من أسرة عادية ، بخلاف ما قد يوحى إليه لفظ ( سلطان ) فلم ينقل أن كان أبوه ملكا أو وزيرا أو من

= ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة ، محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء ، وقد أصابها عين الزمان ، ونكبتها طوارق الحدثان ، وجاءها الكفار من التتر ، فخربوها حتى أدخلوها في خبر كان ، وذلك في سنة ٦١٨ هـ انظر :

الشيخ الامام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان - المجلد الخامس .دار صادر - بيروت ١٩٧٧ م ، ص ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(١) استعان الباحث بالحديث عن ترجمة المؤلف فيما يتصل باسمه ونسبه وكنيته ولقبه بالمصادر والمراجع الآتية :

* خلاصة الأثر رقم ٢٦٦ تأريخ جـ ٣ / ١٨٥ =
* قطف السمر رقم ١٤٢٠ تأريخ ص ٢٢٣.
* الفوائد البهية رقم ٥٧١ تأريخ ص ٨ في التعليقات.
* كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود. للامام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ، دراسة وتحقيق . للباحث : عبد الله على الملا . مرجع سابق . انظر الفصل الثاني ص ٧٠ وما بعدها .

الوجهاء ، ولو كان كذلك لاشتهر ذلك بين الناس ، بل من المؤكد أن العلامة على القارى نفسه كان سينبه بنفسه عن ذلك ، خصوصا وأنه شهد فى هراة ظهور الدول الصفوية بها ، واستيلائهم وقتلهم للأهالى والعلماء من أهل السنة الأمر الذى حدا بالعلامة على القارى أن يهجر « هراة » إلى « مكة ».

وأما كنيته فهى « أبو الحسن » على القارى ، كما يلقب بـ « نور الدين» وأما القارى « فهو اسم فاعل من « قرأ » قلبت همزته ياء طلبا للتخفيف ، لقب المؤلف نفسه به لأنه كان حاذقا فى علم القراءات ، الأمر الذى جعله أحيانا يذكر في بعض مصنفاته . المقرىء بدل القارى.

هذا كما يلقب على القارى أيضا بـ « الملا » بضم الميم وتشديد اللام كلمة فارسية ، معناها الأستاذ أو الشيخ ، وأما الهروى فنسبه الى « هراة » مسقط رأسه كما سبق أن أشرنا .

وتجدر الاشارة إلى أن العلامة : على القارى كان يكتفي بالكفاف من العيش ، ولم يذكر أنه انصرف عن طلب العلم إلى جمع المال ، فلم يكن صاحب تجارة ، فى الوقت الذى لم يذل نفسه على أبواب السلاطين والأمراء، استجداء « واستدرارا لعطفهم ، بل من الثابت أنه كان يأكل من عمل يده ، فقد وهبه الله جمال الخط ، فجعله سببا لارتزاقه ، حيث كان يكتب مصحفا فى عام بخط جميل ، عليه طرز ثم يبيعه ويرتزق من ثمنه.

وأما ما يرتبط بأسرته ، وزوجاته وأولاده ، فقد ثبت أنه كان متزوجا وله أعقاب من بعده ، فقد أفاد بعض شراح الحزب الأعظم بأنه سمع أن أحد أحفاده قال : « ان لجدنا ثلاثمائة من المؤلفات ، وأنه أوقفها وشرط بأن لا يمنع من استنساخها ».

هذا وتجدر الاشارة إلى أن على بن سلطان محمد الهروى المعروف بالقارى ، ويملا على القارى الحنفى قد توفى بمكة سنة ١٠١٤ هـ.

وقد وردت ترجمته فى : خلاصة الأثر رقم ٢٦٦ تأريخ جـ ٣ / ١٨٥.

وله أيضا ترجمة مختصرة فى : قطف السمر رقم ١٤٢٠ تأريخ ص ٣٢٣.

وله أيضا : الفوائد البهية رقم ٥٧١ تأريخ ص ٨ فى التعليقات.

من مؤلفاته :

* رسالة فى علامات القيامة وهى فى الكلام على موضع من تفسير البيضاوى أنوار التنزيل.
* الجمالين على الجلالين وهى حاشية .
* المسألة فى البسملة ، بين فيها كون البسملة من كل سورة.
* المنح الفكرية على نزهة النظر لابن حجر فى المصطلح [1].

## الظروف السياسية :

لا يساورنا شك أن الظروف السياسية التى تواكب ظهور عالم أو مفكر تؤثر تأثيرا كبيرا فى توجهاته العلمية والدينية ، وإذا كان العلامة على القارى ، قد عاش فترة من الزمن فى هراة ثم ارتحل بعدها إلى مكة المكرمة فحرى بنا أن نقف على طرف من الظروف السياسية التى أوحت لهذا العالم أن يهجر موطنه الأصلى ومسقط رأسه.

واكب ميلاد على القارى نشوء الدولة الصفوية على يد الشاه اسماعيل

(١) انظر :
فهرس الخزانة التيمورية ، القاهرة . دار الكتب المصرية ، ١٩٤١ م جـ ٣ ، أسماء المؤلفين ٣/٢٣٤.

الصفوى (١) الذى نشأ وترعرع ما يقرب من خمس سنوات فى « لاهجان » يتلقى فيها التشيع ، حتى تشبعت روحه بهذه النزعة التى ظهرت آثارها فى سياسته.

هذا وقد بدأ ظهور أمر الشاه اسماعيل الصفوى على ساحة الصراع السياسى بين القوى والحكومات المتعددة فى بلاد العجم عامة ، وفى إيران خاصة ، وقد بادر بالدعوة للانتقام من قاتل أبيه حاكم « شيروان » فحاربه عام ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م فى جيش مكون من سبعة آلاف مقاتل وانتصر عليه وقتله.

هذا وقد كانت إيران فى عصر الشاه اسماعيل مقسمة إلى حكومات متعددة مستقلة ، استطاعت أن تنفصل وتستقل عن حكم دولة التيموريين . ومن أشهر هذه الحكومات المستقلة ، حكومات أسرة « آق قويونلو » (٢) التركمانية الأصل ، والتى كانت تقطن آسيا الوسطى.

أما خراسان فقد كانت مقسمة تحت حكم كل من التيموريين ، ومقر حكمهم الهند ، والأزابكة ومقر حكمهم بلاد ما وراء النهر ، وقد كان الازابكة يحكمون الجزء الشرقى من ايران بالاضافة إلى حكمهم لبلاد ما وراء النهر.

وقد كان الشاه اسماعيل الصفوى حاقدا على أهل السنة ، مما دفع بالكثير من العلماء أن يهجر موطنه ويفر الى بلد مجاور أويهيم على وجهه فى أرض الله ، ومن هؤلاء : الملا على بن سلطان محمد القارى ، فقد هجر هراة من بلاد أفغانستان الى مكة المكرمة ، حيث قضى فيها بقية عمره ،

---

(١) هو الشاه اسماعيل بن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ ابراهيم ، المعروف بشيخ شاه بن خواجه سياهبوش ، ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفى الدين الأردبيلى ، والى هذا الأخير ينسب الصفويون . انظر : هدية العارفين ٢١٧/١ دائرة المعارف الاسلامية ١٧٥/٢.

(٢) معناها أصحاب القطيع الأبيض.

مما يضطرنا كذلك أن نوجز حديثا عن الأحوال السياسية فى مكة إبان وجود العلامة على القارى بها . (١)

ظلت الحجاز ومكة المكرمة حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى وما سبقه ولاية تابعة لدولة المماليك فى مصر ، وذلك حتى عام ٩٢٣ هـ حين دخل السلطان العثمانى سليم الأول مصر فى نفس العام ، حيث أسقط دولة المماليك الأمر الذى ترتب عليه أن اصبحت الحجاز ومكة المكرمة تابعة لدولة الخلافة العثمانية وولاية من ولاياتها .

هذا وتجدر الاشارة أن الأشراف الحسنيين ، من أولاد موسى الجون ، هم الذين استقلوا بحكم مكة لعدة قرون ، بداية من عام ٣٥٨ هـ ، حيث يعتبر جعفر بن محمد بن الحسين أول من وليها منهم. وقد استمر الأشراف يحكمون مكة المكرمة حتى سنة ١٣٤٣ هـ حين دخل الملك عبد العزيز فى هذا العام مكة المكرمة لينهى بذلك حكم الأشراف الذى استمر ما يقرب من ألف سنة .

تولى إمارة مكة المكرمة فى مفتتح القرن العاشر ، الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (٢) وذلك فى الفترة من سنة ٨٥٩ هـ الى عام ٩٠٣ هـ تاريخ وفاته ، حيث شب نزاع بين أبنائه فيمن يتولى إمارة مكة.

وانحصرت فترة حكم مكة المكرمة منذ عام ٩٠٣ هـ حتى ١٠٣٤ هـ بين السادة الأشراف خلال خمس فترات ، شبت فيها المنازعات بين الأخوة الأشقاء الذين يحكمون مكة المكرمة ، وقد كانت هذه تقريبا السمة الأساسية

---

(١) عبد الله على الملا . كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود ، دراسة وتحقيق . مرجع سابق ، ص ص ٣ : ١٧.

(٢) ولد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان عام ٨٤٠ هـ بمكة وتوفى عام ٩٠٣ هـ .

التى اتصفت بها طبيعة تلك الفترة .

وهذا فى حد ذاته دليل على أن الحجاز ظلت بعيدة تماما عن مناطق الصراع الخارجى سواء خلال تبعيتها للمماليك أو الدولة العثمانية اللهم فيما عدا الحروب والمنازعات الداخلية كما أشرنا .

**الفترة الأولى** : وقد تقلد إمارة مكة خلالها « بركات بن محمد بن بركات» [1] خلال الفترة من عام ٩٠٣ هـ - ٩٣١ هـ . وقد أيده سلطان مصر فى ذلك الوقت ، السلطان محمد بن السلطان قايتباى .

**الفترة الثانية** : وفى هذه الفترة تولى « محمد بن بركات بن محمد» [2] الحكم اعتبارا من ٩٣١ هـ حتى ٩٧٤ هـ . وفى عهده خمدت نيران الفتنة ، وأصلح الله به ما كان فاسدا وأمن أهل الحرمين الشريفين ، وقضى على أصحاب النهب والفوضى ، وأدار إمرة مكة بكل حزم وصرامة .

هذا وقد عرف أبو نمى « محمد بن بركات بن محمد » عند أشراف مكة بصاحب القانون ، لأنه جمع أنسابهم ، وجعل لهم فيها قانونا .

**الفترة الثالثة** وفى هذه الفترة تولى الشريف : حسن بن محمد ابن بركات [3] إمارة مكة المكرمة فى الفترة التى امتدت منذ ٩٧٤ هـ حتى ١٠١٠ هـ . وكان الشريف حسن عظيم القدر ، مشمولا بكريم الفضائل والسخاء ، صاحب فراسة عجيبة ودقيقة ، محبا للعلم ، شغوفا بالأدب ، لا يقل صرامة وكفاءة وحزما عن أبيه ، فعم عدله جميع طبقات الناس ، حتى اختلط العرب بالعجم وأمنت الطرق الحجازية .

---

(١) بركات بن محمد بن بركات ٨٦١ - ٩٣١ هـ .

(٢) هو : محمد بن بركات بن محمد المعروف بأبى نمى الثانى ( ٩١١ - ٩٩٢ هـ ) وترجمته فى : شذرات الذهب ٤٢٢/٨ ، الجامع اللطيف ص ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣) هو حسن بن محمد بن بركات ٩٣٢ - ١٠١٠ هـ .

**الفترة الرابعة**: وفي هذه الفترة تولى الشريف : أبو طالب ابن حسن بن محمد ( ٩٦٦ – ١٠١٢ هـ ) امارة مكة المكرمة • منذ عام ١٠١٠ هـ حتى ١٠١٢ هـ • وكان متصفا بفضائل الأخلاق كأسلافه ، سخيا كريما شجاعا مقداما ذكيا •

هذا وقد توفى عام ١٠١٢ هـ أثناء رجوعه من بعض غزواته ودفن بمكة ولم يعقب خلفا يتولى الحكم من بعده •

**الفترة الخامسة** : وقد تولى فيها الشريف : أدريس بن حسن ابن محمد ( ٩٧٤ : ١٠٣٤ هـ ) تولى إمارة مكة المكرمة الفترة منذ ١٠١٢ حتى ١٠٣٤ هـ • وتجدر الاشارة إلى أن السادة الأشراف أشركوا معه فى الحكم أخاه : فهيد بن حسن ، وابن أخيه محسن بن الحسين بن الحسن•

وتجدر الاشارة إلى أنه قد تم خلع الشريف إدريس عام ١٠٣٤ هـ ، بعد قتال دار بينه وبين أخيه محسن ، وقد استمر القتال بينهما يوما كاملا فى جميع أنحاء مكة ، إلا أن الشريف إدريس وافق على الصلح وخرج من مكة إلى جبل « شمر » بمكان يسمى « ياطب » وعاش هناك لشهور ثم توفى ودفن بهذا المكان•

وفى ضوء ما تقدم عن الأحوال السياسية سواء فى هراة « مسقط رأس» الملا على بن سلطان محمد القارى أو فى مكة المكرمة حيث استقر بها مهاجرا ، نلمح أن القرن العاشر الهجرى وما سبقه أو تلاه ، كان مشحونا بالخلافات والمنازعات ، سواء منها الخلافات المذهبية ( بين أهل السنة والشيعة ) كما حدث فى غضون حكم الدولة الصفوية لبلاد العجم عامة وإيران بوجه خاص ، أو ما حدث بمكة المكرمة من مشاحنات على تولى الامارة ، خصوصا إذا علمنا أن اختيار أمراء مكة كان يتم عن طريق الأشراف أنفسهم ومن داخلهم ، ومن وجهائهم دون تدخل يذكر سواء من

قبل دولة المماليك أو من قبل السلطان العثماني.

وحتى اختيار الوزراء والقضاة وأهل الفتيا والرأى فى أمور الدين كان يتم من داخل الأشراف أنفسهم ، الأمر الذى يؤكد استغراق بعض أهل العلم فى معمعة القوى السياسية التى كانت تحكم مكة فى ذلك العصر.

ولا يخالجنا شك أو ريب أن صاحبنا العلامة الملا على بن سلطان محمد القارى،قد استشعر من كيانه ومن سريرته الكثير من استغراق بعض أهل العلم ومسايرتهم للحكام، ونزولهم على آرائهم. ارضاء لهم واستمطارا لأموالهم ، وهذا فى حد ذاته كفيل أن يجعل صاحبنا يقف موقفا حاسما إزاء هذا التطرف أو الانحراف بالعلم والفقه والشريعة عن مسارها الصحيح.

ولا غرو أن الرسائل التى سجلها العلامة ابن سلطان القارى ، جاءت انعكاسا صريحا لكثير مما عاصره من الأحداث السياسية ، ويأتى على رأس هذه الرسائل التى نحن بصدد تحقيقها « تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء » . ويبدو والله أعلم أن مكة المكرمة ظلت أمارة مستقلة تماما ، ولم يكن لها من الصلة بدولة الخلافة سوى السلطة الاسمية فقط ، وهذا فى حد ذاته كفيل أن يوقد نار الفتن ، ويضع المطامع فى السلطة للكفاءات من الأشراف وغيرهم.

وعلى وجه العموم فمن المؤكد أن الحالة السياسية التى عاصرها العلامة السلطان على القارى أثرت فى فكره ، وألزمته كلمة التقوى ، وكان أحق بها وأهلها ، فصب خلاصة آرائه فى رسائله المتعددة وعلى رأسها رسالة : « تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء » ، ولا شك أن هذه نزعة تؤكد أن هناك أصولا وجذورا فى الفقه والشريعة تركز حول التربية السياسة وكيفية تعامل العلماء مع الأمراء ، وسياسة الأمراء مع العلماء.

وسيأتى مزيد من التفصيل حول تأثير ذلك على حياته العلمية ،

ومؤلفاته ، وتلامذته ، وفكره ٠٠٠٠ الخ٠

## علمه وشيوخه وتلامذته ومؤلفاته : (١)

ألمحنا مسبقا أن العلامة على القارى عاش فترة فى « هراة » مسقط رأسه ، كما عاش بقية حياته بمكة المكرمة ٠ وقد استغرقت كلا الفترتين حياة الرجل للعلم متعلما وطالبا ، وفقيها ومحدثا ٠

وتؤكد المصادر أن من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم العلامة على القارى خلال نشأته الأولى بـ « هراة » :

* الشيخ الخطيب فى جامع هراة٠

* العالم المقرىء معين الدين بن حافظ زين الدين الهروى ٠ وقد حفظ العلامة على القارى على يديه القرآن الكريم ، وأخذ عنه علم التجويد٠

وخلال هذه الفترة حفظ القرآن الكريم وأتقن التجويد وحفظ المتون العلمية ودرس فقه الأحناف ٠٠٠ أما فترة وجوده واستقراره بمكة فقد مكنته من قراءة القرآن الكريم على القراء الأجلاء ، وأتقن الحفظ ، كما حفظ «الشاطبية » وقرأ السبعة من طريقها ، وأتقن القراءات بوجوهها ، وتلا ورتل القرآن الكريم حتى اشتهر بالقارى٠

هذا وقد أهتم العلامة على القارى أيضا بدراسة الحديث والفقه والأصول والتفسير والتصوف وعلوم اللغة والبلاغة والنحو ٠ هذا اضافة إلى

---

(١) استمد الباحث هذا الجانب من :

* خلاصة الأثر رقم ٢٦٦ تأريخ جـ ٣ / ١٨٥ ٠ مرجع سابق٠

* كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود ٠ للامام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى ٠مرجع سابق ٠انظر : المبحث الثانى٠ص ٧٧وما بعدها ٠

اتقانه وبراعته فى الخط ، وخاصة خط الثلث والنسخ ، فقد كان يجيدها تماما .

ومن أشهر العلماء البارزين الذين تتلمذ عليهم بمكة :

* الشيخ الامام زين الدين عطية بن على بن حسن السلمى المكى ، المفسر والفقيه والمتوفى عام ثلاث وثمانين وتسعمائة للهجرة ، فقد درس عليه علوم الحديث والتفسير ، حيث ذكر فى : « شم العوارض » سيدى وسندى فى علم التفسير الشيخ عطية المالكى السلمى .

* العلامة الحافظ مفتى مكة الكشيخ قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهروالى [1] الهندى ، المكى ، الحنفى . ولد عام ٩١٧ هـ وكان بارعا ومفتيا فى الفقه والتفسير والعربية ونظم الشعر . ومن مؤلفاته : « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى » و « الأعلام فى أخبار بيت الله الحرام» توفى عام ٩٩٠ هـ .

* شمس الدين محمد بن على بن أحمد بن سالم ، الجناجى (٢) ، ثم القاهرى الأزهرى المكى . ولد عام ٨٦٠ هـ وقد حفظ القرآن الكريم وألفية ابن مالك ودرس الفقه وعلم العربية.

أما عن تلامذته (٣) ، فلم تسعفنا كتاباته عن ذلك ، اللهم فيما عدا ما سطره تلامذته فى تراجمهم . ومن هؤلاء :

* عبد القادر الطبرى ٩٧٦ - ١٠٣٣ هـ ، هو عبد القادر بن محمد ابن يحيى بن مكرم بن محب الدين محمد بن رضى الدين ، الحسينى ، الطبرى

---

(١) النهروالى : نسبة الى : « نهروالة » بلدة من توابع كجرات بالهند.

(٢) نسبة لجناج : قرية بين البحرارية وسنهور من الغربية ( مصر ) .

(٣) عبد الله على الملا : كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود ، دراسة وتحقيق ، مرجع سابق.

، المكي الشافعي ، الخطيب ، المفتى ، إمام أئمة الحجاز ، ولد ونشأ بمكة . حفظ القرآن وهو ابن اثنتى عشرة سنة . حفظ المتون ومنها : الأربعين النووية فى الحديث ، والعقائد النسفية ، وألفيه ابن مالك . وقد قرأ على شيخه على القارى جانبا من متن الشاطبية.

* عبد الرحمن المرشدى ٩٧٥ - ١٠٣٧ هـ : هو عبد الرحمن بن عيسى ابن مرشد ، العمرى ، الحنفى ، المكى ، العلامة ، الفقيه ، القاضى ، نشأ بمكة المكرمة ودرس على علمائها ومنهم على القارى حيث جَوَّدَ عليه القرآن الكريم .

## منزلته بين علماء عصره :

من الأهمية بمكان أن نؤكد قبل الخوض فى مناقشة منزلة الامام العلمية بين علماء عصره ، أن نؤكد أنه كلما زاد انشغال العالم بالمذاكرة والمدارسة والفتيا ، والتأليف والتصنيف كلما زادت المناقشات وكثر الجدل خصوصا حول أمور فقهية ، ترد حولها الأدلة ، وتكثر الاستنباطات والاستنتاجات ويحتدم النقاش ، وهذا شأن كثير من العلماء ، خصوصا إذا كانوا من المعارضين للجهابذة والفحول من القراء كما هو الحال عند صاحبنا العلامة الشيخ على القارى.

هذا ولقد توفرت فى العلامة على القارى أهلية الفتيا ، حيث جمع العلوم العقلية والنقلية ، وأحاطها فهما وتدقيقا وتحقيقا ، ودرس الكتاب والسنة حفظا وعلما ، ودرس الفقه والأصول وعلوم العربية ، كما درس علم الكلام والتصوف.(١)

---

(١) المرجع السابق ص ٨٨.

من هذا المنطلق انتشرت مؤلفاته شرقا وغربا ، خصوصا إذا علمنا أنه كان لا يتحرج أن يخالف بعض العلماء والأئمة مستندا فى ذلك إلى قريحته التى تميل إلى أن أراءهم تحيد عن الكتاب والسنة.

ومن ردوده هذه : رده على الامام مالك فى إرسال اليدين فى الصلاة وأيضا رده على امام الحرمين الجوينى فى كتابه : « مغيث الخلق » الذى رجح فيه مذهب الشافعى .

ولا يفوتنا أن نؤكد أن ردود الإمام على القارى هذه قد أوحت لبعض العلماء أن ينتقصوا من كتبه وعلمه ، والحق أن مصنفاته فيها من العلم والتحقيق والتدقيق ما ليس فى غيرها ، وخصوصا وأنها فى التفسير والحديث والقراءات والفقه والعقائد وغيرها .

هذا ولا يخالجنا الشك أن ردود العلامة على القارى على الأئمة هؤلاء يعود الى وضوح الأدلة خصوصا إذا أدركنا أن ارسال اليدين فى الصلاة ليس عليها دليل صحيح.

ومذهب الجمهور : عدم الارسال لوضوح الأدلة فيها .

أما رده على الامام الجوينى ، فانه لم يتطرق فيه الى الشك والطعن فى مذهب الشافعى ، بل ألفه للرد على من طعن فى مذهب أبى حنيفة . وقد أورد الشوكانى فى هذا المقام ما نصه : « هذا دليل على علو منزلته ( يعنى على القارى ) فان المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة ، سواء كان قائله عظيما أو حقيرا » .(١)

هذا ولقد حظى العلامة على القارى بالثناء الكثير ممن ترجم له منهم :

* الشيخ « المحبى » فى كتابه « خلاصة الأثر » حيث قال : « على ابن

(١) المرجع السابق ص ٨٩.

محمد سلطان الهروى المعروف بالقارى ، الحنفى ، نزيل مكة ، وأحد صدور العلم فريد عصره ، الباهر السمت فى التحقيق وتنقيح العبادات ، وشهرته كافية عن الاطراء فى وصفه .

* قال عنه : اللكنوى : « على بن سلطان محمد القارى ... اشتهر ذكره ، وطار صيته ، وألف التآليف النافعة ... وقد كانت تصانيفه كلها مفيدة ، بلغته إلى مرتبة المجددية على رأس الألف » .(١)

هذا ولا شك أن اعتبار على القارى من المجددين للقرن العاشر ، فى حد ذاته شهادة له بطول باعه ، وسعة اطلاعه ، وكثرة مؤلفاته وفتياه ، ومعاصرته ونظرته الفاحصة الناقدة لكثير مما اشتهر فى زمانه .

وعلى وجه العموم فيكفيه شرفا أن أحيا علوم التفسير والقراءة والحديث والفقه ... وكثير غيرها .

**مؤلفاته :**

بلغت مصنفاته ما يقرب من ثلاثمائة مصنف ، ما بين كتاب كبير ومتوسط ورسائل صغيرة فى ورقات . وقد ارتبطت مؤلفاته بالفقه والتفسير والحديث والأصول وعلوم اللغة والنحو والقراءات تغطى أحد عشر فرعا من فنون العلم المختلفة سوف أشير الى نماذج منها .(٢)

## أولا : نماذج من مؤلفاته فى علم القراءات :

* تخريج قراءات البيضاوى. مخطوط (خ)
* شرح طيبة النشر فى القراءات العشر . (خ)
* الضابطية للشاطبية . (خ)

---

(١) من باب : أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ وما بعدها .

**ثانيا : نماذج من مؤلفاته فى علوم التفسير :**

* أنوار القرآن وأسرار الفرقان . (خ)

* البينات فى تباين بعض الآيات . (خ)

*** ثالثا : نماذج من مؤلفاته فى علوم الحديث :**

* الأحاديث القدسية والكلمات الأنسية . مطبوع . (ط)

* أربعون حديثا فى جوامع الكلم . (خ)

* الأزهار المنثورة فى الأحاديث المشهورة . (خ)

**رابعا : نماذج من مؤلفاته فى الفقه وعلومه :**

* الاصطناع فى الانطباع . (خ)

* ترتيب وظائف الوقف . (خ)

* توضيح المبانى وتنقيح المعانى وهو شرح على مختصر المنار لزين الدين الحلبى . (خ)

**خامسا : نماذج من مؤلفاته فى التوحيد والفرق :**

* دامغة المبتدعين وناصرة المهتدين . (خ)

* ذيل الرسائل الوجودية فى نيل المسألة الشهودية . (خ)

* ضوء المعالى شرح منظومة بدء الآمالى . مطبوع . (ط)

**سادسا : نماذج من مؤلفاته فى السيرة والشمائل والفضائل :**

* أربعون حديثا فى فضل القرآن . (خ)

* الاستئناس بفضائل ابن عباس . (خ)

* البرهان الجلى على من تسمى من غير مسمى بالولى . (خ)

## سابعا :نماذج من مؤلفاته فى الأدعية والأذكار والمواعظ :

* الاستدعاء فى الاستسقاء . (خ)

* « تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء » وهى المخطوطة التى نحن بصدد تحقيقها . (خ)

* تحفة الحبيب فى موعظة الخطيب . (خ)

## ثامنا : نماذج من مؤلفاته فى النحو والفقه والأدب :

* إعراب القارى على أول باب البخارى . (خ)

* التجريد فى إعراب كلمة التوحيد . (خ)

## تاسعا : نماذج من مؤلفاته فى التراجم :

* الثمار الجنية فى أسماء الحنفية . مطبوع . (ط)

* نزهة الخاطر الفاتر فى ترجمة الشيخ عبد القادر . مطبوع . (ط)

## عاشرا : نماذج من كتبه :

* أدلة معتقدات أبى حنيفة فى أبوى الرسول . (خ)

* الأصول المهمة فى حصول المتمة . (خ)

* بهجة الانسان ومهجة الحيوان . (خ)

## وفاته :

بعد تلك الشذرات والدرر الحافلة بالعلم ، توفى العلامة على بن سلطان محمد القارى ، وقد خلف آثارا عظيمة عالج بها الكثير من قضايا عصره .

وكانت وفاته عام ١٠١٤ هـ باتفاق المصادر ويرجح أنه توفى فى رمضان من السنة نفسها ودفن بمقابر « المعلاة » بمكة المكرمة . ولما بلغ ذلك علماء مصر صلوا عليه صلاة الغائب بالجامع الأزهر فى جمع يربو على أربعة آلاف نسمة.

## اجراءات الدراسة التربوية :

تعتمد دراستنا للجانب التربوى فى فكر العلامة على بن سلطان محمد القارى على الآراء التربوية التى طرحها فى مخطوطته ، والتى استند فى الكثير منها الى الآيات القرآنية والأحادث النبوية.

وسوف لا يدعم الباحث الآراء التربوية التى يتوصل إليها من خلال دراسته لتلك المخطوطة بالأحاديث الضعيفة والتى قد أشير إليها فى هامش التحقيق.

هذا كما أن الباحث لن يلجأ كثيرا للتدليل على تلك الآراء التربوية من كتب التربية ، اللهم فيما عدا النذر اليسير الذى يرى الباحث الاتفاق الكامل بين الأدلة التربوية وبين الرأى الذى نحن بصدد التأييد أو النفى له.

وهذا لا يعنى بالضرورة أن الباحث سوف يحيط بكل ما دق وما علا فى هذه المخطوطة من آراء تربوية ، إنما سيحاول قدر الامكان أن يجمع المتناثرات من الآراء التربوية فى محاور ، ثم يدلل عليها ، ولن يلتزم الباحث فى موقف التدليل بالترتيب الذى سارت عليه المخطوطة ، إنما سيدور حول تلك المحاور التربوية ، ليثبت أو ينفى وفق ما يتوفر لديه من أدلة ، كما أنه لن يلتزم بترتيب المخطوطة حول الموضوعات التى ناقشتها ، إنما سيسير الباحث حسب الأهمية من وجهة نظرة.

هذا وسوف تدور المحاور التربوية التى سيقوم الباحث بدراستها من

خلال هذه المخطوطة على النحو التالى :

* التربية العقلية .
* التربية السياسية .
* التربية الخلقية.
* التربية الروحية .
* فضل العلم .
* أقسام العلوم.
* أداب المعلم والعلاقة بينه وبين المتعلم.

## التربية العقلية فى فكر « على القارى » :

سوف يناقش الباحث التربية العقلية فى فكر العلامة « على القارى » وفقا للتالى :

* تمهيد .
* لماذ التسمية بالعقل .
* مفهوم العقل وأقسامه.
* أوصاف العاقل .
* فضل العقل .
* التفاضل بالعقل.
* شرف العقل وثمرته.
* طرق اكتساب العقل.
* التفاوت فى العقل.
* الفرق بين العلم والعقل.
* تعليق .

## تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء

* **تمهيد :**

تميز الانسان على سائر الكائنات الحية بالعقل ، والعقل للانسان هو صمام الأمان للفرد الانسان ، به مناط التكليف ، حيث يستطيع العقل أن ينسق المعلومات وينظمها ويضع العلاقة بينها ، كما يبحث عن الأسباب والمسببات حولها .

وإذا كان الانسان هو موضوع التربية ، وإذا كان العقل هو الأداة التى بها يفهم الانسان ويتأمل ويتفكر ويتعلم ، فلا غرابة أن ينوه القرآن الكريم فى كثير من الآيات بالعقل ، وأن يلفت الانتباه إلى الاشادة بالعقل والثقة به .

هذا ويشير سعيد اسماعيل فى كتابه : « أصول التربية الاسلامية » الى الكثير العزيز من تلك الآيات والتى منها :

* وآتيناه حكما وعلما (١) » أى فقها وحكمه » .
* « كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون (٢)» .
* « وأشهدوا ذوى عدل منكم (٣) » أى ذوى عقل .
* « لينذر من كان حيا (٤) » .

هذا والقرآن الكريم وهو يشيد بالعقل ينعى على الكفار إهمالهم للعقل واتباعهم ما كان عليه آباؤهم . قال تعالى : « أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ؟

ويرى الامام محمد عبده أن : « عقل الشيء ، معرفته بدلائله وفهمه

---

(١) سورة يوسف ، آية (٢٢) .
(٢) سورة الروم ، آية (٢٨) .
(٣) سورة الطلاق ، آية (٢٨) .
(٤) سورة يس ، آية (٧٠)

بأسبابه ونتائجه ، وأقرب الناس الى معرفة الحق الباحثون الذين ينظرون فى الدلائل بقصد صحيح ولو فى غير الحق ، لأن الباحث المستدل اذا أخطأ يوما فى طريق الاستدلال أو فى موضوع البحث ، فقد يصيب فى يوم آخر ، لأن عقله يتعود الفكر الصحيح واستفادة المطالب من الدلائل ، وأبعد الناس عن معرفة الحق المقلدون الذين لا يبحثون ولا يستدلون (١).

وتجدر الاشارة إلى أن العقل لا يقتصر دوره على أنه مناط التكليف ، بل أنه حجر الزاوية فى أمر العقيدة ، الأمر الذى يؤكد الأهمية الكبرى لنمط وأسلوب التربية فى تدعيم العقل المطبوع عن طريق العلم واكتسابه بأساليب التحصيل المختلفة.

وهذا المنهج هو الذى ناقشه وأشار اليه العلامه . « على بن سلطان محمد القارى » كما سوف نشير إليه فى الصفحات التالية .

## * لماذا التسمية بالعقل ؟

يشير على القارى إلى أن : « العقل يسمى به لعقله ، ومنعه صاحبه عما لا يليق به ، كما يسمى نهى ، لنهيه عن الفحشاء والمنكر ونحوه » ولعل على القارى يشير الى أن العقل يسمى « نهى » موافقة لما جاء فى القرآن الكريم « ان فى ذلك لآيات لأولى النهى (٢) » أى أصحاب العقول.

هذاو يشير الامام الغزالى فى إحياء علوم الدين إلى أن شرف العقل مدرك بالضرورة ، وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى : « الله نور السموات

---

(١) سعيد اسماعيل على . أصول التربية الاسلامية . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٧٨ م ، ص ص ٢٧ – ٢٨.

(٢) سورة طه ، آية (٥٤).

والأرض مثل نوره كمشكاة [1] » كما سمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة. قال الله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » وقوله سبحانه وتعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » والمراد بالنور والظلمة هنا العلم والجهل [2]. قال تعالى : «يخرجهم من الظلمات إلى النور ».

## * مفهوم العقل وأقسامه :

يرى العلامة : على القارى أن العقل : « هو الوصف الذى يتميز به الانسان عن سائر الحيوان ، وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية ، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، وكماله : أن تنتهى قوة تلك الغريزة ، إلى أن يعرف عواقب الأمور وآخرها ، ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقسرها وهى القصوى ، والدرجة العليا . [3]

وعن على رضى الله تعالى عنه :

« رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع »

---

(١) سورة النور ، آية (٥٣).

(٢) الامام أبى حامد الغزالى . احياء علوم الدين ، جـ ١ . دار الشعب بدون تاريخ ، القاهرة . ص ١٤١ .

(٣) استند الباحث فى الحديث عن الآراء التربوية فى العقل لعلى القارى إلى ما ورد فى مخطوطته ( محل دراستنا ) تحت عنوان « وظيفة العقل » انظر ص ص ١٦٠ – ١٦٨ من النص المحقق.

وتميز الإنسان بالعقل واستعداده لقبول العلوم النظرية والصناعات الخفية ، أمر مطبوع فى النفس البشرية فهو غريزة فيها ، يقول الحارث ابن أسد المحاسبى فى حد العقل : « إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لإدراك الأشياء. ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية ، فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم (١) أما كمال العقل فيكون بإدراك عواقب الأمور ، وقمع الشهوات الداعية إلى اللذة العاجلة فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا ، من حيث أن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة ، وهذه أيضا من خواص الإنسان التى يتميز بها عن سائر الحيوان.

هذا ويؤكد الإمام الغزالى على أن كمال العقل ، وإدراكه عواقب الأمور وقمع الشهوات يتم بالاكتساب ، بل هو الثمرة الأخيرة والغاية القصوى ، كما أن من حنّكته التجارب وهذبته المذاهب يستطيع أن يدرك العلوم من خلال تجاربه التى تجرى مجرى الأحوال ، كما أنه يسمى فى العادة عاقلا. (٢)

وأما إيراد قول على رضى الله عنه حول تقسيم العقل إلى :

* العقل المطبوع .

* والعقل المسموع.

فقد فسر هذا الامام الغزالى فى ضوء ما أشرنا اليه سابقا ، حيث اعتبر الغزالى أن العقل المطبوع يشتمل على :

---

(١) الإمام أبى حامد الغزالى . إحياء علوم الدين ، جـ ١ ، دار الشعب ، القاهرة . ص ص ١٤٥ . مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦.

* الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية . وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.

* العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات : كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، وأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد.

أما العقل المسموع فقد عنى به الغزالى :

* العلوم التى تستفاد بالتجارب .

* ادراك عواقب الأمور وقمع الشهوات الداعية الى اللذة العاجلة (١).

والعقل المطبوع والمسموع صنوان متلازمان للانسان بهما يتيمز عن الحيوان ، ويتهيأ لادراك العلوم النظرية منها والفنية ، كما تتكون لديه القدرة التنبؤية ، والرؤية البعيدة للأمور ، فيستطيع كسر الشهوة العاجلة أملا فى السعادة الآجلة.

هذا ولعل العلامة على القارى يميل إلى نظرة الامام الغزالى إلى العقل، ومع أن الغزالى من فقهاء ، القرن الخامس الهجرى ، إلا أن « على القارى » – وبالرغم من أنه من المتأخرين ( القرن العاشر الهجرى ) – فالاتجاه السلفى واضح فى فكره ، لدرجة أن المنطلق فى كثير من آرائه حول العقل استند فيها إلى الامام الغزالى.

ويمكن تفسير ذلك ، حيث أن العصر الذى عاشه العلامة : « على القارى » شبيه إلى حد ما بما عاشه الامام الغزالى ، من حيث كثرة الفتن وشدة المناظرات العلمية والمذاهب والفرق واضهاد الحكام والأمراء للعلماء ... الخ.

---

(١) الامام أبى حامد الغزالى . احياء علوم الدين ، مرجع سابق ص ١٤٥ – ١٤٦.

من هنا فلا غرابة أن يستند « على القارى » فى الكثير من آرائه الى الامام الغزالى . وأيا ما كان الأمر فإن « على القارى » ينشد من وراء ذلك الى : وصول الفرد ، إلى أقصى درجة لوظيفة العقل ، وهى الترفع فوق اللذة العاجلة ، والتحكم فى وظائف الجسم الحسية.

ولا شك أن العقل إذا اكتمل على هذه الهيئة ، يستطيع أن يصل الانسان به إلى درجة الاشراق والشفافية ، من باب : « عبدى أطعنى أجعلك عبدا ربانيا تقول للشيء كن فيكون ».

### * أوصاف العاقل :

بعد أن عرض العلامة « على القارى » لحديث ابن المسيب ، والذى روى فيه أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن :

- أعلم الناس .
- أعبد الناس.
- أفضل الناس.
- أتقى الناس.

وأجابهم صلى الله على وسلم ، إجابة واحدة فى كل مرة « العاقل » أقول بعد أن عرض « على القارى » هذا الحديث يمكن القول :

إن : العالم - العابد - الفاضل - المتقى ، هى صفات العاقل ، وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيا ، كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا من سألوه : « أليس العاقل من تمت مروءته ، وظهرت فصاحته ، وجادت كفه ، وعظمت منزلته ؟ : أجاب صلى الله على وسلم قائلا : « وإن

كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » [1] « إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيا ».

وبناء على ذلك يكون « على القارى » قد أطل علينا بتلك المفاهيم والمعايير حول العقل ، والتى هى مفاهيم الاسلام ، بل وكشف النقاب من خلال الآيات والأحاديث عن الأصول الاعتقادية فى فهم ووصف العاقل.

ولا شك أن « على القارى » بهذا المنهج يعتبر من المفكرين والمربين الذين حاولوا جهذ طاقتهم أن يكشفوا للناس عيوب عصرهم ، وأن يرسلوها صريحة أمام جمهرة المسلمين.

والتربية فى عصرنا الراهن ، ومدارسنا جزء منها ، فى حاجة أن تسترشد بتلك القواعد حول معنى العقل ، ومعنى العاقل ، ومواصفاته ، أملا فى بناء فكر مسلم قوامه العبادة والعلم والتقوى.

* فضل العقل :

العقل ضد الحُمق ، والعاقل ضد الأحمق ، والفرق كبير بينهما ، فالعقل هو الذى يميز العباد أمام ربهم ، فبقدر عقل الرجل ، تكون درجة قربه من ربه ، والعكس بالعكس ، فالأحمق يستطيع أن يحقق بحمقه الكثير ، بل وأكثر من الفاسق الفاجر.

وفى هذا بيان صريح فى فضل العقل ، وأن الناس لا يتفاضلون إلا بالعقل. ولا شك أن العلامة « على القارى » قد تبنى هذا الاتجاه ، ودافع عنه إلى أبعد مدى ، بل واستدل بالكثير والغزير من الآيات والأحاديث التى تؤكد هذا التوجه وإن كان يؤخذ على العلامة « على القارى » الاستشهاد

---

(١) سورة الزخرف . آية (٣٥).

ببعض الأحاديث الضعيفة ومع ذلك فلنا أن نعتمد من الأحادث فى فضل العقل والتى استدل بها « على القارى » على الصحيح منها ٠ من ذلك :

ما رواه أنس : قال : « أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا ، فقال عليه السلام : « كيف عقل الرجل ؟ » فقالوا : نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير ، وتسألنا عن عقله ؟ فقال «إن الأحمق يصيب لحمقه أكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات من ربهم على قدر عقولهم »٠

هذا وقد استدل الامام الغزالى فى إحياء علوم الدين على فضل العقل بحديث صحيح رواه البراء بن عازب رضى الله عنه حيث قال : « كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا أيها الناس إن لكل شىء مطية ومطية المرء العقل ، وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا (١) »

وإذا كان هذا هو مفهوم الاسلام فى فضل العقل ، فإن الاسلام بذلك يكون قد سبق ما نادت به التربية الحديثة ، فى إحدى مفاهيمها التى ترمى إلى أن التربية : « هى إعداد العقل السليم فى الجسم السليم » وهذا المفهوم برز « نتيجة لاعتقاد البعض أن المعرفة هى موضوع التربية ، وأن سلوك الانسان إنما يتأتى عن طريق معرفته ، ويعتبر هذا المفهوم من أقدم المفاهيم التى قدمت للتربية ، نجده عند أفلاطون وأرسطو ، والتربية التقليدية تلتزم به على طول الخط ، ومع الاتجاه المثالى فى الفلسفة ، منذ الفكر اليونانى ، وحتى اليوم ، وظل مع الاتجاه المسمى بالعقلانى (٢) »٠

---

(١) الامام أبو حامد الغزالى ٠ احياء علوم الدين ٠ جـ ١ ، مرجع سابق ، ص ١٤٣٠

(٢) ابراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية ٠ دار المعارف ٠ ط ٣ ٠ ١٩٨٣، القاهرة ص ٢٨٠

ولا شك أن هذا مؤداه أن العقل له الفضل الأول فى التأثير على الجسم إلى درجة كبيرة ، ونحن لو تتبعنا هذا المعنى لوجدنا أن هناك تلازما بين الأثر العقلى والحالات الجسمية ، فكل عمل عقلى يؤثر فى الجسم تأثيرا يتفاوت وقوة العمل العقلى .(١)

وعلى وجه العموم فإن وجهة نظر الاسلام حول فضل العقل ، والتى تبناها العلامة « على القارى » تفوق نظرة التربية الحديثة حول فضل العقل فالاسلام لا يقصر أفضلية العقل وتأثيره فقط على الجسم ، بل إن العقل يبلغ فضله درجة عالية ، هى تمام إيمان المؤمن واستقامة دينه ، وهدايته إلى طرق الخير وإبعاده عن طرق الهلاك . يؤكد هذا المعنى ما أورده « على القارى » فى مخطوطته من الحديث الصحيح الذى رواه عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضله عقلٌ يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ، وما تم إيمان عبدٍ ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » ابن المحبر فى العقل وعنه الحارث بن أبى أسامة.

### * التفاضل بالعقل :

يقيم الاسلام للعقل وزنا يصل به إلى درجة لا تضاهيها قيمة أخرى من القيم ، فالنصر فى المعركة يعتمد على العقل ، وبمقدار نية الرجل وصدق يقينه وقوة إرادته ، وسمو عقله ، يكون بلاؤه فى القتال ، فلا وزن لشجاعة غير محسوبة ، ولا قيمة لشهامة فى تهور ، إنما مقياس ذلك فى الاسلام ، يعتمد على درجة العقل التى تتوفر فى الفرد الانسان.

استند العلامة « على القارى » فى إبراز هذا الجانب ، إلى الحديث

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠.

الصحيح الذى رواه أبو هريرة قال : « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون : « كان فلان أشجع من فلان، وفلان أبلى مالم يبل فلان ونحو هذا » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فلا علم لكم به » قالوا : « وكيف ذلك يا رسول الله ؟ . فقال : « إنهم قاتلوا على قدر ما قسم لهم من العقل ، وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم ، فأصيب منهم من أصيب ، على منازل شتى ، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم » . ابن المحبر.

هذا كما استشهد « على القارى » على التفاضل بالعقل ، بالحديث الصحيح الذى رواه البراء بن عازب ، أن النبى صلى الله علين وسلم قال : « جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله تعالى بالعقل ، وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم ، فأعملهم بطاعة الله أوفرهم عقلا » ابن المحبر فى مسنده.

وهذه الأحاديث تدلل بما لا يدع مجالا للشك ، أن العقل درجات ، وأن التفاوت قائم بين الناس بالعقل على ما سوف يأتى بيانه بعد قليل.

## * شرف العقل وثمرته :

لما كان العقل وعاء ومنبعا للعلم ، وأساسا ومنطلقا له ، خصوصاوأن العلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس ، والرؤية من العين ، لما كان الحال كذلك ، كان شرف العقل مدركا بالضرورة ، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة ؟

هذا وكيف يحدث شك حول شرف العقل ، والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل ، حتى أن أعظم البهائم بدنا ، وأقواها سطوة ، إذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه ، لشعوره باستيلائه عليه ، لما خص به من

إدراك الحيل . قال صلى الله عليه وسلم : « الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته» وليس ذلك لكثرة ماله ، ولا لكبر شخصه ، ولا لزياده قوته ، بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقلة » . (١)

هذا وقد أكد العلامة « على القارى » شرف العقل باستدلاله بحديث رواه الترمذى : « وما خلق الله خلقا هو أكرم عليه من العقل » ، كما استدل كذلك بما رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث على : « إذا اكتسب الناس من أنواع البر يتقربون بها إلى ربنا عز وجل ، فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالألفة والقربة » .

من هذه الاستشهادات والاستدلالات يتضح أن العقل له من الشرف والمنزلة مالا يضاهيه ولا يجاريه فيه شىء آخر ، حتى أنواع البر التى يتقرب بها العباد إلى ربهم ، يتفوق عليها العقل.

من هذا المنطلق فلا غرابة أن ينبه الأئمة على أهمية الاستدلال بالعقل ، تأكيدا لشرفه وتعزيزا لثمرته . يقول الفقيه أبى الليث السمر قندى : «حدثنا ابراهيم أبى يوسف عن أبى حنيفه أنه قال : « لا يحل لأحد أن يأخذ قولنا مالم يعلم من أين قلناه » وروى عن عصام بن يوسف أنه قيل له : « إنك تكثر الخلاف لأبى حنيفة » . فقال : « إن أبا حنيفة قد أوتى مالم نؤت ، فأدرك فهمه مالم ندركه ، ونحن لم نؤت من الفهم إلا ما أوتنيا ، ولا يسعنا أن نفتى بقول مالم نفهم من أين قلناه (٢) ».

---

(١) الامام أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين . جـ ١ ، مرجع سابق ص ص ١٤٠ – ١٤١.

(٢) سعيد اسماعيل على : أصول التربية الاسلامية . مرجع سابق ص ٢٩.

* **طرق اكتساب العقل :**

إذا كنا قد أشرنا إلى أن هناك نوعين من العقل :

– عقل مطبوع ( يتم بالغريزة التى تطبع فى الانسان ).

– وعقل مسموع ( يكتسب بالتجارب والتحصيل ).

إذا كنا قد أشرنا إلى ذلك ، فان المساحة التى يستطيع الفرد أن يتحرك ويحدث نوعا من التنمية فيها ،هى العقل المسموع ( المكتسب ) بمعنى أن الفرد يستطيع بالتعلم ، والتجارب والخبرة ، أن يضيف إلى رصيده من العقل الكثير إذا استخدم المنهج الاسلامى فى ذلك.

ولقد أشار العلامة « على القارى » إلى هذه الطرق ، مستندا إلى الحديث الصحيح الذى يحصرها فى :

* اجتناب محارم الله.

* أداء الفرائض الواجبة لله رب العالمين.

* الالتزام بعمل الصالحات.

ونص الحديث فى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى الدرداء : « إذا ازددت عقلا ازددت من ربك قربا » فقال : « بأبى أنت وأمى فكيف لى بذلك ؟ » فقال : « اجتنب محارم الله ، وأد فرائض الله ، تكن عاقلا ، واعمل بالصالحات من الأعمال ، تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة ، وتنل بها من ربك قربة وعزة ».

ولا شك أن أساليب التربية لو استخدمت هذه الطرق ، ودعت من خلال مناهجها إلى الالتزام باجتناب المحرمات ، وأداء الفرائض ، وعمل الصالحات لاختفت مظاهر كثيرة من انحراف الشباب ، بل سوف يتمسك الشباب بالقيم التربوية ، مثل : الصدق ، الأمانه ، وصيانة المرافق العامة ،

والحشمة ، وحب الانفاق والتصدق فى سبيل الله.

## * التفاوت فى العقل :

الناس متفاوتون فى قدرة العقل على الإدراك ، والعقل ينمو مع الفرد الانسان وفق عمره الزمنى ، كما أن كمال العقل يحدث فى سن الأربعين.

قال تعالى : « حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين » (١) ·

من هنا يمكن القول : أن هناك فروقا فردية بين الناس ، وأن هناك تفاوتا واضحا بينهم ، وضوح الفرق بين نور البصيرة ونور البصر.

ولقد استدل العلامة « على القارى » على هذا التفاوت فى العقل ، وأيضا على التدرج فى تمامه استدل بتلك المقولة : « ثم التفاوت فى العقل الذى هو الغريزة فلا سبيل الى جحده ، فانه مثل نور يشرق على النفس ، ويطلع صبحه ومباديء اشراقه عند شمس التميز · ثم لا يزال ينمو ويأخذ فى التدريج الى أن يتكامل بقرب أربعين سنة · ومثاله نور الصبح ، فان أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه ، ثم يتدرج إلى الزيادة ، إلى أن يكمل بطلوع قطر الشمس · وتفاوت نور البصيرة ، كتفاوت نور البصر ، والفرق بين مدرك الأعمش وبين مدرك الحاد البصر ، بل سنة الله جارية فى جميع خلقه بالتدريج ، حتى أن غريزة الشهوة لا تركب فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة ، بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج ، فكذلك جميع القوى والصفات · ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة ، كان متخلفا عن رتبة العقل

---

(١) سورة الأحقاب ، آية (١٥)

الغريزى » . (١)

وهذا يؤكد أن منهج التدريج هو المنطلق الحقيقى فى الاسلام ، والقاعدة الشرعية أن التمييز عند الصبى والبلوغ هما مناط التكليف ، ولم يكن ذلك كذلك إلا باكتمال العقل عند الانسان.

هذا وقد ألمح العلامة « على القارى » إلى تفاوت المتعلمين ، وفقا لتفاوت عقولهم . ويمكن وضعهم فى تصنيفات ثلاث :

* بليد لا يفهم إلا بالتفهيم.

* ذكى يفهم بأدنى رمز.

* كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور دون التعلم.

وهذا الصنف الأخير ينحصر فى الأنبياء ، حيث تتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم أو سماع . ويعبر عن ذلك بالالهام.

قال تعالى : « يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار (٢) ».

## * الفرق بين العلم والعقل :

اذا كنا فى العملية التعليمية ، نؤكد على أهمية توفر قدر من الذكاء يستطيع المتعلم من خلاله أن يحصِّل ما يلقى اليه ، وإذا كنا نحاول دائما أن نقارب بين الطلاب فى أمر التحصيل ،. ونضع التلاميذ المتقاربى الذكاء فى فصل واحد ، بحيث تكون الفروق الفردية بينهم متقاربة . إذا كنا نفعل ذلك استجابة لنظريات التربية الحديثة ، فإن التربية الاسلامية قد أكدت ذلك من

---

(١) انظر ص ١٦٥ من النص المحقق.

(٢) سورة النور . آية (٣٥).

خلال المفكرين المسلمين ، ومنهم العلامة « على القارى » الذى أشار الى أن هناك فرقا واضحا بين العلم فى ذاته ، وبين قدرة العقل البشرى على تحصيل العلم.

هذا وقد ذكر « على القارى » استشهادا على ذلك بما أورده فى مقام التفرقة بين العلم والعقل ، حيث قال : « وإذا أردت أن تفرق بين العلم والعقل فاعلم أن أحدا من السلاطين سلم ولدا له إلى أحد من الرمالين ليتعلم علم الرمل على وجه التخمين ، فاجتهد الرمال فى تعليم الولد مدة من زمن الاستقبال ، إلى أن صار من جهة العلم فى غاية الكمال ، فأتى به الى السلطان وقال: « ما كان فى وسعى من العلم فعلمته فى غايته ، لكن ليس لى علاج » فى قلة عقله وعدم فطانته » فقال له : « كيف هذا ؟ فقال : «يخفى السلطان فى يده شيئا ويجربه » فأخذ خاتمه فى كفه ، وقال له : « ارم الرمل » فرماه ، وقال : « شيء معدنى » ورماه ثانيا : فقال : « مدور » ورماه ثالثا ، فقال : « مجرف » فقيل له : « فماذا يكون ؟ »ـ.

قال : « رحى » ، فلو كان فيه عقل لعرف أن لا يتصور وجود رحى فى كف أولى النهى ، ومن هنا قال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (١) ».

هذا وقد أنهى « على القارى » حديثه عن العقل بما يفيد أن العقل فى المنهج الاسلامى يستدل به فى الأحكام ، وهو مناط التكليف ، وأن العقل لا ينفع بدون النقل ، كما أن النقل لا ينفع بدون العقل ، فكلاهما صنوان مقترنان ، لا يفترقان ولا يغنى أحدهما عن الآخر.

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٤٣).

* تعليق :

هذا وإذا كان لنا أن نستثمر هذا الفكر ، وتلك الآراء التربوية ، حول مفهوم العقل ، وفضله ، وشرفه ، وثمرته ، وطرق اكتسابه ، وتفاوت الناس فيه ، إذا كان لنا أن نستثمر تلك الآراء ، فنستطيع أن نقول : إن مدارسنا وطرق التربية فيها والعاملين بها وعلى رأسهم المعلمون ، بل وأولياء الأمور ، الجميع فى حاجة إلى فهم هذه الحقيقة من التفاوت فى العقول ، ولا بد من النحت فى الصخور وإنفاق الأموال الضخمة على كم من المتعلمين ، لا تتوفر لديهم أدنى درجة من الذكاء ، الأمر الذى أقحم البلاد فيما لا تحمد عقباه ، فقد بات التعليم مأوى يحتوى لملايين البشر على اختلاف عمرهم الزمنى ، يقضون فترة من الزمن ثم يغادرون معاهد التعليم ، دون اكتساب لمهارة أو علم يمكن الاعتماد عليه.

من هنا اختلط الحابل بالنابل ، ونسمع بين الحين والآخر ، من ينادى بإلغاء المجانية ، أو من ينادى بفتح الجامعة الأهلية ، وهى محاولات تخفى وراءها ضيق الأفق ، وعدم الاستيعاب الحقيقى للعملية التربوية ، وأنها ليست فقط لمن يملكون المال ، وإنما هى فى حقيقتها لمن وهبه الله عقلا راسخا ، وإدراكا وفهما للأمور.

وأليس من نراهم اليوم من كبار العلماء ، أليسوا هم أو بعضا منهم من أبناء الفقراء ؟

من هنا فقضية المجانية دعوى باطلة ! ! ! وقضية الجامعة الأهلية دعوى هروبية من مواجهة الحقيقة ، بل ووكر يمكن أن يحتضن بين جنباته من بيدهم المال ! ! ! ولا شك أننا فى حاجة ماسة إلى فهم حقيقة هذا التفاوت فى العقل ، خصوصا وأن التربية الحديثة على شتى طرقها ووسائلها ، واختلافها من حيث الأهداف والفلسفات ، تكاد تتفق على مبدأ أساسى

وجوهرى : « هو مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين » .

هذا ونؤكد أن الاسلام قد نادى قبل تلك الفلسفات بأهمية تلك الفروق بين الخلق ، فرفع الكلفة عن الصبى حتى يبلغ ، وعن السكران حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، ... الخ وهذا من باب قول الحق تبارك وتعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها (١) » وقوله عز وجل : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (٢) ».

ومن عجيب أن أولى الأمر من رجال التربية ، رغم ادراكهم بتلك الحقائق ، فإنهم يصرون على المغالطات ، وأن فشل التعليم مرده فقط الكثرة الكثيرة من المتعلمين ، ونسوا أن كما هائلا من المتفوقين من أبناء الفقراء ، وأن الندرة اليسيرة من الأذكياء يكون من أبناء الأغنياء ، وهذا يؤكد أن العقل ودرجاته مطبوعا كان أو مسموعا ، وبالغريزة كان أم بالاكتساب لا يميز بين الأغنياء والفقراء.

فحرى بنا أن نتبنى الموهوبين والأذكياء والمتفوقين ، وأولى العقل الراجح ، نتبنى هؤلاء كما تفعل الدول المتقدمة ، ووقتها فقط سيوضع كل فردفى المكان الذى يناسبه ، بصرف النظر من أية فئة ينحدر ، وإلى أية أسرة ينتمى . وهذا هو عدل السماء ، بل وهو الاستجابة الحقيقية للتمييز بين الناس بالعقل المطبوع ( الغريزى ) والعقل المسموع ( المكتسب ).

**التربية السياسية فى فكر العلامة « على القارى » :**

سيناقش الباحث التربية السياسية فى فكر « على القارى» وفقا للتالى:

* تمهيد .

---

(١) سورة الطلاق ، آية (٧).

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٨٦).

## تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء

* تطور نظام الخلافة فى الاسلام.
* مبدأ الشورى والتربية فى الاسلام.
* تعقيب.

**تمهيد :**

لقد انتشرت فى المجتمعات الاسلامية قيم سياسية متهاوية ، اختلت بسببها تلك المجتمعات ، وذاع الفساد ، وعم البلاء ، وزاد الصراع حول تولى السلطة ، وتفشت ظاهرة خداع الجماهير ، كما استقرت السلبية فى المشاركة السياسية لدى كثيرين ، خصوصا من ذوى العلم والفكر وحل النفاق محل الاستقامة ، وممالأة الحاكم بدلا من النصح له ، كما ظهرت قضية فصل الدين عن السياسة بدلا من التحامهما .....الخ.

فى ظل تلك الظواهر المدمرة ، نسى حكام أو تناسوا ، أن بصلاحهم تصلح الرعية وبفسادهم يفسد أمرها ، فالحكام هم القدوة للمجتمع.

والعلماء لا يقلون عن الحكام بحال من الأحوال ، لأنهم المثل الأعلى للمسلمين ، وهم القدوة وقادة الدين . ولا نبالغ إذا أكدنا أن المجتمع الصالح من يتوفر فيه :

* الأمراء الصالحون المصلحون والمنفذون لدعوات الخير.
* العلماء الذين يدركون الحق ويصرحون به ، دون أن يخافوا لومه لائم.

والواقع المشاهد يرينا انصراف كثيرين من أمم وشعوب المجتمعات الاسلامية عن حكامها ، عدا قلة قليله من الناس ، ترى فى التقريب من السلطان تحقيقا لمآربها وأهدافها على حساب مصلحة الجماهير الكادحة ،

والواقع المشاهد يرينا كذلك انصراف الكثيرين من المسلمين عن الالتفاف حول بعض علماء الدين ، لأنهم يمالئون الحكام ، ورغم تأكدهم أنهم لا يحكمون بما أنزل الله.

والشباب المسلم إزاء هذا حائر ومعرض ، فتراه يتطرف فى فكره ، إلى حد الاسراف ، فى مواجهة الفساد الذى استشرى فى المجتمع المسلم.

هذا ويناقش يوسف القرضاوى تلك الظاهرة ويعزوها الى :

- فقدان ثقة الشباب فى العلماء المحترفين من رجال الدين مما اضطر الشباب للجوء إلى كتب الدين.
- بعض علماء الدين يتقربون من السلطة ، فهم متهمون فى نظر الشباب المسلم.
- رغم تأكد علماء الدين أن الحاكم لا يحكم بما أنزل الله ، فإنهم يمالئون الحاكم تقربا وزلفى.
- إشادة بعض علماء الدين بالحاكم بقولهم « ما أعدلك وما أعظمك » بدلا من أن يردوه عن ظلمه وغيه.
- بعض علماء الدين يدورون فى فلك الحكام ، فإن أرادوا الحل حللوا وأن أرادوا الحرمة حرموا.
- بعض علماء الدين يباركون أنظمة الحكم ، اشتراكية كانت أم رأسمالية ، بل تراهم يضلون وينسبون كلاهما للاسلام.(١)

هذا ويطالعنا العلامة « على القارى » فى مفتتح مخطوطته بمناقشة

---

(١) يوسف القرضاوى : الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف ، كتاب الأمة ، العدد (٢) شوال ١٤٠٢ هـ ، ص ٩٠-٩١.

قضية الظلم ، ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه ، وظلم العباد فيما بينهم.

ويستشهد بقول الحق تبارك وتعالى : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » (١) وقوله عز وجل : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا » .(٢) ويعرف الظلم في اللغة بأنه : « وضع الشيء في غير موضعه » وأقواه الشرك وأنواع الكفر ، لقوله عز وجل: « إن الشرك لظلم عظيم » (٣) وأدنى الشرك : وضع محبة غير الرب في ميدان القلب . يشير إليه قوله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا » (٤)

وهذا النوع من الشرك هو الشرك الخفي . هذا كما يعرف « على القارى » الظلم عرفا بأنه : « التعدى إلى مال الغير وعرضه ودمه بغير وجه شرعي » وهو من أقبح أنواع الظلم وأبعدها عن العفو والحلم.

وكما دلل « على القارى » على أنواع الظلم من القرآن الكريم ، فقد استشهد من السنة أيضا بما يؤكد ذلك بحديث : « الدواوين ثلاثة:فديوان لا يغفر الله منه شيئا ، وديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئا. وأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئا،فالإشراك بالله، وأما الديوان الذى لايعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه، أو صلاة تركها ، فإن الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز. وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بينهم،القصاص لا محاله»حديث صحيح .(٥)

---

(١) سورة هود ، آية ( ١١٣ ).

(٢) سورة الاسراء ، آية (٧٤).

(٣) سورة لقمان ، آية (١٣).

(٤) سورة الكهف ، آية ( ٢٨ ).

(٥) ما ورد عن التربية السياسية في فكر على القارى = من ص ٩٤ : ص ١٢٥ من النص المحقق.

بهذه الافتتاحية القوية ، يطل علينا « على القارى » باستشهادات تؤكد تماما أن أفظع أنواع الظلم هو الذى يقع بين العباد بعضهم بعضا ، وخصوصا إذا صدر من الحاكم.

هذا ويستدل العلامة « على القارى » على أن الفتيا فى الأحكام والقضايا من توابع الولاية ، دليل على أن الحاكم بيده مقاليد الأمور كلها ، فهو إن اتصف بصفة الأمانة فقد عدل ، وإلا فهو ظالم نفسه . يقول « على القارى » ولقد كان ابن عمر ... إذاسئل عن الفتيا يقول للسائل : اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس ، ووضع الأمانة فى عنقه ، إشارة إلى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ».

هذا ولا نشك تماما أن القرآن الكريم والسنة المطهرة فرضا علينا أن نطيع أولى الأمر من ولاة المسلمين الذين يحكمون بالعدل ، ويؤدون الأمانات إلى أهلها ، كما يرعون شئون الأمة دينيا ودنيويا ، لا نشك لحظة واحدة فى ذلك ولكن من الواجب شرعا إقامة حاكم أعلى للأمه يوجد تحت سلطته من يعاونه من الحكام والولاة الآخرين. وإلا لانتهينا إلى العقول بوجوب طاعة من لا تجب إقامته وهذا بدوره أمر لا جدوى من ورائه ، ولا معنى له ، بل هو أمر لا يقره عقل أو منطق سليم.(١)

وما أشبه الليلة بالبارحة ، فإذا كان « على القارى » من القرن العاشر الهجرى ، يتبنى قضية الولاة والسلاطين والأمراء ، ومدى تقارب أو تباعد العلماء منهم ، وينوه بفساد القراء ، (٢) بتزلفهم من الأمراء والحكام ، إذا كان الأمر كذلك ، فإن حال المجتمع الإسلامى المعاصر ، قد ازداد سوءا عن

(١) محمد يوسف موسى ، نظام الحكم فى الاسلام ، دار الكتاب العربى ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٤٧.

(٢) المقصود « علماء الدين ».

ذى قبل ، وتفشت وسائط تردى بها العلماء فى مستنقع أنظمة الحكم المختلفة ، واختفت كلمة الحق وحل محلها التملق والرياء.

هذا وقد غدت فكرة الحاكم المتصف بالورع والدين والتقوى ، غدت حلما من الأحلام فى عالم اليوم ، حتى أن مناهج التربية الحديثة اختفت منها تلك الأسس وحل محلها التربية الفردية « تأليه الفرد » نلمح ذلك فى العلوم الإنسانية والتجريبية على السواء لدرجة أن المتعلم أصبح وقد تقولب فى فكر فردى ، يدور فى إطاره ، ويتحرك من خلاله ، وغدت العقول البشرية ممسوخة أو كادت فهى تابعة ومنقادة ، ولا حول لها ولا قوة ، بل إن فكرة الحق والواجب تاهت معالمها من قاموس الحياة الاجتماعية ، خصوصا وأن التربية السياسية للفرد تنصاع لاجتكار فئة حاكمة ، خلا من فكرها مفهوم تربية الفرد الحر الديمقراطى ، الواعى ، المستنير بحقوقه وواجباته ....الخ.

وإذا كنا ندعى حقا أن التربية أداة المجتمعات فى التغيير ووسيلتها فى النهوض بمستوى أفرادها فى شتى المجالات ، فهل حقيقة توفرت فى التربية الحديثة مقومات بناء المواطن الحر ، الذى يمارس حقه فى الانتخابات ، ويمارس حقه فى جميع مؤسسات المجتمع ؟

لا شك أن التربية السياسية غائبة فى مجتمعاتنا ، وصرنا نردد طقوسا جوفاء ترضى الحكام ، وتشبع طموحاتهم ، وتُؤَمِّنُ فترة بقائهم فى الحكم ، ولم يكتب للتربية فى عالم اليوم بناء الفرد المسلم ، والحاكم المسلم ، والمسئول المسلم.

وهذا يستتبع بالضرورة ، إلقاء نظرة حول تطور أنظمة الخلافة فى الإسلام ، حتى نستبين كيف كنا وإلى أين صرنا.

## * تطور نظام الخلافة فى الإسلام :

يناقش العلامة « على القارى » نظام الخلافة فى الإسلام ويحددها فى تطورات أربع :

التطور الأول : وهو الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتى تولاها الخلفاء الراشدون المهديون ، والذين كان من صفاتهم :

* العلم بالله تعالى .
* التفقه فى أحكامه.
* الاشتغال بالفتاوى فى الأقضية.
* عدم الاستعانة بالفقهاء إلا فى وقائع لا غنى فيها عن المشاورة.

وفى هذه الفترة تفرغ العلماء لعلوم الآخرة . يقول العلامة « على القارى » « فتفرغ العلماء لعلم الآخرة ، وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى ، وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا و أقبلوا على المولى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم » .

التطور الثانى : وقد آلت فيه الخلافة إلى قوم تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام فاضطروا إلى :

* الاستعانة بالعلماء والفقهاء.
* اللجوء فى الاستفتاء إلى الفقهاء.
* تولية العلماء والفقهاء والقضاء والحكومات.

هذا ولما تكشف للعلماء إقبال الائمة والولاة عليهم ، أقبلوا على علم الفتاوى ، أملا فى التوصل إلى نُيْل العز وطلب الجاه . يقول « على القارى » « ... فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولايات والصلاة لديهم فمنهم من حرم ومنهم من تبجح ، فالمتبجح لم يخل من ذل الطلب

ومهانة التبدل فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين ، أذلة بالإقبال عليهم ، إلا من يغضه الله تعالى فى كل عصر من علماء الدين ، وقد كان أكثر الاقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية ، لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات».(١)

التطور الثالث : وقد آلت الخلافة فى تلك الفترة إلى قوم مولعون بسماع المقالات والحجج لما فيها من الفوائد ، مما مال بالأمراء إلى الرغبة فى المناظرة والمجادلة فى الكلام . يقول العلامة « على القارى » :« فانكب الناس على علم الكلام وما يتعلق به من الأحكام ، وتركوا سائر أحكام الاسلام واستمرسوا فنون المناقضات وأصناف المقاوضات فى المقالات . وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله وقمع البدعة والتدافع عن السنة. » (٢)

التطور الرابع : وفى تلك الفترة ، مال الأمراء إلى تقبيح المناظرة ، لما تولد عنها من فتح باب التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة التى قد تفضى إلى اراقة الدماء ، وتخريب البلاد ، وإشاعة الفوضى والفساد ، ومن هنا مال الأمراء إلى علوم الفقه على مذاهبه جميعا . يقول « على القارى» فترك الناس الكلام وفنون علوم الإسلام وانسالوا على المسائل الخلافية بين الحنفية والشافعية وتساهلوا فى الخلاف مع المالكية والحنبلية ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع . واستخراج حقائق الأصل والفرع ، وتقرير علل المذاهب وأدلتها ، وتمهيد أصول الفتاوى وتتمتها ، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات وزينوا فيها المجادلات ».

هذا كما يستشهد « على القارى » برأى الإمام الغزالى ، والذى يؤكد

---

(١) انظر : ص ١٣٠ من النص المحقق.

(٢) انظر : ص ص ١٣٠ — ١٣١ من النص المحقق.

أن نفوس العلماء تميل حيث يميل الإمام ، يقول الغزالى « .... ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر وإلى علم آخر لمالوا أيضا معهم ، وزعموا أن ما اشتغلوا به هو من علم الدين ، وأن لا مطلب لهم إلا التقرب إلى رب العالمين ... » (١).

## * العلماء والسلاطين :

يميل العلامة « على القارى » فى آرائه التى أودعها مخطوطته إلى ضرورة فرار العلماء من السلاطين الظلمة ، ويؤكد على أن العالم إذا تقرب من السلطان ، وسعى إليه ، ووقف ببابه ، فهو متهم فى دينه.

هذا ويستشهد « على القارى » على ذلك بقول سحنون بن سعيد ابن حبيب التنوخى : « ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال هو عند الأمير . قال : وكنت أسمع أنه يقال : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم ، حتى جربت ، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج ، فإذا عليها الدرك (٢) وأنتم تعلمون وترون ما ألقاه به من الفظاظة (٣) والغلظ وكره المخالفة لهواه ، ولوددت أنى أنجو من الدخول عليه كفافا ، مع أنى لا آخذ منهم شيئا ، ولا أشرب لهم شربة ماء . ثم قال : علماؤنا شر من علماء بنى اسرائيل ، يجيزون السلطان بالرخص ، وبما يوافق هواه ، ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم ».

من هنا يمكن القول أن :

---

(١) انظر : ص ص ١٣٣ - ١٣٤ من النص المحقق.

(٢) الدرك بمعنى الذنب والمؤاخذة.

(٣) الفظاظة : القسوة والإساءة ، انظر المعجم الوسيط ( فظظ )

* العالم المحب للدنيا بغير حدود ، الراغب فى صحبة السلطان متهم فى دينه ٠

* العالم الذى يتردد على السلطان لا ينجو من ارتكاب المعاصى بموافقته للسلطان٠

* الغالب الأعم أن العالم الذى يغشى أبواب السلاطين يجيزهم بالرخص التى توافق هواهم٠

* العالم الذى يخالف السلطان فيما ذهب اليه ، ويفتيه بما لا يوافق هواه ، لاحظ له عند السلطان ، فهو يكره دخوله عليه ٠ وقد يكون فى ذلك نجاته عند ربه٠

هذا ويستمر « على القارى » فى الاستشهاد على أن العالم الذى يغشى أبواب السلاطين متهم ، يقول ابن أبى وقاص لبنيه بعد أن ألحوا عليه فى ارتياد أبواب السلطان يقول : « يا بنى ، لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سمينا »٠

قال الحسن : خصهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان »٠

والامام « على القارى » يرى بعدم قبول شهادة العلماء الذين يعينون السلاطين ، لأنهم إما ظلمة أو فسقة ٠ يقول : « وإذا كان من أعوان الظلمة ، فيتعين أن لا تقبل شهادته على أحد ، فإنه إما ظالم أو فاسق »٠

هذا ويستشهد « على القارى » على ضرورة أن يعتز العالم بنفسه ولا يطلب الدنيا فى ذل ، يستشهد بقول بعض المشايخ : « إن ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا يمضغه غيرك ، فكُل ويحك رزقك بالعز ولا تاكله بالذل » وهذا من باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لابن مسعود : فى الخبر المأثور : «ليقل همك ما قدر يأتيك ومالم يقدر لم يأتك »٠

ويؤيده قوله تعالى : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » (١)

ولا شك أن العلامة « على القارى » وهو العالم الزاهد ، يؤكد على أهمية ابتعاد العالم عن الشبهات حتى فى المباح منها ، لأن الخوض فيها يوجب الأنس بها ، حتى يشق تركها ، فاستدامة الزينة ، تؤدى بصاحبها إلى ارتكاب المعاصى ومداهنة الخلق ، فالحزم اجتناب التزين بالمباح ، مع أنه ليس بحرام ، لأن السلامة لا تتحقق إلا بترك الخوض فيه . « ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض ( فيه ) لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم كما فى الصحيحين ، ونزع الخاتم الذهب فى أثناء الخطبة »٠

وواقع الحال أن العلامة « على القارى » وهو من المتأخرين ، لما رأى فساد السلاطين ، وما يلحق بصحبتهم من مشاركتهم فى ظلمهم ، أراد أن ينبه أهل العلم بشأن رفضهم مصاحبة السلاطين ، والبعد عنهم ، وإن كان هذا لا يعنى بالضرورة ورفض ( على القارئ ) النصح للسلطان خصوصا إذا كان من الذين يقبلون النصيحة ، وهذا ما حدث فى بعض الأحوال ، ولكن قبل زمان « على القارى » بزمان٠

## * مبدأ الشورى والتربية فى الإسلام :

إن قضية الشورى فى الإسلام ، من أصول الحكم ، قرره ربنا سبحانه فى كتابه الكريم كما نصت السنة أيضا على مبدأ الشورى ، وكذلك ثبتت الشورى فى التطبيق الإسلامى فى مختلف العصور ٠(٢)

---

(١) سورة التوبة ، آية (٥١)٠

(٢) عمر شريف : نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية ٠ القاهرة ٠ مطبعة المدنى ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٢٠

من هنا فليس بمستغرب أن ينص القرآن فى آياته على مبدأ الديمقراطية المبنية على الشورى.

قال تعالى: « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » (١) وقال تعالى : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون» (٢)

هذا كما ثبت أن النبى صلى الله على وسلم كان شديد الحرص على استشارة الصحابة ، والاستفادة من آرائهم ، فكان لا يبرم رأيا إلا بعد بحثه وتمحيصه ، واستشارة الصحابة فيه ، كما حدث فى غزوتى بدر وأحد ، وفى غزوة الخندق ، وكان لا يفضل أحدا على أحد فى المشورة.

من هذا المنطلق يمكن القول أن مبدأ الديمقراطية مقرر لنظام الحكم فى الإسلام والذى يقوم على أساس من الشورى . (٣)

وعلى وجه العموم : فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية حثت على مبدأ الشورى بين المسلمين ، وجعلت منه أساسا للنظم السياسية فى الإسلام ، وذلك أوضح برهان وأبلغ دليل على أن الإسلام يقدس حرية الفكر ، وتبادل الرأى لأن فى ذلك نفع عظيم لزيادة المعرفة ورقى الإنسانية وازدهارها.(٤)

هذا ولا شك أن توجه « على القارى » لنصح الحاكم يتفق مع مفاهيم

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٥٩).

(٢) سورة الشورى ، آية (٣٨).

(٣) حسن ابراهيم حسن ، على ابراهيم حسن . النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٠ م ، ص ٦ – ٧.

(٤) عاصم أحمد عجيلة ، الحرية الفكرية وترشيد العقل الاسلامى ، القاهرة ، مطبعة =

الدين الإسلامى ، فإذا « كان الله سبحانه يدعو الخلق أن يتواصوا بالحق وكذلك أن يتواصوا بالصبر فإن التواصى لا يكون إلا من متعدد ، فلا نجاة من الخسران إلا بأن يقوم الأفراد من المجتمع ، مهما عظم عددهم ، بأن يوصى كل واحد منهم من يعرفه من الباقين بأن يطلب الحق ويلتزمه » .(١)

ولا شك أن العلماء عليهم العبء الأكبر فى التناصح ، حسب الأزمان واختلاف الأحوال للأمم ، فعليهم أن يتعلموا كيفية تفسير أحداث التاريخ ، وعلم تكوين الأمم ، وكيف ترتقى ثم تهبط ، ثم يعرفون طرفا من علم الأخلاق وأحوال النفس ، وعلم الحس والوجدان ، ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق ، وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والأخروية ، ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر إلى جانب الخير ، فإن لم يقوموا بذلك فوزر العامة عليهم ، ولا تقبل دعوى العجز منهم ، فما أنفقوه من البحث فى الألفاظ والأقوال كان يكفيهم أن يكونوا هداة ومرشدين . من هنا توجب الأمر أن يطلبوا العلم من سبله التى قام عليها السلف الصالح والله كفيل أن يمدهم بمعونته .(٢)

هذا ولعمرى أن تلك النزعة نحو ترشيد العلماء ، مما يوافق ما أتى به العلامة « على القارى » حيث يثبت ويدلل فى مخطوطته أن على العالم أن يكون حريصا على طلب العلم وطلب الزيادة منه ، لقوله تعالى : « وقل رب زدنى علما » (٣) ولقوله عليه السلام : « ... لابورك فى يوم لا أزداد فيه علما » ولقولهم « من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان ، ومن أستوى يوما

---

= نهضة مصر ١٩٨٤م ، ص ٥٤ . نقلا عن : صول بادوفر معنى الديمقراطية ترجمة : جورج عزيز ، دار الكرنك ، ص ١٤٢.

(١) سعيد اسماعيل على ، أصول التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٧٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٣.

(٣) سورة طه ، آية ١١٤.

فهو مغبون » وقال ابن المبارك : « لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فإن ظن أنه قد علم فقد جهل » ويؤيده حديث : « منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب الدنيا » رواه ابن عدى عن أنس .

* تعقيب :

لا شك أن دراستنا لآراء العلامة : " على بن سلطان القارى " حول التربية السياسية ، أوقفتنا على الكثير الغزير من القيم والمبادىء ، التى نقف أمامها مشدوهين ، من شد وقعها وجلال خطرها ، خصوصا مع المغالطات حول المفاهيم الإسلامية ، فيما يرتبط بنظام الخلافة وموقف علماء الدين منها ، ونظام الشورى ومغالطة الحكام حوله ، ثم توهان التربية فى مزلق تبنى وجهة نظر الحكام بدعوى أنهم مبرأون عن الخطأ ، ويعيدون عن الجور والظلم.

إننا نتساءل : من يقع عليه عبء تحمل أوزار هذه الكارثة ؟ ومن هم الذين بيدهم أن يقوموا بواجب الإصلاح الإجتماعى والسياسى والتربوى لهذه الفجوة الرهيبة والشرخ الدامى فى الفكر التربوى الإسلامى ؟ .

ثم ما شروط وصفات من يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ إن أدنى ما نقوله هنا : هو أن السلبية المعلنة ، نحو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعدم الاكتراث بما يمارس فى حق الفرد والمجتمع دون أن يجد صدى عند فرد مسلم ، ودون أن يجد نظاما تربويا ، يصلح ما أفسده الدهر، إن كل هذا لمن دواعى تقويض أساس وعمد المجتمع من جذوره.

لا شك أن أسوأ ما تبتلى به أمة أو جماعة ، هو ألا يتناصح أفرادها وألا يناصح الأفراد أمراءهم ، وإن من واجب كل فرد إذا رأى خللا أو قصورا فى أميره أو جماعته أو أمته أن ينصح ، وأن يتابع النصيحة مع

الأدب واللياقة وأن يحتال لإزالة الخلل والقصور ، وأن يبذل كل الجهد للاقناع .(١)

هذا ولا يخفى أن مجتمعا من المجتمعات ، تلك صفاته ، فلا مندوحة من أن يستشرى النفاق فى كل جوانب الحياة فيه . وإذا كان علماء الدين هم حقيقة القادة السياسيون لأمة الاسلام ، فلا يجوز لهم أن يتخلوا عن هذا الالتزام تحت أى دعوى من الدعاوى ، لأن نصح الحاكم وتعليم المحكوم ، من صميم عملهم الذى يجب أن يتحروه وأن يؤدوه كما أمرهم ربهم ، وعندما يفتقدون دورهم هذا فقد حقت على المجتمع الكلمة ، ووقتها يقع الفساد والإفساد وتحيط الكوارث ويعم البلاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

(١) سعيد حوى ، فصول فى الإمرة والأمير ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ١٠٥.

## التربية الأخلاقية والروحية فى فكر « على القارى »

**تمهيد :**

بادىء ذى بدء ، سنبحث التربية الأخلاقية والروحية من وجهة النظر الدينية ، على اعتبار أن القيم الأخلاقية والروحية ، متكاملان ومستمدان فى مجتمعاتنا الإسلامية من الدين الاسلامى.

والخلق يعنى : تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار ، وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل ، عند تفتح الحياة الخلقية ، والتى توجد فى النفس الإنسانية فطريا ، حيث يستطيع الإنسان العادى أن يميز – إلى حدما – وفى كل ما يقوم به من أنواع السلوك بين ما هو خير وما هو شر ، وبين ما هو محايد لا ينفع ولا يضر ، كتمييز الفرد بين الجميل والقبيح فى عالم المحسوس .(١)

هذا كماأن الأخلاق تمتد لتشمل كل ميادين الخبرة الإنسانية ، على أن منبعها الأساسى كامن فى فطرة الإنسان ، بما يتفق مع مقومات الدين الإسلامى فى مجتمعاتنا الإسلامية.

ولا شك أن : " الأخلاق ضرورة من ضروريات تنظيم المجتمع ، وفى عدم وجودها تسود شريعة الغاب ، حيث تصنع القوة الحق ، بدلا من أن يصنع الحق القوة " (٢)

وارتباط التربية الأخلاقية بالروحية ، نابع أصلا من أن مصدرهما واحد ، وهو الدين الإسلامى طالما أن الدين يحتم علينا الاعتقاد فى وجود الله ،

---

(١) ابراهيم عصمت مطاوع . أصول التربية . مرجع سابق ، ص ١٠٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٥.

يدبر ويصرف شئون الكون بما يفيد الفرد الإنسان ، وبما من شأنه أن يستنهضه لمناجاة ربه، يفعل ذلك ويمارسه فى خشوع ورغبة ورهبة، وخضوع وتذلل وتمجيد ، لأن مبدأ التوحيد جدير بالطاعة والعبادة لله رب العالمين ، خصوصا وأن الدين يتضمن جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات القوة الإلهية ، كما تحدد القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها ٠(١)

ونحن اذ نناقش الآراء حول التربية الأخلاقية والروحية " لعلى القارى " سوف نستعين بما استدل به فى مخطوطته كما سندعم تلك الآراء من خلال الفكر الإسلامى من المنظور المعاصر ، حيث أننا مؤمنون بأن استرشادنا بالأدلة الشرعية ، يعيننا على تقديم رؤيا إسلامية لقضايا معاصرة٠

## طبيعة العصر ومظاهر فساد الخلق :

لا يختلف اثنان على أن عصرنا الحالى ، قد امتلأ بكثير من مظاهر الفساد الخلقي بصورة لم تعد قابلة للسكوت عليها ، أو السلبية فى مواجهتها ، ذلك أن اهتزاز القيم ، وظهور الرشوة ، والوصولية ، وفقدان القدوة ، والنفاق ، والسلبية أمام مواجهة المشكلات ، باتت كلها تهدد كيان المجتمع الإسلامى ، وتهزه من جذوره ، والشكوى قائمة على جميع المستويات ، الشعبية منها والثقافية ، والسياسية منها والقانونية ٠٠٠٠ الخ٠

هذا وإذا كان العلامة " على القارى " وهومن رجال القرن العاشر الهجرى ، ينبه كثيرا فى مخطوطته ( محل دراستنا ) على أن زمانه مشحون بكثير من تلك المظاهر سالفة الذكر ، وأن مبدأ العزلة للعلماء قد حل وأن ظاهرة النفاق للحكام وممالأتهم أصبحت داء عضالا يستصعب على الحل ، إذا كان " على القارى " يرى ذلك منذ أكثر من خمسة قرون مضت ، فكيف

(١) ابراهيم عصمت مطاوع ، المرجع سابق ، ص ٧١١٠

بنا فى عصرنا الحالى ، ونحن أمام موجة عاتية من الانهيار الأخلاقى ، والانحطاط للقيم الروحية ، لدرجة بات معها الاستهزاء والسخرية من فئات كثيرة فى المجتمع الإسلامى ، استهزائهم ممن نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله ، وسخروا جهودهم لانقاذ ما يمكن إنقاذه من فئات المجتمع ، خصوصا مجتمع الشباب منهم، أقول إن ظاهرة اللامبالاة والتفسخ الأخلاقى الماجن، المتمثل فى بعض برامج أجهزة الإعلام على جميع مستوياتها ، وخصوصا الأفلام والمسرحيات الهابطة،المتضمنة الوانا من الخلاعة والمجون، كل تلك مظاهر، يقف أمامها العلماء ، ورجال الفكر المسلمين عاجزين خصوصا إذا باركت الأجهزة السياسية هذا التوجه ، أو على الأقل سكتت عنه .

من هنا فلا مندوحة من دق ناقوس الخطر أمام تلك الظاهرة الرهيبة ، والوقوف بكل حزم وقوة فى مواجهتها ، خصوصا من علماء الدين الذين عليهم يقع عبء تلك المسئولية ، قال تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ..." (١)

هذا ويرى الباحث أن مظاهر فساد الخلق متعددة أسبابها ومنها :

* انحراف علماء الدين عن رسالتهم الحقيقية :

ذلك أن اعتزاز عالم الدين بشخصيته ، وادراكه للدور الذى يجب أن يلعبه فى المجتمع ، بات غائبا ، وبدلا من أن يسعى الأفراد إليه ، غدا هو يسرع الخطى للقاء الحكام ، وتلك أفقدت المجتمع ثقته فى عالم الدين ، مما حدا بالمجتمعات أن تلجأ إلى مصادر أخرى ، تتلقى عن طريقها مقومات خلقية قد تكون سيئة وقد تكون غير ذلك .

هذا والمخطوطة التى نحن بصددها مشحونة بالكثير الغزير حول تلك الظاهرة التى هى الداء العضال فى كل عصر وفى كل مصر ، منذ مئات

---

(١) سورة آل عمران ، آية ( ١١٠ ) .

السنين ، يدلل " على القارى" على ذلك بحديث رواه ابن ماجة عن أبى هريرة: " شرار العلماء الذين يأتون الأمراء ، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء" كما روى ابن ماجة أيضا عن أبى هريرة : " نعم الأمير ، على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير " كما روى ابن عباس : " سيكون قوم بعدى من أمتى سيتفقهون فى الدين ويقرءون القرآن ويقولون : نأتى الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك ، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك ، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا "(١)

كما روى البزار عن معاذ : " شرار الناس فاسق قرأ كتاب الله وتفقه فى دين الله ، ثم بذل نفسه لفاجر ، إذا نشط تفكه بقراءته ومحادثته ، فيطلع الله على قلب القائل والمستمع ".

ولا شك أن من أهم أسباب انزلاق علماء الدين إلى تلك الهوة السحيقة هو الحرص على طلب الدنيا ، ونسى هؤلاء خطورة ومغبة طلب الدنيا بالدين ، يؤكد هذا المعنى العلامة " على القارى " فى استدلاله بحديث رواه عطية ابن بشر المازنى : " علم الله آدم ألف حرفة من الحرف وقال له : قل لولدك وذريتك ان لم تصبروا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين ، فإن الدين لى وحدى خالصا ، ويل لمن طلب الدنيا ويل له ".

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : " أن فى جهنم واديا تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة ، أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم ، وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان " وروى الديلمى عن الحسن : " كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، فذكرنا الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال : "غير الدجال أخوف عندى عليكم من الدجال ، أئمة مضلون » .

(١) استند الباحث فى حديثه عن آراء " على القارى " حول التربية الأخلاقية والروحية إلى الأحاديث والآراء المتناثرة فى " المخطوطة " انظر النص المحقق : ص ص٩٤ – ١٦٨.

* غياب التربية الروحية ومبدأ المراقبة والمجاهدة للنفس:

شأن العلماء أن يرتفعوا بعلمهم إلى درجة السمو والشفافيه والقرب من الله رب العالمين ، ويوم أن يصل العالم إلى المستوى الرفيع فى علمه فإنه يسمو بنفس القدر إلى درجة التواضع والخوف والرجاء والطمع فى رحمة الله ، كما يزداد اجتهادا فى تحصيل ومجاهدة النفس ، فذلك والله هو الذى استفاد بعلمه ، فانتفع به ، بيد أن صنفا آخر من العلماء ، طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس فهو يزداد بذلك غرورا ، وبعدا عن الدين ، فلم ينتفع بعلمه.

وفى كل عصر ، نلمح الكثرة الكثيرة من رجال الدين ، وقد غابت من بينهم مقومات ، مراقبة النفس ومجاهدتها ، أو بالأحرى غاب من بينهم الجانب الوجدانى والروحى ، فبدت تصرفاتهم لا تبنىء عن بذل جهد من أجل الآخرة ، بل كان جل اهتمامهم بإيثار الدنيا على العقبى ، والحياة على الآخرة.

يتبنى " على القارى " فى مخطوطته هذا الجانب ، ويدلل على أهمية التربية الروحية والوجدانية للعلماء ، وأنها من مقومات رجال الدين ، الذى لا يغتر بعلمه ، ولا يفتتن بدنياه.

هذا ويسدل " على القارى " على ذلك بحديث : " من طلب العلم لله لم يصب منه بابا إلا ازداد فى نفسه ذلا وفى الناس تواضعا ، ولله خوفا وفى الدين اجتهادا ، فذلك الذى ينتفع بالعلم فليتعلمه ، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابا إلا ازداد في نفسه عظمة وعلي الناس استطالة وبالله اغترار وفي الدين جفاء ، فذلك الذى لا ينتفع بالعلم فليتمسك وليكف عن الحجة علي نفسه والندامة والخزي يوم القيامة ".

كما يدلل بحديث رواه ابن عساكر عن ابن مسعود قال : " لو أن أهل العلم صانوا العلم ، ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا ، لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم ، سمعت نبيكم صلي الله عليه وسلم يقول : " من جعل الهموم هما واحدا ، هم المعاد ، كفاه الله سائر الهموم ، ومن شعبته الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أى واديها هلك ".

ولا شك أن الزهد في الدنيا ، هو من أمارات التقوي للعالم ، ومن علامات الصلاح والقبول في الدنيا والآخرة ، فالعالم الزاهد ، يكرس حياته للعلم ، فهو في مجاهدة دائمة للنفس ، وفي مراقبة مستمرة لأفعاله ، فيعيش في الدنيا ، طيبة سيرته ، ومقبولا قوله ونصيحته ، لأنه تشاغل بمرضاة ربه وتخلى عن زخرف الدنيا وبهجتها . قال تعالي : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ". (١)

روى الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى أنه قال لابنه : " اشترلى دارا بعيدة من القراء ، مالي بقوم ، إن ظهرت مني زلة هتكوني ، وإن ظهرت علي نعمة حسدونى ".

والمميز بين عالم الدين الزاهد ، وعالم الدنيا المغرور ، يصدق عليه قول :

تشاغل قوم بدنياهم .. وقوم تخلوا بمولاهم

فألزمهم باب مرضاته .. وعن سائر الخلق أغناهم

كما يصدق على العلماء الزاهدين قول القائل :

أرى الزهاد في روح وراحة .. قلوبهم عن الدنيا مزاحة

إذا أبصرتهم أبصرت قوما .. ملوك الأرض سيمتهم سماحة

---

(١) سورة الأحزاب ، آيات ( ٧٠ – ٧١ ).

والعالم الذي تنقدح حلاوة العلم فى قلبه ، ويلازم العبادة بحقها ، إنما يفر من الناس ويستوحش صحبتهم ، عن ابراهيم بن أدهم بن منصور :

" كن واحدا إمعيا ومن ربك ذا أنس ومن الناس وحشيا ، ثم اعلم أنك متى عانقت العبادة بحقها ولزمتها حق الملازمة ، وجدت حلاوة المناجاة واستأنست بكتاب الله وسنة رسول الله استغنيت عن الخلق ومرامهم واستوحشت من صحبتهم وكلامهم وسلامهم " .

هذا ولا يخفى فضل علماء الآخرة " علماء الباطن " ؛ فقد قال حجة الاسلام الغزالي : " وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقربين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب " وكان الإمام الشافعى يجلس بين يدى شيبان الراعي كما يقعد الصبي في مكتب ، ويسأل كيف فى كذا وكذا ؟ فيقال له : مثلك يسأل هذا االبدوي ! ! ! فيقول : " إن هذا وفق لما علمت " وفي نسخة: " لما جهلناه ". وقد كان أحمد بن حنبل ويحي بن معين يختلفان إلي معروف الكرخى ، ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما ، وكانا يسألانه ، وكيف لا !!! وقد قال صلى الله عليه وسلم : " سلوا الصالحين واجعلوه شوري بينهم " من هنا قيل : " علماء الظاهر زينة الأرض والملك ، وعلماء الباطن زينة السموات والملكوت " وقد قال بعض العارفين : " لا تنظر إلي الأغنياء ، فإن بريق أموالهم يذهب برونق أحولاكم " .

ومن هذا العرض يتضح أن مجاهدة النفس ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة هي سمات العلماء بالله ، الذين تتفجر ينابيع الحكمة من أفواههم بفيض من ربهم . " أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " (١)

هذا وإذا كانت التربية الأخلاقية والروحية شبه غائبة بين علماء الدين

---

(١) سورة البقرة ، آية ( ١٥٧ ).

والعلماء منذ السنين ، فإنها فى عصرنا هذا أشد غيابا ، ذلك أن المتغيرات التى حلت بالمجتمعات ، و الاستعمار الذي عاث فى الأرض فسادا ، قد دمر الكثير من القيم ، فانشر الفساد ، وحل الصراع الفكرى ، واشتدت تيارات الخلاف ، بين المذاهب الوصفية ، وصراع الفكر الاسلامي في مواجهتها .

من هذا المنطلق انحدرت القيم الخلقية فى عصرنا الحاضر ، ولا أقول ينطبق عليها ما أشار إليه العلامة " على القارى " منذ مئات السنين بل أقول إن القيم الأخلاقية والروحية ، باتت في عصرنا أثرا بعد عين ، وسط أمواج الغزو الفكري .

**تعقيب :**

مما لا جدال فيه أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مقومات استيعاب التربية الخلقية والقيم الروحية بين أفراد المجتمع . ولا يختلف اثنان علي أن ما نعانيه في مجتمعنا الإسلامى المعاصر ، تكمن أسبابه ، في غياب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ذلك أن الميل بالقرآن والسنة إلي رؤية رجال الدين التي يميلون بها نحو إرضاء الحاكم ، لهو جدير أن يزلزل أركان المجتمع خصوصا إذا كان هذا الميل بالدين ، تم فى محاولة للملاءمة بين اتجاه سياسي معين ، أو فلسفة نظام حكم خاص من ناحية ، وبين مبادىء الدين الاسلامي ممثلة في القرآن والسنة من ناحية أخرى .

وإذا كنا قد أكدنا من قبل ما يجب أن يتحمله علماء الدين ، فإننا نكرر مرة أخري أن ترسيخ القيم الخلقية والروحية يكمن بالدرجة الأولي فى التزام علماء الدين بنصح الحكام والمحكومين على السواء ، فهذا هو من صميم عملهم اليساسى في المجتمع المسلم ، وأى تخل عن هذا هو الخسران المبين .

وإن أشد ما تعانيه أمة من الامم هو استبداد اليأس بأهلها وانتشار الأرهاب فى ربوعها والفساد الفكرى بين علمائها ، وتفصيل الأحكام إرضاء لرغبة أمرائها ، وتأصيل الفتاوى الشرعية نزولا علي رغبة زعمائها .

وهذا هو قمة الفساد بعينه الذي أشار إليه العلامه " علي القارى " منذ مئات السنين، مستشهدا في مخطوطته بما رواه ابن عدي عن أبى هريرة قال " ان في جهنم واديا تسعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة ، أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وإن أبغض الخلق إلي الله عالم السلطان ".

وروي مسلم : " سيكون عليكم أفراد تعرفون منهم وتنكرون ، ومن أنكر فقد برىء ، ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع أبعده الله ، قيل : أفلا نقتلهم ؟ : قال : لا ماصلوا ".

من هنا فان تثبيت القيم الخلقية والروحية داخل المجتمع ، يعتمد بالدرجة الأولي على عناصر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقدوة الحسنة من العلماء والفقهاء والعاملين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تأسيا بقوله تعالي : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " (١)

(١) سورة الاحزاب ، آية (٢١).

## العلم والتعليم فى فكر" علي القارى "

### أولا : فضل العلم وأقسام العلوم :

* **تمهيد :**

تناول العلامة " علي القاري " فى مخطوطته الحديث عن فضل العلم وأقسام العلوم . وفيما يرتبط بفضل العلم ، فقد مال " علي القاري " الي أنه لا يوجد شيء في الوجود أعز من العلم ، كما أنه فضل العلم بالله " علوم العقيدة " علي سائر العلوم الأخرى.

هذا كما تناول فى تقسيمه للعلوم : علم المكاشفة وهو العلم المجرد ، وعلم يعين على العدل وهو العمل المجرد ، وعلم طريق الآخرة ، وهو المركب من علم وعمل .(١)

وسنناقش فضل العلم وأقسام العلوم فى ضوء توجيهات العلامة " علي القاري " فى مخطوطته ، مستعينين في ذلك بالأحاديث الصحيحة التى استند اليها كما سوف يستعين الباحث بما أورده الإمام الغزالى في احياء علوم الدين ، مما يؤيد توجهات العلامة " علي القاري " ويضفى عليها المزيد من الدقة والتمحيص.

* **فضل العلم :**

لا شك أن العلم فضله كبير ، وشواهد ذلك من القرآن والسنة ( النقل )

---

(١) استند الباحث في هذا الجزء إلي ماورد بنص المخطوطة . انظر من ص ص ١٢٧ – ١٥٩ .

وشواهده أيضا من العقل ٠ فمن النقل قوله تعالى : " شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم "(١)وقوله تعالي : " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون " (٢)

هذا وقد أفاض " الغزالي " في إحياء علوم الدين من الاستشهادات بالآيات والأحاديث والأخبار التي تدلل في دقة تامة علي فضل العلم ٠ من تلك الاستشهادات ، حديث متفق عليه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده " ، وأيضا حديث رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " العلماء ورثة الأنبياء "، وقوله صلى الله عليه وسلم : " خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمت ، وفقه فى الدين " . رواه الترمذي من حديث أبي هريرة (٣)٠

وقوله صلى الله عليه وسلم : " فضل العالم علي العابد كفضل القمر ليلة البدر علي سائر الكواكب " . رواه الترمذي وابن حبان ٠(٤)

هذا وفى شرف العلم وفضله يقول الشافعى رضي الله عنه : " من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ، ومن رفع عنه حزن " ٠ وقال عمر رضي الله عنه : " يأيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه ، فإن أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات ، لئلا يسلبه رداءه وان تطاول به ذلك الذنب حتي يموت " ٠ وقال الأحنف رحمه الله : " كاد العلماء أن يكونوا أربابا ، وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره " ٠ (٥)

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٨٠

(٢) سورة العنكبوت ، آية ٤٣٠

(٣) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ١ ، مرجع سابق ، ص ٨ – ٩ ٠

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٠

(٥) أبو حامد الغزالي ، المرجع السابق ، ص ١٤٠

ومن الشواهد العقلية على فضل العلم ، يقول الغزالي في الإحياء : "والعلم فضيلة في ذاته وعلي الاطلاق من غير إضافة ، فانه وصف كمال الله سبحانه ، وبه شرف الملائكة والأنبياء " (١) وإذا نظرنا الي العلم وجدناه لذيذا في نفسه ، فيكون مطلوبا لذاته ، كما نجده وسيلة إلي الدرار الآخرة والسعادة فيها، فهو من أسباب القرب من الله تعالي، فلا يتوصل إليه الا به.

هذا ولما كانت أعظم الأشياء رتبة للإنسان : السعادة الأبدية ، وطالما أن أفضل الأشياء ما هو وسيلة اليها ، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ، ولن يتوصل إلي العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، لما كان الأمر كذلك علم أن أصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم ، لأنه أصل الأعمال فهو لذلك أفضل الأعمال ، هذا ومعلوم أن ثمرة العلم : القرب من الله والالتحاق بأفق الملائكة ، ومقارنة الملأ الأعلي ، كما أن من ثمرة العلم في الدنيا : العز والوقار ، ونفوذ الحكم علي الملوك ، ولزوم الاحترام في الطباع " (٢) ويدلل العلامة " علي القارى " في مخطوطته ( محل دراستنا ) على فضل العلم بكثير من الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين . من ذلك : " سئل ابن المبارك : " من الناس ؟ فقال : العلماء . فقيل من الملوك ؟ قال الزهاد . وقيل: من السفلة ؟ فقال : الذين يأكلون بدينهم " كما يدلل علي القاري " . بقول يحى بن معاذ : " العلماء أرحم بأمة محمد صلي الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم " قيل وكيف ذلك ؟ قال : " لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة "

(١) المرجع السابق ، ص ٢١.

(٢) المرجع السابق ، ص ص ٢١ – ٢٢.

وقد قال أبو الدرداء : " لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة " وقوله أيضا : "العلم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج "لا خير فيهم "٠

هذا ويستدل " علي القاري " في مخطوطته علي فضل العلم بقول الشافعي " من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وخالقها في قلبه فقد كذب " كما يستشهد بما كتبه حكيم إلي آخر : " قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعي أهل العلم بنور علمهم " ويستمر في الاستدلال أيضا ؛ يقول عيسى عليه السلام :

ما أكثر الشجر ٠٠٠ وليس كلها يثمر

وما أكثر الثمر ٠٠٠ وليس كلها يطيب

وما أكثر العلوم ٠٠٠ وليس كلها بنافع

وهذا ويري العلامة " علي القارى " أن لب العلم هو التوحيد ، وغايته عند ذوي التأييد أن تري الأمور كلها من الله تعالي ، رؤية بقطع التفاقد من الأسباب والوسائط والإضافات ، فلا يري الخير والشر كله إلا منه٠

ولا شك أن " علي القارى " ينفذ من وراء ذلك إلي نتائج تفيد المسلم فى سلوكه وتصرفاته ، من ذلك مبدأ : التوكل علي الله تعالي ، وترك شكاية الناس ، وترك الغضب عليهم ، والرضا والتسليم لحكم الله رب العالمين٠

كما ينفذ " على القارى " من ذلك إلي وضع العالم أمام الخيار الصعب ، فهو إما أن يقتدي بالسلف ، وينكب على دراسة العلوم التي درسوها ويرتضى ذلك ، مهما كلفه عناء النظر فيها ، خصوصا وقد اندرس أغلبها وإما أن ينكب على دراسة علوم الدنيا وهى بلا شك مبتدعه ومحدثة٠

و " علي القاري " بذلك يضع العالم أمام اختيار صعب ، قد يكون فيه النجاة ، وقد يكون فيه الهلاك ، خصوصا وقد استشهد بقول الأعمش حينما سئل : قد أحببت العلم لكثرة من يأخذ منك " فقال : " لا تعجلوا ! ! ! ثلاث

يموتون قبل الإدراك ، وثلاث يلزمون أبواب السلطان وهم شر الخلق ، والثلاث الباقية لا يفلح منه إلا القليل ".

ولا شك أن " علي القارى " يؤكد بتلك الاستشهادات علي أن الموفق من العلماء قليل ، وخصوصا مع تغير الأعصار والأزمان ، وعلي قدر ما يحسن العالم علي قدر فوزه ونجاته يوم القيامة ، يستشهد على ذلك بقول أبو الأسود : " ليس شيء أعز من العلم ، فالملوك حكام علي الناس والعلماء حكام علي الملوك " . وكما يستشهد أيضا بقول على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... علي الهدي لمن استهدي أدلاء

وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهلم العلم أعداء

فغز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتي وأهل العلم أحياء

ويستشهد كذلك بقول ابن عباس : " خير سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه ".

## أقسام العلوم :

يقسم العلامة " علي القارى " العلوم التي يتقرب بها إلي الله تعالي إلى ثلاثة أقسام :

- " علم مجرد : هو علم المكاشفة " .

- " وعمل مجرد : كعدل السلطان مثلا ".

- " ومركب من علم وعمل " وهو علم طريق الآخرة ، فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا ، فانظر إلي نفسك تكن يوم القيامة في حزب علماء الله أوعمال الله ، أو في حزبيهما ، فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما ".

ويؤكد " على القارى " على أن العلم بالله تعالي وصفاته من العلوم المحمودة .(١) ونستنتج من آراء " علي القاري " حول العلم بالله تعالي أن :

* هذه العلوم بالله تعالي يجب السير فى تحصيلها إلي أقصى غايات الاستقصاء.
* العلم بالله تعالي مطلوب لذاته.
* العلم بالله تعالى هو باب السعادة في الآخرة.
* بذل أقصى درجة من الجهد لتحصيل العلم بالله تعالي يقصر الفرد عن تحصيله ، لأنه بحر ذاخر ، لا يدرك غوره.
* الإحاطة بعلوم الآخرة يتيسر بقدر ما يسر الله لمن يحوم حول سواحله.
* لم يحط بعلوم الآخرة إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم من الأصفياء علي اختلاف درجاتهم ، بحسب قوة حالاتهم وتفاوت وتقدير الله فى مراتب عناياتهم.
* العلم بالله تعالي هو العلم المكنون ، فهو لا يبسط فى الكتب.
* التعليم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة ينبه الأذهان علي تحصيل علوم الآخرة.
* المجاهدة ورياضة النفس وتصفية القلب مما يعين علي علوم الآخرة.

هذا ولا شك أن العالم " علي القارى " ينبه الأذهان منذ القرن العاشر الهجري ، إلي أهمية أن يسلك العلام بعلمه إلي ما يفيده في آخرته ، وأن يبتعد عن تشقيق الكلام ، وعلوم الكلام، والجدل والمناظرة التي لا طائل من ورائها .

---

(١) انظر المخطوطة " ........ والحاصل أن القسم المحمود من العلوم .... " ص ١٢٩ .

وإذا كان العلامة " علي القاري " قد نبه إلي ذلك منذ مئات السنين ، فما بالنا ونحن علي أبواب القرن الحادي والعشرين ، وقد انهمك العلماء كلهم تقريبا – إلا من رحم ربي – انهمكوا في علوم الدنيا ، وشغلوا أنفسهم بما لا طائل تحته من الفتاوى التي تقربهم من السلاطين ، وصار جل همهم التقليد فغفلوا عن آراء الصحابة الكرام ، ووجوب اتباعهم.

هذا وقد وضع " علي القارى " في مخطوطته العلاج الأمثل لهذا الداء العضال الذي استشرى بين أهل العلم ، فقال مانصه : " ثم اعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في مقامات الضلال " ثم استشهد بحديث طويل رواه بعض أهل الحال : " انظر إلي ماقال ولا تنظر إلي من قال ، فاعرف الحق تعرف أهله ، إن كنت سالكا طريق الحق ......" إلي أن قال : ؛ ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها ..." (١)

ومن هذا النص يمكن أن نستنتج أن :

* معرفة الحق تكون بقيمة الحق ذاته ، وبها يعرف الرجال.

* معرفة الحق بالرجال يوقع في الحيرة والضلال.

* عند التقليد يجب التمسك بما اشتهر من درجات الفضل بين الناس من علماء الدنيا.

* يجب عدم الغفلة عن آراء الصحابة الواردة في أمور الدين.

* لم يكن تقدم السلف بعلوم الكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها.

---

(١) انظر المخطوطة ١٢٤ – ١٢٥.

## ثانيا : أمارات المقربين من علماء الاخرة :

جاءت أمارات المقربين من علماء الآخرة فى المخطوطة فى ستة عشر علامة ، وموافقة لما ورد فى الإحياء . وقد رتبها العلامة " علي القارى " علي النحو التالى :

* تصحيح النية في جميع الأبواب من العبادات والمعاملات بحديث " إنما الأعمال بالنيات " .
* تقديم طهارة النفس عن الأخلاق الرديئة والأفعال الذليلة ، فقد ورد : " من طلب الدنيا مما ينبغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة أى ريحها " رواه أبو دادو وابن ماجه باسناد جيد .
* أن يقلل العلائق والعوائق والتعلق بالخلائق ، فإنها شاغلة ومانعة عن خدمة الخالق.
* أن لا يتكبر علي العلم ويتواضع للمتعلم.
* أن يعمل بعلمه. قال تعالي:"يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون " (١)
* أن يكون حريصا على طلب زيادته. قال تعالي : " وقل رب زدنى علما"(٢) ولقوله عليه السلام : " .... لابورك لى فى يوم لا أزداد فيه علما " .
* التباعد عن مصاحبة أهل الدنيا والتسارع بمرافقة أهل العقبى.
* أن لا يطلب الدنيا بعلمه ، فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وعظم الآخرة.
*أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم فى المجلس ،

---

(١) سورة الصف ، آية (٢).
(٢) سورة طه، آية (١١٤).

والتجمل فى الأثاث والمسكن ، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ، ويتشبه بالسلف الصالح.

* ومنها أن يكون شيئا مستعصيا عن السلاطين ، فلا يدخل عليهم البتة ، مادام يجد إلى الفرار منهم سبيلا ، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم فإن الدنيا حلوة خضرة ، وزمامها بأيدى السلاطين والظلمة.

* أن لايعامل كل منسوب إلي ظلم ، فلا يعامله ، وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البته ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه يكون بذلك معينا لهم علي الظلم.

* أن لا يكون مسارعا إلي الفتيا ، بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلي الخلاص سبيلا.

* أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة وصدق الرجاء في الانكشاف . ومن ذلك المراقبة والمجاهدة فإن المجاهدة تفضى إلي المشاهدة في دقائق علوم القلب ويتفجر بها ينابيع الحكمة من فيض الرب.

* أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين ، فإن اليقين هو رأس الدين ، وهو فى التوحيد أن يري الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلي الوسائط ، بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها.

* أن يكون اعتماده في علومه علي بصيرته ، وإدراكه بصفاء قلبه وطهارته ، لا على المصحف والكتب ، ولا تقليد ما يسمعه من غيره، فإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ، فيما أمر به وقاله.

* أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور ، وإن اتفق عليه الجمهور ، ولا يغرنه إطباق الجماعة علي ما حدث به الصحابة ، وليكن حريصا على التفتيش عن سيِر السلف وأحوالهم وماكان فيه أكثر همتهم من أقوالهم

وأفعالهم.

هذا ولعمري أن تلك الأمارات لما يعز علي علماء زماننا ، بل ويندر مع تغير الأعصار وتقلب الأحوال ، فقد ثبت أن السلف الصالح قد أقروا أن الزمان بعدهم لن يصير خيرا مما كان ، بل كل يوم شر منه وأمر . وقال عليه السلام : " لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذى بعده شر منه حتي تلقوا ربكم " رواه أحمد والبخاري والنسائى عن أنس.

ولا شك أن ظاهرة الاتجار بالدين أصبحت من سمات العصر الحالي ، لدرجة باتت تهدد بنيان المجتمع من جذوره . وتلك طامة كبري . وقد ثبت فى الأثر أن عمر رضي الله عنه قال : " إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم " . قالوا : وكيف يكون منافقا عليما ؟ قال : : عليم اللسان جاهل القلب والعمل " . وقال الحسن : " لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكام ، ويجري في العمل مجري السفهاء " . وقال رجل لأبى هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال : " كفي بترك العلم إضاعة له " وقيل لابراهيم بن عيينة : أى الناس أطول ندما ؟ قال: " أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلي من لا يشكره ، وأما عند الموت فعالم مفرط ".

وقال الخليل بن أحمد : " الرجال أربعة : رجل يدري ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري ، فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه " (١)

(١) أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين ، جـ ١ ، مرجع سابق ، ص ص ٩٩ – ١٠٠.

د – تعقيب :

يميل العلامة " علي القاري " إلي أن تعلم علوم الآخرة ينجي صاحبه من خزى يوم القيامه كما أن صاحبه يري الخير والشر كله بيد الله سبحانه وتعالي ، فهو متوكل على الله ، يترك شكاية الخلق ، ويعتزل الغضب عليهم ، ويرضى ويسلم أمره لله رب العالمين.

وهذا بلا شك هو منهج السلف ، الذى عز وجوده في هذا الزمان ، فقد صار الناس يميلون إلي علوم الدنيا وحدها . بيد أنهم لو تمسكوا بمنهج السلف لكان فى ذلك نجاتهم ، فليس هناك شيء أعز من العلم فالملوك حكام علي الناس والعلماء حكام علي الملوك.

من هنا يمكن القول أن المجاهدة ورياضة النفس وتصفية القلب مما يعين على علوم الآخرة.

ولا شك أننا في عصرنا الحالي في حاجة ماسة الي مزيد من الاهتمام بعلوم " العقيدة " فقد غدت تلك العلوم مهجورة ، وصار الحديث فيها غريبا أو كاد خصوصا مع انتشار العلوم الحديثة واستشرائها في جميع الأوساط.

ويكفى أن نؤكد أن علوم العقيدة " ، إذا احسن تعليمها ، تؤدي إلي تربية إيمانية ثابتة ، ومضمونة النتائج ، يصبح بها الفرد المسلم متوازنا في حياته ، منتظما فى سلوكه ، لا يأتي من الأفعال إلا ما يرضي الله رب العالمين.

والعلامة " على القارى " يناقش هنا قضية علي جانب كبير من الأهمية تلك قضية : معرفة الحق بالرجال ومعرفة الرجال بالحق . ويؤكد علي أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال ، فاعرف الحق تعرف أهله .

ونحن فى عصرنا الراهن ، نشاهد تلك القضية فى صورة أخري ، هى أهل الثقة وأهل الخبرة ، فأهل الثقة يوكل الأمر لهم ، ويبارك أولو الأمر

رأيهم ، اعتمادا على أنهم لا يخطئون الحق ولا يلحنون ، وهم بذلك واهمون ، فقد عرفوا الحق بالرجال ولا شك أنهم بذلك يدورون في فلك الحيرة والضلال، بيد أنهم لو أسلموا الأمور لأولى العلم وأهل الخبرة ، ومن يمكن أن يعرفوا من خلال عملهم ، فذلك هو مفتاح الخير للفرد وللمجتمع.

هذا وينبه " علي القارى " على أهمية أن يتخلص العلماء من صفات مذمومة ، تتولد نتيجة المجادلة والمناظرة . ولا شك أن عصرنا الراهن يشهد الكثير من المشاحنات بين رجال الفكر وأرباب القلم الذين يميلون بفكرهم حيث يريدون ، لا حيث تكون الحقيقة.

ولا نشك لحظة واحدة أننا في حاجة ماسة الي أن تتوفر في المعلم صفات حسن النية وعدم التكبر وطلب الزيادة من العلم كما أننا في حاجة إلي أن تتوفر في المتعلم طهارة النفس ، وخلوص النية للعلم لوجه الله تعالى والتواضع للمعلم وبذل الجهد إلي أقصى درجة في التحصيل وخصوصا فى علوم الآخرة .

# تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء

# منهج التحقيق

## مقدمة التحقيق :

تزخر المكتبة الإسلامية بآلاف المخطوطات والكتب ، التى احتوت على الكثير الغزير من منهج السلف ، وهو المنهج الإسلامى ، الذى وضع معالمه وأرسى أسسه محمد صلى الله عليه وسلم ٠

هذه المخطوطات وتلك الكتب أودع فيها الأولون ، خلاصة فكرهم وجماع علمهم ، بما يوافق الكتاب والسنة ، بيد أننا قد غفلنا كثيرا عن النظر فى هذا التراث الذى امتلأ بما يسعد البشر فى دينهم ودنياهم٠

وإذا كان التحقيق يسير بخطى وئيدة فى علوم الفقه والتفسير واللغة العربية ، فإنه يكاد يكون معدوما فى مجال الفكر التربوى ، وأقصى ما نشاهده هو التأريخ لبعض المفكرين المسلمين ، لنستنتج بعض آرائهم التربوية ، بيد أن الأمر يبدو مجافيا تماما لمنهج التحقيق من منظور تربوى٠ هذا ولما كانت عناية الله تقضى دائما أن يسخر لهذه الأمة من يذب عنها كيد المعتدين وافتراء المضلين ، فقد كان فى منهج السلف ما يحقق هذا تصديقا لقوله عز وجل : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ٠ (١)

من هذا المنطلق زخرت كتب التراث بالكم الضخم من الآراء التربوية التى فند فيها مؤلفوها آراءهم حول التربية بجميع جوانبها ، العقلية والبدنية

---

(١) سورة الحجر ، آية (٩)٠

الخلقية ، والروحية ، السياسية والوجدانية ...

صحيح أن هذه الآراء قد تأخذ مسميات أخرى ، وصحيح كذلك أنها متناثرة بين كم ضخم وسط تلك المؤلفات ، إلا أنها في النهاية تشكل مفهوما صحيحا لتربية الفرد المسلم والمجتمع المسلم.

هذا ولما كانت آراء علماء السلف ، ترتبط فى الكثير منها ، بمقومات العصر ، السياسية ، منها والدينية ، ولما كان العلامة " على القارى " قد شهد الكثير من مظاهر القهر والظلم للحكام ، كما شهد القتل والكيد للعلماء وشهد أيضا البطش والفتك والفتنة بين الأمراء بعضهم البعض ، ورأى كذلك نفاق العلماء وتقربهم من الأمراء ، والنزول بفتاواهم بما يوافق هوى الحكام ويرضى طموحهم الدنيوى ، على حساب الكثرة الكثيرة من أبناء المسلمين المقهورين ، والمغلوبين على أمرهم ، طمعا أن ينال العلماء من حكام الدنيا ..... الخ.

لما كان الحال كذلك ، ولما كان " على القارى " قد رحل أصلا من "هَراة" مسقط رأسه هروبا من ظلم " الدولة الصفوية " فى ذلك الوقت ، فلم يكن الأمر هادئا إلى الحد الذى توقعه " على القارى " فى بلاد الحجاز ومنها "مكة المكرمة " حيث استقر بها صاحبنا " على القارى".

أقول لما كان الأمر كذلك ، ولكل ما سبق فقد نصب العلامة " على القارى " نفسه ونذر روحه ، من أجل الذود عن هذا الدين وعن العقيدة الإسلامية.

هذا وقد أربت مؤلفات " على القارى " على الثلاثمائة مؤلف ، بين علوم القراءات ، والتفسير والحديث ، وعلم الفقه ، وعلم التوحيد ، والسيرة ، والمواعظ ، وعلوم اللغة والتراجم وكتب متنوعة أخرى ، انبرى فيها للذود عن

العقيدة الإسلامية فى جميع صورها ، بحيث كان يهدف إلى تخليص المنهج الإسلامى من شبه الملحدين والمتزندقين ، وغرور العلماء والمنافقين ، والمنحرفين والمضلين ، الأمر الذى يخلص الدين من عبث العابثين ، ويوقف الناس على منهج السلف من المتقين ، حتى تعود العقيدة نقية صافية ، تنطلق فى بناء البشر وتربية الفرد والمجتمع من المنظور الإسلامى.

ولا شك أن مخطوطته : " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء " محل دراستنا أحد المؤلفات التى زخرت بالكثير الغزير حول التربية العقلية والسياسية والخلقية والروحية وحول العلم والتعليم وواجب العلماء والمتعلمين والأمراء والحكام والتى جاءت مستجيبة لروح العصر الذى عايشه العلامة "على القارى " .

وعلى وجه العموم فالحاجة ماسة إلى النظر المتأنى ، المتعمق والهادئ الدارس والمستنبط من خلال تلك المخطوطات التى تمس جوهر حياة مجتمعنا الإسلامى ، والتى تسهم بصورة مؤكدة فى تقويم سلوك الفرد المسلم حتى يعود للمجتمع الإسلامى مجده ، وحتى يتربى الفرد على الفضيلة والعزة والكرامة.

## التعريف بالكتاب المحقق :

*** اسم الكتاب :**

**" تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء "**

هذه هى التسمية المعروفة لهذا الكتاب . وقد سجلت هذه التسمية على الجانب الأيمن من أعلى الصفحة رقم ٣٤٦ حيث تبدأ المخطوطة والتى كتبت ضمن مجلد يحتوى مجموعة من الرسائل تحت مسمى : " هذا مجموع

رسائل أغلبها تأليف الكُوَز لحصَارى (١) الحنفى نقلت من خطه والأصل بطرف حضرة الشيخ العباسى المهدى الحنفى " (٢)

وقد جاء بالصفحة الأولى من المخطوطة : " الحمد لله الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء وواسطة عقد سلسلة الأولياء والأصفياء، وصيرهم أغنياء عن مذلة ملازمة الأمراء والأغنياء . والصلاة والسلام على خير من قام بوصف الهداية والاهتداء وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه نجوم الاقتداء . أما بعد فيقول الملتجى(*) إلى حرم ربه البارى على بن سلطان محمد القارى" (٣).

## موضوع الكتاب :

اشتمل الكتاب على : فضل العلم وأقسامه ، كما تناول الآراء حول التربية العقلية والخلقية والروحية والسياسية . والمؤلف وإن كان لم يضع عناوين لتلك الآراء التى وردت فى مخطوطته ، إلا أن القارىء يستطيع أن يستنتجها من بين السطور ، خصوصا حينما يخاطب المؤلف العلماء ، ويقدم لهم التحذير تلو الآخر من ملازمة الأمراء ، حيث أن مخالطتهم تؤدى بالعلماء إلى طريق التهلكة نتيجة انزلاقهم فى فتاويهم بما يوافق هوى الأمراء ، طمعا فى كسب أدبى أو مادى ، بينما الإسلام يؤكد أن الأمير

---

(١) الكُوَز لحِصَارى = محمد بن على ١٣٠١ هـ ، الأعلام للزركلى ، جـ ٥ ، ص ٢٣٦ .

(٢) العباسى ( المهدى ) = محمد بن محمد ١٣١٥ هـ ، الأعلام للزركلى جـ ٣ ، ص ٢٦٨ .

(٣) انظر التحقيق : ص ٩٤ – ١٦٨ .

(*) بدون همزة على الياء الساكنة . تلك لازمت المؤلف فى مثل هذه الكلمات البارى – القارى – وهى يعنى البارىء – القارىء . وإن كان المحقق قد أثبت الهمزة فى التحقيق تيسيرا على القارىء .

والحاكم عليه أن يتقبل نصح العلماء ، وإرشادهم وتوجيههم له بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حيث أن الدين لا ينفصل عن أمور الحكم والسياسةبحال من الأحوال . . . . .

## سبب تأليف " على القارى " للكتاب :

من أقوى الأسباب التى دفعت بالعلامة " على بن سلطان محمد القارى" ، إلى تأليف هذا الكتاب ، ما استشرى بيين العلماء فى عصره من التزلف والتقرب من السلاطين ، طمعا فى الدنيا ، ونسيانا للعقبى . والقارىء للكتاب يلمس ذلك ، خصوصا مع استشهاد المؤلف بالكثير من الآيات والأحاديث التى تربأ بالعالم أن يخالط السلطان موافقا لهواه ومفتيا بما يحقق مرامه ورضاه .

## مباحث الكتاب :

المؤلف وإن كان لم يضع عناوين محددة لمباحث الكتاب ، إلا أنه كان يشير إلى الموضوع الذى هو بصدد الحديث عنه ضمن سطور المخطوطة . من ذلك قوله : " وأما الأخبار فى هذا الباب فكثيرة ، وكذلك الآثار لأهل الاعتبار فى هذا المعنى شهيره . . . " (١) ثم يقول بعدها : " وأما الأخبار فقوله عليه السلام : " العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا وإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فاحذروهم " (٢)

---

(١) انظر نص المخطوطة ص ٩٨ من هذه الدراسة.

(٢) انظر نص المخطوطة ص ٩٨ من هذه الدراسة.

.. ويستمر المؤلف على هذا النظم مثل : " وأما الآثار عن الأخيار من الأخبار .... " (١)

وهكذا يسير المؤلف متبعا نفس المنهج فيما يتصل بالعلوم وأقسامها وآداب المعلم ، وعلامات المقربين من علماء الآخرة ،آداب المتعلم وآراؤه حول العقل والخلق....

والمحقق قد وضع مباحث الكتاب مرتبة فى ضوء ما سبق على الوجة التالى :

**أولا** : المقدمة.

**ثانيا** : مصطلحات ومفاهيم حول العلماء والأمراء والظلمة.

**ثالثا** : الأخبار.

**رابعا** : الآثار.

**خامسا** : العلوم التى يتقرب بها إلى الله تعالى.

– أصل العلم وغايته وثمرته.

**سادسا** : المعلم والمتعلم .

– علامات المقربين من علماء الآخرة.

– آداب المعلم.

– آداب المتعلم.

**سابعا** : العقل ووظيفته.

وأما التربية الخلقية والروحية والسياسية ، فنظرا لأنها متناثرة بين

(١) انظر نص المخطوطة ص ٩٩ من هذه الدراسة.

صفحات المخطوطة من مبدئها إلى منتهاها فقد آثر المحقق عدم وضع عناوين لتلك المباحث ، ضمن نصوص المخطوطة ، مكتفيا بالحديث عنها والاستشهاد عليها من المخطوطة خلال دراسته لنصوصها .

## توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

لقد ثبت أن للمؤلف مصنفات كثيرة ، بين مجلدات وكتاب متوسط ورسائل صغيرة فى ورقات . وقد اشتملت تآليفاته على الفنون المتداولة فى عصره مثل : التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والقراءات ، والأدعية والمواعظ .

هذا وقد استند المحقق فى توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه من خلال :

* ما نص عليه ثبت المراجع (١) من إدارج كتاب : " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء " ضمن مؤلفات " على بن سلطان محمد القارى" فى المواعظ .

---

(١) أشار الباحث : عبد الله على الملا فى دراسته : كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود للإمام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ، دراسة وتحقيق ، رسالة دكتوراه غير منشورة . بجامعة أم القرى . كلية الدعوة وأصول الدين . ١٤٠٩هـ ، ص ٩٦ - ١٠٤ . أشار الباحث إلى ثبت المؤلفات لعلى القارى ومنها كتاب : ": تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء " تحت عنوان مؤلفات على القارى " فى المواعظ .

وقد استند الباحث فى وضع قائمة تلك المؤلفات والتى وصلت إلى : ثمان وخمسين ومائة الى :

* تاريخ الأدب العربى لـ " بروكلمان " جـ ٢ ، ص ٥١٧ وما بعدها .
* البضاعة المزجاة للجشتى ، جـ١ ، ص ٨٦ ومابعدها .
* نشر النور والزهر لـ " عبد الله مرداد أبو الخير " جـ ٢ ، ص ٣١٨ وما بعدها .

* بمراجعة المحقق لمجموعة الرسائل التى كتبها العلامة " على ابن سلطان محمد القارى" والمودعة فى مكتبة " عارف حكمت " بالمدينة المنورة والتى وصل عددهاإلى ( ٣٢٩ ) تسع وعشرين وثلاثمائة رسالة يحتويها مجلد واحد ، بمراجعة المحقق لتلك المخطوطات وجد تطابقا وتلاؤماً كبيرا بين أسلوب المؤلف فى تلك المخطوطات وبين المخطوطة محل التحقيق.

* ورد بفهرس المكتبة القصبية (١) بالمسجد الأحمدى (٢) النص على نسبة كتاب : " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء " إلى العلامة : "على ابن سلطان محمد القارى الحنفى "، فقيه ومحدث ".

من تلك الدلائل يتضح صحة نسبة كتاب : " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء " إلى العلامة : على بن سلطان محمد القارى.

## منهج المؤلف فى الكتاب :

انبرى العلامة " على بن سلطان محمد القارى " فى كتابة : " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء " لإبطال رأى المتمذهبين بالميل إلى السلاطين من العلماء والقراء ، بحجة الطاعة لولى الأمر ، مثبتا بالأدلة من الكتاب والسنة ، وما يجب أن يتوجه إليه العلماء من النصح للسلطان والحاكم ، أهمية أمره له بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وليس الميل بالفتوى ، حيث يميل الأمير أو الحاكم ، فذلك هو الظلم الفادح والخسران المبين.

وقد أكثر " على القارى ؛ فى كتابه من الروايات التى حدثت بين العلماء

---

(١) المكتبة القصبية نسبة إلى : محمد بن الامام القصبى الأحمدى.

(٢) المسجد الأحمدى – مسجد سيد أحمد البدوى بطنطا.

بعضهم البعض ، وبينهم وبين الأمراء ، والتى تؤكد أن ملازمة الأمراء والسير فى ركابهم بهتان فاضح.

هذا كما يتضح من الكتاب ميل العلامة " على القارى " إلى وجوب التزام العالم بالزهد ، والرغبة عن الدنيا إلى العقبى ، والاكتفاء من العيش بالقليل حتى يقتدى العوام بالعلماء ، ولا يقعون فى مغبة تقليدهم إن هم بالغوا فى التزين بمظاهر الحياة الدنيا.

ويميل على القارى إلى مذهب السلف ، ويرى أن التزين والتمتع بالمباح يجب أن لا يصل إلى حد المبالغة ، فإن المبالغة فيه توجب الإلف له ، والتعود عليه ، فيصير عادة للمرء وخلقا فيه.

الكتاب يستند ويستدل بآيات القرآن والأحاديث والأخبار وهو مؤلف جيد ونافع ، واسمه يدل ويرشد إلى معناه ، إذا تأمله القارىء المتأنى ، وجده مشتملا على سوق الأدلة وتقديم البراهين النقلية والعقلية التى تزيل الفساد الذى كان ومازال يستشرى بين العلماء ومدى قربهم من السلاطين والحكام قال تعالى : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ".(١)

هذا كما يقدم الكتاب فى هدوء آراء قيمة حول العقل والخلق والسياسة والعلم والتعليم ...

## مصادر العلامة " على القارى " فى كتابه " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء ":

من خلال كتاب : " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء " يتضح أن " على

(١) سورة هود ، آية (١١٣).

القارى " كان ينهج مذهب السلف ، يلتقط الحكمة أنى وجدها ، ويسير فى سبيل الحق والرشاد ، فهو إمام مجتهد ، خلف ذخيرة علمية ومؤلفات وتلامذة.

وقد عول " على القارى " فى مراجعة للكتاب سالف الذكر على الكثير من أمهات الكتب فى التفسير والحديث وقبلها القرآن الكريم.

ويقدم الباحث فيما يلى أهم تلك المصادر :

**أولا** : القرآن الكريم .(١)

**ثانيا** : الأحاديث (٢) والتى اتضح من خلال تخريجها اسنادها إلى أمهات الكتب ومن أهمها :

* ( ابن حنبل ) أحمد الشيبانى

المسند .

* ( أبو حامد الغزالى ) محمد بن محمد بن محمد الغزالى.

إحياء علوم الدين .

* ( أبو نصر الديلمى )

مسند الفردوس.

* ( أبو نعيم ) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

* ( الترمذى ) محمد بن عيسى بن سوره .

الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى.

---

(١) انظر فهرست الآيات .....ص ١٦٩.

(٢) انظر فهرس الأحاديث ... ص ١٧٢.

* ( السخاوى ) محمد بن عبد الرحمن.

المقاصد الحسنة فى بيان كثير
من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.

* ( السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر.

الجامع الصغير فى احاديث
البشير النذير .

* ( النووى ) يحى بن شرف الدين .

صحيح مسلم بشرح النووى.

* ( المناوى ) محمد بن عبد الرءوف .

فيض القدير شرح الجامع الصغير.

## التعريف بالمخطوطة :

المخطوطة " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء " من تأليف " : " على ابن سلطان محمد القارى " الحنفى ، فقيه ومحدث.

المخطوطة مودعة فى المكتبة القصبية بالمسجد الأحمدى بمدينة طنطا تحت رقم ٢٩١/٣٢٧ .

تبدأ المخطوطة بعد حمد الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله على وسلم ... " أما بعد فيقول الملتجىء إلى حرم ربه البارى على بن سلطان محمد القارى : إن الله سبحانه أعظم برهانه فى قوله تعالى " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون " .(١)

---

(١) سورة الاسراء ، آية (٧٤).

هذا كما تنتهى المخطوطة : " ٠٠٠٠ ومجمل الكلام أن العقل يسمى به لعقله ومنعه صاحبه عملا لا يليق به ، كما يسمى " نُهى " لنهيه عن الفحشاء والمنكر ونحوه ٠ الحاصل أن العقل لا ينفع بدون النقل والنقل لا ينفع بدون العقل ٠ وهذا نهاية التحقيق والله ولى التوفيق "٠

تقع المخطوطة فى ٤٩ صفحة ( ٣٤٦ - ٣٩٤ ) ومسطرتها ٢٥ سطرا ، ومقاسها ١٧×١٠سم٠

كتبت المخطوطة بخط " عيسى محمد " وقد أتم نسخها سنة ١٢٩٥ هـ ، بينما وقع الفراغ من كتابتها كمسودة بيد عبد الله بن مصطفى أفندى وذلك فى شهر ذى الحجة سنة ١١١٩ هـ٠

كتبت المخطوطة بخط نسخى ردىء ، ويشوبها ويتخللها كثير من التحريف والتصحيف والطمس ، كما يضع الناسخ خطوطا حمراء تحت المهم من الألفاظ والعبارات والأحاديث والأخبار والآثار والآيات٠ ويشير أيضا إلى الخطأ بوضع علامة على شكل رقم " سبعة " فوق الكلمة الخطأ٠

هذا وأحيانا يبرز الناسخ الجمل المهمة بخط مميز ( أكبر ) والمخطوطة خالية من التبويب والتقسيم إلى فصول أو مباحث ، فقد بدأت وانتهت دون الإشارة إلى ذلك ، كما خلت من علامات الترقيم تماما٠

المؤلف يتجه فى المخطوطة إلى المذهب السلفى٠٠٠٠٠

## عملى فى المخطوطة :

لقد مضى على هذا المؤلف أكثر من أربعة قرون ، لم يقم أحد خلالها بتحقيقه وإخراجه إلى الناس بالرغم من أهميته من حيث الموضوع الذى تناوله خصوصا فيما يتعلق بواجبات العلماء ، ونمط وأسلوب علاقتهم بالأمراءوالحكام٠٠٠

هذا ويتحدد عملى فى المخطوطة على النحو التالى :

* تحقيق اسم المخطوطة.
* توضيح موضوع المخطوطة.
* بيان سبب تأليفها.
* تحقيق نسبة المخطوطة إلى المؤلف.
* بيان مباحث المخطوطة ومنهج المؤلف فى كتابتها ومصادره فيها.
* تحقيق النص:

- المحاولة قدر الإمكان أن يخرج النص فى أقرب صورة تركها عليها المؤلف.
- تخريج آيات القرآن الكريم.
- تخريج الأحاديث التى وردت بالمخطوطة ما أمكن.
- تخريج الآثار التى وردت بالمخطوطة ما أمكن.
- شرح المفردات الغريبة ، وعزو الأقوال إلى مصادرها ما أمكن.
- ترجمة الأعلام الواردة قدر الإمكان.
- وضع الفهارس العلمية الضرورية كما يلى:

* فهرس الآيات القرآنية وفق ترتيبها فى المصحف.
* فهرس الأحاديث.
* فهرس الآثار.
* فهرس الأعلام.
* فهرس الأماكن والبلدان.
* فهرس مصادر ومراجع التحقيق والدراسة.

بسم الله الرحمن الرحيم .
الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الانبياء . وواسطة
عقد سلسلة الاولياء والاصفياء . وصيرهم
اغنياء عن مذلة ملازمة الامراء والاغنياء . والصلاة
والسلام على خير من قام بوصف الهداية والاهتداء
وعلى آله واصحابه واتباعه واحبابه نجوم الاقتداء .
اما بعد فيقول الملتجي الى كرم ربه البارئ علي
ابن سلطان محمد القاري انه ان الله سبحانه اعظم
برهانه في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون
والركون ادنى الميل ومنه قوله تعالى ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وفيه
مبالغات يدلك انه تنبيه تعالى لنبيه كان كثيرا بشلا
ثم الظلم لغة وضع الشيء في غير موضعه وافواه الشرك
وانواع الكفر لقوله عز وجل ان الشرك لظلم عظيم
وادناه وضع محبة غير الرب في ميدان القلب كما
يشير اليه قوله عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وهو الشرك الخفي كما يومي
اليه كلام العارف ابن الفارض

ولو خطرت لي في سواك ارادة
على خاطري سهوا حكمت بردتي

وعرفا هو التعدي الى مال الغير وعرضه ودمه بغير
وجه شرعي وهو هنا اقبح انواع الظلم وابعدها
عن العفو والحلم ويؤيده حديث الدواوين ثلاثة فديوان
لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يعبأ الله به شيئا .

وديوان

ودواوين ثلاثة ديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يغفره الله فاما الديوان
الذي لا يغفر الله منه شيئا فالاشراك بالله واما
الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه
فيما بينه وبين ربه من صوم تركه او صلاة تركها فان
الله يغفر ذلك ان شاء الله ويتجاوز واما الديوان
الذي لا يترك الله منه شيئا فظالم العباد بينهم
القصاص لا محالة رواه احمد والحاكم في مستدركه
عن عائشة رضي الله عنها وعن عبد الله بن المبارك
لما ساله خياط للظلمة هل انا من اعوانهم قال لست
من اعوانهم ولكن من اعوانهم من يبيع لك الخيط والابرة
وانت من انفسهم وورد الجلاوزة والشرط واعوان الظلمة
كلاب النار رواه ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر وقال
حمدون لا تصاحب الاشرار فان ذلك يورثك صحبة
الاخيار وقال السدي لا تداهنوا الظلمة فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اولياء اعوانا يمنعونكم
من عذابه ثم لا تنصرون في دفع عذابه وقال
القشيري لا تعملوا اعمالهم ولا ترضوا باعمالهم ولا تمدحوهم
على اعمالهم ولا تتركوا الامر بالمعروف عليهم
في افعالهم ولا تاخذوا شيئا من حرام اموالهم ولا
تسكنوهم في قلوبكم ولا تخالطوهم ولا تعاشروهم لئلا
تشاركوهم في ما بهم بما يلحق من صاحبهم من وبالهم
فان من احب قوما حشر معهم واما حديث ثلاثة
لا يتركن اليهما الدنيا والسلطان والمرأة فكلام صحيح
معنى وليس بحديث نبوي واما الاخبار في هذا الباب

ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد
تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز
واشارة في عبارة والى كامل ينبعث من
نفسه حتى يتفطن لامور دون التعلم تكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء
عليهم السلام اذ يتضح لهم في باطنهم
امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن
ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبي صلى الله
عليه وسلم حيث قال ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش
ما عشت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي
به الشيرازي في الالقاب من حديث سهل بن سعد
والطبراني في الاصغر والاوسط من حديث علي
وكلاهما ضعيف ومما يدل على تفاوت العقل
من جهة النقل ما روي ان عبد الله بن سلام
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة
قالت يا ربنا هل خلقت خلقا اعظم من العرش
قال نعم العقل قال وما بلغ من قدره قال هيهات
لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال
الله تعالى فاني خلقت العقل اصنافا شتى
كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم
من اعطي حبتين ومنهم من اعطي الثلاث ومنهم
الاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا
ومنهم من اعطي اكثر من ذلك ابن المحبر من حديث انس
بتمامه

بتمامه والترمذي الحكيم مختصرا في نوادره ثم كل واحد
من العقلاء يتصرف بعقله في شيء من الاشياء ويصير
في ذلك الفن من الفضلاء وغيره فيه من الجهلاء واذا اردت
ان يفرق بين العلم والعقل فاعلم ان احدا من
السلاطين سلم ولده الى احد من الرمالين ليتعلم
علم الرمل على وجه التخمين فاجتهد الرمال في تعليم الولد
مدة في زمن الاشتغال الى ان صار من جهة العلم في غاية
من الكمال فاتى به الى السلطان وقال انا ما كان
في وسعي من العلم فعلمته في غاية لكن ليس لي علاج
في قلة عقله وعدم فطانته وقال لم كيف هذا وقال
يعني السلطان في يده شيئا وجربه فاخذ خاتمه
في كفه وقال للولد ادم الرمل فرماه وقال
شيء معدني ورماه ثانيا فقال مدور
ورماه ثالثا فقال مجوف فتيسر له انها اذا
يكون فالدحي فلو كان منه عقل يعرف ان
لا يتصور وجود الرحي في كف اولي النهى ومن
هنا قال تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون ونظيره انه
قال ابو يوسف يوما في حد الصوم انه
الامساك من طلوع الصبح الى غروب الشمس
فقال له قائل واذا لم تغرب الشمس
قال متى لصوم الواحد وقد قدم انه
ادم اطع ربك تسمى عاقلا ولا تعصه تسمى
جاهلا رواه ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة
وابي سعيد وقال عز وجل ولكن اكثرهم

لا يعتقدون و مجمل الكلام ان العقل يبين
به لعقله ويمنع صاحبه عما لا يليق به كما
يسمى نهي لنهيه عن الفحشا والمنكر ونحوه والحاصل
ان العقل لا ينفع بدون النقل
والنقل بدون العقل
وهذا نهاية التحقيق
والله ولي
التوفيق
تم

وقد وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب
من يد العبد الضعيف المحتاج الى رحمة الله تعالى
عبد الله بن مصطفى افندي غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين في تاريخ ...
ذي الحجة الشريفة من سنة تسع عشر ومائة والف
على يد كاتب الفقير الى الله تعالى ... محمد ...
سنة ١٢٩٥ تم تم تم
١٢٩٥

ملحق رقم (١) نماذج من مخطوطات " على بن سلطان محمد القارى الهروى ثم المكى والمودعة فى المكتبة العامة بالمدينة المنورة .(١)

| الرقم العام | اسم المخطوطة | العدد |
| --- | --- | --- |
| ١٨٥٥ | رسالة العقائد | ١ |
| ١٨٦٣ | شرح الفقه الأكبر سنة ١١١٧ هـ ( رقم ١٩٢٣ سنة ١٢٢٣ هـ ) | ٢+٣ |
| ١٨٧٥ | ضوء المعانى شرح بدء الأمانى سنة ١٢١٧ هـ | ٤ |
| ١٨٧٦ | ضوء المعانى شرح بدء الأمانى | ٥ |
| ١٨٦٥ | ضوء المعانى شرح بدء الأمانى | ٦ |
| ١٩٢٢ | ضوء المعانى شرح بدء الأمانى سنة ١١٧٩ هـ | ٧ |
| ١٩٢٤ | ضوء المعانى شرح بدء الأمانى | ٨ |
| ١٩٢٥ | ضوء المعانى شرح بدء الأمانى سنة ١١٨٨ هـ | ٩ |
| ١٥٧٤ | آداب المريدين | ١٠ |
| ٤/٢٦٠٦ | آداب الزيارة النبوية | ١١ |
| ٢٦/٢٦٥٠ | تزيين العبادة لتحسين الإشارة + ( ٤/٢٦٠١) | ١٢+١٣ |
| ٤/٢٦٣٠ | شرح على نخبة الفكر فى أصول الحديث سنة ١١٥٥ هـ | ١٤ |
| ٣٩/٢٦٢١ | مختصر تذكره الموضوعات ( انظر بعده : ٨٥٢ ) | ١٥ |
| ١٦٤٣ | الحزب الأعظم + ( ١٦٤٤ سنة ١٢٦٨هـ ) | ١٦+١٧ |
| ٢٠١٢/م/١ | شرح الشمايل | ١٨ |
| ١٣٠٦ | شرح المنسك الصغير عام ١١٧٦ + ( ١٠٤٥ عام ١٢١٠ هـ ) | ١٩+٢٠ |
| ١٣٠٨ | المسلك المتقسط شرح المنسك المتوسط ١١٨٠ هـ | ٢١ |
| ١٢٩٤ | المسلك المتقسط شرح المنسك المتوسط سنة ١١٥٢ هـ + ( ١٠٤٦ | ٢٢ |
|  | سنة ١٢٦٣ هـ ) + ( ١١٧٨ سنة ١١٧٠ هـ ) + | ٢٣+٢٤ |
|  | ( ١١٧٩ سنة ١١٥٥ هـ ) + ( ١٢٩٤ سنة ١١٥٢ هـ ) . | ٢٥+٢٦ |
| ١٣١٢ | اللباب الصغير فى المناسك | ٢٧ |

(١) هذه المكتبة كانت بجوار المسجد النبوى ثم نقلت إلى مكتبة الملك عبد العزيز.

ملحق رقم (٢) نماذج من رسائل " على بن سلطان محمد القارى الهروى ثم المكى " والمودعة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة

## ( أ ) معلومات عن رسائل مكتبة عارف حكمت

هذه الرسائل يحتويها مجلد واحد ( مخطوطة) كتبت بخط واضح جميل يراوح فيها الكاتب بين اللون الأسود ( وهو لكتابة المتن ) واللون الأحمر (وهو لرسم الحركات ولكتابه عناوين الرسائل ) التى اختار لها عنوان "مطلب " داخل رسائل المخطوطة نفهسا .

وقد جاء فى نهاية الفهرس أن عدد الرسائل ( ٣٢٩ ) رسالة كلها " لعلى القارى " (١) عليه رحمة البارى ، نفعنا الله تعالى بعلمه وتأليفاته آمين .

وكل هذه الرسائل " لعلى القارى " ، عدا رسالة واحدة بعنوان : "رسالة فى مصطلحات الصوفيين بترتيب أبى جاد الشارح لمنازل السايرين رحمة الله عليه رحمة واسعة " وتحتل هذه الرسالة آخر صفحات المخطوطة من (٣٣٦ - ٣٩٤) .

وقد جاء فى الصفحة رقم ٣٣٤ من رسائل " على القارى " ... ونسأل الله تعالى رضوانه فى الدنيا والآخرة ، ونحمده ونشكره على النعماء والبلوى ونصلى ونسلم على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين . وعلى آل كل ، وأصحابهم وأتباعهم أجمعين والحمد لله رب العالمين وبعد ذلك بصفحة بيضاء تبدأ رسالة " فى مصطلحات الصوفيين " والتى سبقت الإشارة اليها . أما آخر صفحة فى المخطوطة فهى ٣٩٤.

(١) ونفس هذا الحديث ورد فى أول صفحة من الفهرس ضمن كتابه باللغة الأوردية جاء فيها أن الرسائل كلها من تأليف على القارى عليه رحمة البارى ، ما عدا رسالة اصطلاحات الصوفيين...

هذه وأما عن الرسالة التى سنوردها هنا كنموذج من تلك المخطوطة فعنوانها " ... فالواجب على من يدوس عتبة باب الملوك ومن أتم ما يجب التحرز عنه " وهى برقم ١٤٩ . أما الرسالة التى قبلها ١٤٨ فعنوانها " نور الحجج فى أسرار الحج " وهى رسالة كما يقول المؤلف : " فى الدقائق المتعلقة بالحج وأسراره " أما الرسالة التى تلى الرسالة التى سنقدم نموذجا لها فهى برقم ١٥٠ بعنوان " ... رد دانق من حرام يعدل سبعين حجة " ذكره ابن جماعة.

**(ب) نموذج من رسائل " على القارى " المودعة فى مخطوطته بمكتبة عارف حكمت .**

**النص بعنوان " فالواجب على من يدوس عتبة باب الملوك ومن أتم ما يجب التحرز عنه )**

فالواجب على من يدوس عتبة باب الملوك وبساط انبساطهم لنيل المطالب ، وتحصيل المواهب ، وتيسير المناصب ، أن يتحمل أنواع المشاق والمتاعب ، ويتأدب بمحاسن المناقب ومجامل المراتب ، وبالإقبال على الله تعالى فى الحركات والسكنات ، والتجرد ظاهرا وباطنا عن المخلوقات ، والتوبة عن المخالفات والانقطاع عن العلائق ، والتخلص من العوائق ، ومهما ذكر المعصية جدد التوبة ، وكرر الأوبة ، لأنه من حصول الذنب على معرفته ، ومن الخروج من عقوبته على شك وشبهة ، ويكون بين الخوف والرجاء فى كل حالة ، فلا ييأس من رحمته وكرمه ولا يأمن من سخطه بسبب حلمه إذ لا يجوز للمرء أن يغتر بعلمه ولا بعمله ، بل يعتمد على وجود ربه وفضله ، قال ابن جماعة : ويغلط كثير من الناس فيحجون بيت الله طالبين لرحمته بما قد يكون جالبا لنقمته ، فيصيرون على ارتكاب السيئات ، ويبالغون فى التناهى بالمحرمات ، والتزين بالمكروهات ، حتى تلبسوا من الجمال بالحرير والذهب ، ونحو هذا من المنكرات ، وما هكذا أمر الله أن يحج بيته الكريم ، فليحذر

الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ولقد خرج بعد الصالحين فى عصرنا من مصرنا إلى الحج مع القافلة ، فلما وصل إلى البركة ، وهى المرحلة ، رجع لما رأى من الأمور المنكرة ، والأفعال المزخرفة ، والأحوال المزورة ، ولعمرى إنه لمعذور فى هذا الإياب لقوله تعالى : ( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ) (١) ، ومن أهم ما يهتم به اخلاصه لله تعالى وحده ، فى جميع أمره ، فعنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : ( إذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك أحدا فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك ، ومن أتم ما يجب التحرز عنه فى أمر النفقة بأن تكون من الحلال الخالص من الشبهة ، بقدر الوسع والطاقة، ففى صحيح مسلم أنه عليه السلام ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ، أى كيف يستجاب لذلك الرجل هنالك ، وما أغبن من بذل نفسه وماله ، وبدل حاله وجماله ، فيرجع بالحرمان ، وغضب الرحمن . وفى الحديث إذا حج الرجل بالمال الحرام فقال : لبيك اللهم لبيك قال الله تعالى : لا لبيك ولا سعديك ، حتى ترد مافى يديك ،ذكره ابن جماعة تبعا للغزالى لكن سكت عنه العراقى ، وفى رواية لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك ، وفى رواية ، من خرج يؤم هذا البيت بكسب حرام ، شخص فى غير طاعة الله ، فإذا بعث راحلته وقال : لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ، ولا سعديك ، كسبك حرام وراحلتك حرام ، وثيابك حرام ، وزادك حرام أرجع مأزورا غير مأجور ، وأبشر بما يسوءك، وإذا خرج الرجل بمال حلال ، وبعث راحلته ، وقال : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك ، أجبت بما تحب ، راحلتك حلال وثيابك حلال ، وزادك حلال ،

---

(١) سورة الأنفال ، آية ( ٢٥ ) .

ارجع مبرورا غير مأزور ، وأتنف العمل ، أخرج هذه الرواية أبو زر ، وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : " رد دانق من حرام بعدل سبعين حجة"(#) ذكره ابن جماعة ...

(#) هذا هو المطلب ( الرسالة ) رقم ( ١٥٠ ).

# القسم الثاني : التحقيق
# " تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء"

## أولا : المقدمة : (١)

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء ، وواسطة عقد سلسلة الأولياء والأصفياء ، وصيرهم أغنياء ، عن مذلة الأمراء والأغنياء.

والصلاة والسلام علي خير من قام بوصف الهداية والاهتداء ، وعلي آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه نجوم الاقتداء.

أما بعد : فيقول الملتجيء الي حرم ربه الباريء علي بن سلطان محمد القارى : ان الله سبحانه أعظم برهانه في قوله تعالي :"ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون " (٢)

والركون أدني الميل ، ومنه قوله تعالي : " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا " (٣) وفيه مبالغات ، يدل ( علي أن ) (٤) تثبيته تعالى لنبيه كان كثيرا نبيلا.

## ثانيا : مصطلحات ومفاهيم حول العلماء والأمراء والظلمة : (٥)

ثم الظلم لغة : وضع الشيء فى غير موضعه ، وأقواه الشرك وأنواع

(١) هذا العنوان : من عند المحقق.

(٢) سورة هود ، آية (١١٣) .

(٣) سورة الاسراء ، آية (٧٤).

(٤) فى الأصل " يدل أنه " وما أثبته بين المعكوفين هو الذي تستقيم به العبارة.

(٥) هذا العنوان : من عند المحقق.

الكفر ، لقوله عز وجل : " ان الشرك لظلم عظيم " (١) وأدناه : وضع محبة غير الرب في ميدان القلب ، كما يشير اليه قوله عز وجل : " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه " (٢)

وهو الشرك الخفي ، كما يومىء اليه كلام العارف بن الفارض : (٣)

ولو خطرت لي في سواك إرادة علي خاطري سهوا حكمت بردتي

وعرفا : هو التعدي إلي مال الغير وعرضه ودمه بغير وجه شرعي.

وهو من أقبح أنواع الظلم ، وأبعدها عن العفو والحلم ، ويؤيده حديث(٤) :

" الدواوين ثلاثة : فديوان لا يغفر الله منه شيئا ، وديوان لا يعبأ الله به شيئا ، وديوان لا يترك الله منه شيئا : فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئا ، فالاشراك بالله ، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله ( به (٥) ) شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه ، أو صلاة تركها ، فان الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز. وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا

---

(١) سورة لقمان ، آية (١٣).

(٢) سورة الكهف ، آية ( ٢٨ ).

(٣) ابن الفارض ٥٧٦ - ٦٣٢ هـ = ١١٨١ - ١٢٣٥م.

هو : عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي المصري المولد والدار والوفاة يلقب : بسلطان العاشقين في شعره . تتصل فلسفته بما يسمي " وحدة الوجود " قدم أبوه من حماة " بسوريه " الي مصر فسكنها ، وصار يثبت الفروض للنساء علي الرجال بين يدي الحكام ، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض . له : " ديوان شعرط" جمعه سبطه علي . ولمحمد مصطفى حلمي : " ابن الفارض والحب الالهي ط " الأعلام للزركلي ص ٥٥ -٥٦.

(٤) في الأصل " حيث " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته.

(٥) ما بين المعكوفين من عندي لتستقيم به العبارة.

فظلم العباد بينهم ، القصاص لا محالة " (١)

رواه أحمد(٢)(٣) والحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها .(٤)

وعن عبد الله بن المبارك (٥) لما سأله خياط للظلمة : هل أنا من أعوانهم؟ قال: "بل أنت من أعيانهم. وأن من أعوانهم من يبيع لك الخيط والابرة. في أحيائهم (٦) ، وورد الجلاوزة (٧) ، والشرط (٨) ، وأعوان الظلمة كلاب النار"

---

(١) ورد الحديث بمعناه بلفظ " ذنب لا يغفر وذنب لا يترك وذنب يغفر . فأما الذي لا يغفر فالشرك بالله وأما الذى يغفر فذنب العبد بينه وبين الله عز وجل ، وأما الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا ، أورده المناوى وعزاه الى الطبراني في الكبير وقال حديث صحيح عن سلمان . فيض القدير ٥٦٥/٣ ح ٤٣٣٦ وقد ورد الحديث بمعناه من طريق عائشة فى مسند الامام أحمد كما سنوده في الصفحة التالية.

(٢) أحمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ = ٧٨٠ - ٨٥٥ م وهو أحمد بن محمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي المشهور . تنقل لطلب العلم إلى الكوفة والبصرة واليمن والشام والمغرب وفارس ، من مصنفاته : المسند . ( الأعلام ٢٠٣/١ ) .

(٣) رواية الحديث في مسند أحمد جـ ٦ ، ص ٢٤٠ عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئا ، وديوان لا يترك الله منه شيئا ، وديوان لا يغفره الله . فأما الديوان الذى لا يغفره فالشرك بالله ، قال الله عز وجل : " ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة " وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئا ، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه ، أو صلاة تركها ، فان الله عز وجل يغفر ذلك ، ويتجاوز إن شاء ، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا. القصاص لا محالة".

(٤) راوى الحديث : السيدة عائشة رضى الله عنها ، وكان المفروض أن يذكر اسمها قبل مفتتح متن الحديث كما يفعل المحدثون.

(٥) عبد الله بن المبارك ١١٨ - ١٨١ هـ = ٧٣٦ - ٧٩٧م.

هو : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي الحافظ ، شيخ الاسلام ، المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات ، أفنى عمره في الاسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا . جمع الحديث والفقه والعربية له مقامه فى الشجاعة والسخاء . له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه. الأعلام للزركلى ١١٥/٤.

(٦) فى الأصل ( فى حياتهم ) وهو تصحيف والصحيح ما اثبته

(٧) الجلاوزة جمع جلواز وهو : الشرطى . اللسان ( جلز ).

(٨) والشرط جمع شرطى . اللسان ( شرط ).

رواه أبو نعيم (١) في الحلية عن ابن عمر (٢) . وقال حمدون : (٣)

" لا تصاحب الأشرار ، فان ذلك يحرمك صحبة الأخيار " . وقال ، السدى : لا تداهنوا الظلمة فتصيبيكم النار " ومالكم من دون الله من أولياء " أعوانا يمنعونكم من عذابه " ثم لا تنصرون " فى رفع حجابه.

وقال القشيرى : " لا تعملوا أعمالهم ، ولا ترضوا بأعمالهم ، ولاتمدحوهم على أعمالهم ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف عليهم في أفعالهم ، ولا تأخذوا شيئا من حرام أموالهم ، ولاتمكنوهم من قلوبكم ، ولاتخالطوهم ولا تعاشروهم ، لئلا تشاركوهم فيما بهم بما يلحق من صاحبهم من وبالهم ، فان من أحب قوما حشر معهم .

وأما حديث : " ثلاث لا يركن إليها : الدنيا والسلطان والمرأة " (٤)

---

(١) أبو نعيم هو : أحمد بن عبد الله بن أحمد ٣٣٦ - ٤٣٠ هـ = ٩٤٨ - ١٠٣٨ م ومن ألقابه : الأصبهانى أبو نعيم ، وهو حافظ ومؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية ، ولد ومات في أصبهان . من تصانيفه : " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . ط فى عشرة أجزاء " ودلائل النبوة ط ) ، الأعلام للزركلى ١/١٥٧.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن ، ١٠ ق هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م وهو صحابى من أعز بيوتات قريش في الجاهلية.

نشأ فى الاسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة ، أفتى الناس فى الإسلام ستين سنة ، عرضت عليه الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فأبى . غزا افريقية مرتين ، وهو آخر من توفى بمكة من الصحابة ، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا ، وقد كف بصره في آخر حياته.

(٣) هو : أبو صالح حمدون ابن أحمد بن عمارة القصار النيسابوري ، صوفي كان شيخ أهل الملامة بنيسابور ، وكان عالما فقيها يذهب مذهب الثورى وله طريقة اختص بها . وتوفي ٢٧١ هـ = ٨٨٤ م ( الأعلام للزركلى ٢/٢٧٤).

(٤) قال في المقاصد الحسنة: كلام صحيح لا نطيل فيه بالاستشهاد لوضوح أمره أ. هـ. وأنظر : الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا على القاري ص ١٠١.

فكلام " صحيح " معني وليس بحديث نبي .

وأما الأخبار في هذا الباب (فكثيرة ) (١) وكذلك الآثار لأهل الاعتبار في هذا المعني شهيرة.

## ثالثا : الأخبار : (٢)

وأما الأخبار فقوله عليه السلام : " العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا ، وإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا االرسل فاحذروهم"(٣) رواه العقيلي وغيره من أنس(٤) والعسكري عن علي.(٥)

وفي رواية الديلمي عن أبي هريرة (٦) : " إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص" (٧) " وقوله : " يأتي علي الناس

(١) في الأصل " كثيرة " وهو تحريف ومخالف لقواعد النحو.

(٢) هذا العنوان من عند المحقق.

(٣) رواه العقيلي في الضعفاء عن أنس . وأشار السيوطي في الصغير ١٥٢/٢ ، إلي حسنه.

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري ، أبو ثمامة ، أو أبو حمزة . صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ، روي عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا ، الاعلام للزركلي ٢٤/٢ - ٢٥ ، صفة الصفوة : ٢٩٨/١.

(٥) علي بن أبي طالب ٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ = ٥٩٩ هـ - ٦٦١م ، وهو علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن.

(٦) هو : ( عبد الرحمن بن صخر الدوسي ) الملقب بأبي هريرة ٢١ ق هـ - ٥٩ هـ = ٦٠٢ - ٦٧٩م وهو صحابي من حفاظ الحديث والراوين له . قدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسلم سنة ٧ هـ . ولزم النبي وصحبته وروي عنه ٥٣٧٤ حديثا . الاعلام للزركلي : ٣٠٨/٣ ، صفة الصفوى ٢٨٥/١.

(٧) أورده المناوي وعزاه للديلمي في مسند الفردوس ، عن أبي هريرة وقال حديث حسن . فيض القدير ٣٥٤/١.

زمان علماؤها فتنة وحكماؤها فتنة ، تكثر المساجد والقراء ، لا يجدون عالما إلا الرجل بعد الرجل " أبو نعيم عن هند عن أبيه عن جده (١) • وقوله : " إن الله تعالي يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم (٢)" النسائى وأبن حبان (٣) عن أنس وأحمد والطبراني (٤) عن أبي بكرة (٥) (٦)

وقوله : " ان الله تعالي (٧) يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة "

---

(١) حلية الأولياء ١٦٩/٥•

(٢) رواه البخاري : ك : المغازى • باب ( ٤٠ ) جـ ٥ ، ص ٧٠• وهو في فتح الباري ٣٦٢/٧• روراه مسلم : ك : الإيمان ، باب ( ٤٥) جـ ١ ص ٤٣ •

(٣) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمى أبو حاتم البستي ( ٠٠٠٠ – ٣٥٤ هـ ) = ( ٠٠٠ – ٩٦٥م ) وهو مورخ علامة وجغرافى ومحدث ، ولد في بست ( من بلاد سجستان ) رحل إلي خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة ، وتولي قضاء سمرقند مدة ، وتوفي فى بلدة ( بست ) له مؤلفات : " المسند الصحيح في الحديث " " وروضة العقلاء • ط " فى الأدب والأنواع والتقاسيم "خ" الاعلام للزركلى ٧٨/٦ ، شذرات الذهب ١٦/٣•

(٤) الطبرانى " سليمان بن أحمد " ٢٦٠ – ٣٦٠ هـ = ٨٧٣ – ٩٧١م•

وهو : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى أبو القاسم : من كبار المحدثين • أصله من طبرية الشام ، وإليها نسبته ، ولد بعكا ورحل الي الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة ، وتوفي بأصبهان • له ثلاثة " معاجم " في الحديث منها : " المعجم الصغير – ط " رتب فيه أسماء المشايخ علي الحروف• وله كتب في " التفسير " و" دلائل النبوة " وغير ذلك • الأعلام للزركلي ٢١/٣ ، وفيات الأعيان ٢١٥/١•

(٥) أبو بكره " نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفى أبو بكرة ( ٠٠٠ – ٥٢ هـ = ٠٠٠ – ٦٧٢م ) وهو صحابي من أهل الطائف ، له ١٣٢ حديثا ، توفي بالبصرة • وإنما قيل له أبو بكرة ، لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلي النبى صلى الله عليه وسلم وهو ممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين•

الأعلام للزركلي : ٤٤/٨ ، الاصابة ت ٨٧٩٥ والاستيعاب ، بهامشها : ٥٣٧/٣•

(٦) حلية الأولياء ١٣/٣ عن الحسن•

(٤) فى الأصل " وقوله تعالي ان لله " وهو تحريف واضح والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى•

ابن عساكر (١) في تاريخه عن أبي هريرة ٠ وقوله : " إن أبغض الخلق إلي الله تعالى العالم يزور العمال " (٢) ابن لال عن أبي هريرة ٠ وقوله "شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء " (٣) كذا في الإحياء ٠ قال العراقي رواه ابن ماجة (٤) ، الشطر الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف٠

وعن بعض السلف وروي مرفوعا : " نعم الأمير علي باب الفقير وبئس الفقير علي باب الأمير "(٥) وقوله : " سيكون قوم بعدي من أمتى سيتفقهون في الدين ويقرأون القرآن ويقولون : نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم

(١) ابن عساكر ( علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي المؤرخ الحافظ ، الرحالة ٤٩٩ - ٥٧١ هـ ٠ وقد كان محدثا للديار الشامية ومولده ووفاته في دمشق ٠ له : " تاريخ دمشق الكبر ٠ خ " يعرف بتاريخ ابن عساكر وله كتب كثيرة منها : الأشراف علي معرفة الاطراف ٠ خ " في الحديث ، ثلاث مجلدات ، معجم الصحابة وأربعون حديثا من أربعين شيخا من أربعين مدينة ٠ الاعلام ٤/٢٧٣ ، ٢٧٤ ٠ مفتاح السعادة ١ - ٢١٦ ، طبقات الشافعية ٤/٣٧٣٠

(٢) انظر : مسند الفردوس للديلمي ١/٢١٥٠ وهو في اتحاف السادة المتقين ١/٢٨٩ ، ٦/١٢٧ وفي جمع الجوامع تحت رقم ٦٠٤٣٠ وقد عزاه السيوطي لابن لال عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد أشار السيوطي إلي ضعفه في الجامع الصغير ١/٢٩٠٠

(٣) هذا الحديث ذكره ابن ماجة بالشطر الأول نحوه ، من حديث زبي هريرة بسند ضعيف ٠ ذكره العراقي في حاشية الاحياء ٠ جـ ١ ، ص ١١٦ ، كما ورد في فيض القدير ٤/١٥٦ ، ح ٤٨٦٥ بلفظ " شرار الناس شرار العلماء في الناس " أورده المناوى وقال حديث حسن عن معاذ٠

(٤) ابن ماجة : ( ٢٠٩ -٢٧٣ هـ ) = ( ٨٢٤ - ٨٨٧م)

هو : محمد بن يزيد الربعي القزويني ، أبو عبد الله ابن ماجة أحد الأئمة في علم الحديث ، وهو من أهل قزوين ، رحل إلي البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري في طلب الحديث ، وصنف كتابه : سنن ابن ماجه ، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة وله : " تفسير القرآن " وكتاب في " تاريخ قزوين " الأعلام : ٧/١٤٤٠ وفيات الأعيان ، وتهذيب التهذيب ٩/٥٣٠٠

(٥) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة وعزاه الي ابن ماجة في المقدمة بسند ضعيف عن أبي هريرة وعمر ٠ السخاوي ٠ المقاصد الحسنة ص ٦٩٨ ، ح ١٢٥٤٠

ونعتزلهم بدبيننا ولا يكون ذلك . كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك ، كذلك لا يجتني من قربهم الا الخطايا " (١)

رواه ابن ماجه وابن عساكر عن ابن عباس . (٢)

وقوله : " شرار الناس شرار العلماء في الناس " (٣) البزاز (٤) عن معاذ (٥) وقوله : " صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء " (٦) أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس .

وقوله من ازداد علما ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا(٧)

---

(١) أورده المناوي وعزاه إلي ابن عساكر بلفظ " سيكون بعدي قوم من أمتي يقرأون القرآن ويتفقهون فى الدين " وقال حديث ضعيف ، فيض القدير ١٣١/٤ عن ابن عباس.

(٢) عبد الله بن عباس ( ٣ ق هـ ـ ٦٨ هـ ) وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمى أبو العباس . حبر الأمة – الصحابى الجليل ، ولد بمكة ونشأ فى بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة ، وشهد مع علي الجمل وصفين.

وكان ترجمان القرآن . توفي فى الطائف ، وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا . الأعلام ٩٥/٤ ، صفة الصفوة ١ – ٣١٤.

(٣) أورده المناوي وعزاه الي ابلزار عن معاذ. حديث حسن . فيض القدير ١٥٦/٤ ، ح ٤٨٦٤ .

(٤) البزاز هو : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ... – ٢٩٢هـ = ... – ٩٠٥م وهو حافظ من العلماء بالحديث فى أهل البصرة . حدث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام . وتوفي في الرملة . له مسندان : أحدهما كبير سماه : " البحر الزاخر والثانى : " صغير " الأعلام للزركلى ١/٩٨٩ تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٠٤/٢.

(٥) معاذ بن جبل ( ٢٠ ق هـ – ١٨ هـ =٦٠٣ – ٦٣٩م) وهو ابن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجي وهو صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبى صلي الله عليه وسلم . شهد المشاهد كلها وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الي اليمن قاضيا . الأعلام للزركلي ٢٥٨/٧.

(٦) أورده المناوي وعزاه إلي أبي نعيم في الحلية عن ابن عباس وقال حديث ضعيف عن ابن عباس فيض القدير ٢٠٩/٤ ح ٥٠٤٧.

(٧) أورده السخاوي فى المقاصد الحسنة وعزاه للديلمى فى مسند الجفراوى عن على ص ٦٣٠ ح ١٠٧٨ وأورده الألباني في ضعيف الجامع رقم ٥٤٠١ ، ١٦٠/٥.

الديلمي عن علي . وقوله : " اذا قرأ الرجل وتفقه في الدين ثم أتي باب السلطان تملقا إليه وطمعا لما في يديه خاض بقدر خطاه في نار جهنم (١).

أبو الشيخ عن معاذ . وقوله : " ان أهون الخلق علي الله العالم يزور العمال " الدهقاني عن أبي هريرة.

وقوله : " ما من عالم أتي صاحب سلطان طوعا إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم " (٢) ابن عساكر في تاريخه عن معاذ.

وقوله : " ويل لأمتي من علماء السوء " ابن عساكر في تاريخه عن أنس وقوله : " ان أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان " (٣) الطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين .(٤)

---

(١) ورد الحديث من طريق أبي هريرة بلفظ آخر : " من طلب علما مما يبتغي به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة " الحديث : أبى داود وابن ماجة باسناد جيد. انظر الاحياء جـ ١ وص ١٠٣. هذا وقد روي الحديث الديلمي في مسند الفردوس عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، ح = ١١٣٤ وذكره صاحب كنز العمال برقم ٢٩٠٢٧ ، وعزاه السيوطي لأبي الشيخ عن معاذ ولم يذكر حكمه . والحديث في اتحاف السادة المتقين ٣٩/١ ، ١٢٦/٦ روي مرفوعا من حديث معاذ وأخرجه الحاكم في تاريخه.

(٢) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة ، وعزاه الى الديلمي في مسند الفردوس عن معاذ ، وحكم عليه بعدم الصحة . ص ٥٨٧ ، ح ٩٨٣ وأورده الألباني في ضعيف الجامع برقم ٥١٩٦ ، ١٢٠/٥.

(٣) أورده المناوى وعزاه إلي ابن عدي في الكامل ، وفي رواية أحمد : " أخوف ما أخاف علي أمتي كل منافق عليم اللسان " عن عمر . فيض القدير ٢٢١/١ ح ٣٠٥.

(٤) هو : عمران بن حصين بن عبيد ، أبو نجيد الخزاعي : ( ... - ٥٢ هـ = ... - ٦٧٢م ) وهو من علماء الصحابة . أسلم عام خيبر ( سنة ٧ هـ ) وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة ، وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. وولاه زياد قضاءها . وتوفي بها . وهو ممن اعتزل حرب صفين . له في كتب الحديث ١٣٠ حديثا - الأعلام للزركلي ٧٠/٥ ، صفة الصفوة ٢٨٣/١ ، تذكرة الحفاظ ٢٨/١.

وقوله : " ويل لأمتي من علماء السوء يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم ربحا لأنفسم لا أربح الله تجارتهم " (١) ابن عساكر فى تاريخه عن أنس.

وقوله " شرار الناس فاسق قرأ كتاب الله وتفقه في دين الله ، ثم بذل نفسه لفاجر ، إذا نشط تفكه بقراءته ومحادثته ، فيطبع الله علي قلب القائل والمستمع (٢) " الديلمى عن ابن عمر.

وقوله : " علم الله آدم ألف حرفة من الحرف وقال له : قل لولدك وذريتك إن لم تصبروا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين ، فإن الدين لي وحدى خالصا ، وويل لمن طلب الدنيا ويل له " (٣) ابن عساكر فى تاريخه عن عطية بن بشر المازنى.

وقوله : " إن في جهنم واديا تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة ، أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم (٤) وان أبغض الخلق الى الله عالم السلطان (٥) " ابن عدي (٦) : عن أبي هريرة.

---

(١) أورده المناوي وعزاه إلي الحاكم عن أنس فى تاريخه وقال حديث ضعيف : فيض القدير ٣٦٩/٦ ، ح ٩٦٥٤ وأورده الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ٥١/٦ ، ح ٦١٥٢ مسند الفردوس للديلمى حديث ٧١٥٤عن أنس.

(٢) ورد بلفظ " شرار الناس شرار العلماء في الناس " أورده المناوى وعزاه إلى البزار عن معاذ ، وقال حديث حسن ، فيض القدير ١٥٦/٤ح٤٨٦٤ .

(٣) الديلمى في مسند الفردوس ، حديث رقم = ٤١٠٥ عن عطية بن بشر.

(٤) فى الأصل ( أعمالهم ) وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٥) مسند الفردوس للديلمى ، ح = ٨٤٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) هو : عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني أبو أحمد ( ٢٧٧ - ٣٦٥ هـ ) وهو علامة في الحديث ورجاله " أخذ عن أكثر من ألف شيخ . اشتهر بين علماء الحديث بابن عدي . له : " الكامل فى معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة - خ ، ثمانية عشر جزءا منه ، وهو كما في كشف الظنون ستون جزءا ، و " أسماء الصحابة - خ " وكان ضعيفا في العربية ، وهو من الأئمة الثقاة فى الحديث . الأعلام ١٠٣/٤ ، سير النبلاء . خ . الطبعة العشرون ، تذكرة النوادر ٩٤.

وقوله : " سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر ، شرار الناس شرار العلماء في الناس " (١) أبو نعيم في الحلية عن معاذ ٠ وقوله : " لا تقوم الساعة حتي يمشى إبليس في الطرق والأسواق ، يتشبه بالعلماء ، يقول : حدثني فلان عن فلان عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بكذا وكذا " (٢) أبو نعيم عن واثلة٠ وقوله : " من طلب العلم لله لم يصب منه بابا إلا ازداد في نفسه ذلا وفي الناس تواضعا ولله خوفا وفي الدين اجتهادا ، فذلك الذى ينتفع بالعلم فليتعلمه ، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابا الا أزداد في نفسه عظمة وعلي الناس استطالة وبالله اغترار وفي الدين جفاء ، فذلك الذي لا ينتفع بالعمل فليتمسك وليكف عن (.....) علي نفسه والندامة والخزي يوم القيامة " (٣) الديلمي عن الحسن قال : سمعت رجالا من المهاجرين والأنصار منهم علي بن أبي طالب مرفوعا ٠ وعنه قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، فذكرنا الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال : " غير الدجال أخوف عندي عليكم من الدجال أئمة " مضلون " أحمد وغيره ٠ وقوله : " لما سئل عن شر الخلق أي ؟ فقال : اللهم غفرا حتى كرر عليه فقال : علماء السوء " الدارمي عن حكيم والبزار عن معاذ وقوله : " من بَدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتي السلطان افتتن (٤) أبو

---

(١) ورد بلفظ " سلو الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع " أورده المناوي وعزاه لابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان وقال حديث صحيح عن جابر ٠ فيض القدير ٤/١٠٨ ح٤٧٠٢٠.

(٢) مسند الفردوس للديلمي ، ح = ٧٥٤٦ عن واثلة بن الأسقع ٥/ ٨٧٠

(٣) ورد حديث بمعناه في الحلية لأبي نعيم ٢٩٠/١٠ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ٠

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس ٥٥٣/٣٠ وجاء في فيض القدير للمناوي ( ٥٧٣٢) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس ، ورمز له السيوطي بالحسن٠ قال المناوي أخرجه أحمد باللفظ المذكور عن أبي هريرة وعن ابن عباس قال المنذري والهيثمي : =

داود (١) والترمذي (٢) وحسنه ، والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله : " سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ، ومن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع أبعده الله . قيل : أفلا نقتلهم ؟

قال : لا ماصلوا " (٣) مسلم من حديث أم سلمة.

وقوله :" تعوذوا بالله من جب الحزن ، قيل يا رسول الله وماجب الحزن؟ أو وادي الحزن ؟ قال : واد في جنهم تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة

---

= رجاله رجال الصحيح ، خلا الحسن ابن الحكم النخعي ، وهو ثقه . وفي مسند الطبراني أورده الذهبي في الضعفاء ، وقال ثقة مشهور ، ضعفه الفلاسي.

وأخرجه أحمد ٣٧١/٢ ، مجمع الزوائد ٢٤٦/٥ ، ١٠٤/٨ . والبيهقي ١٠١/٩ والترغيب ١٩٤/٣ ، والمطالب العالية (٣٢٥٩) ، وعلل الحديث ( ٢٢٣٠) .

(١) هو : سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أبو داود. (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ = ٨١٧ – ٨٨٩م ) وهو إمام أهل الحديث في زمانه . أصله من سجستان . رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة . له : " السنن ط – " جزآن ، وهو أحد الكتب الستة ، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠,٠٠٠ حديث وله : " المراسيل – ط" صغير ، في الحديث . و" كتاب الزهد – خ " في خزانه القرويين " الرقم ٨٠ / ١٣٣ " بخط أندلسي ، و " البعث – خ " رسالة و " تسمية الأخوة – خ " رسالة . وللجلودي كتاب " أخبار أبي داود ".

الأعلام للزركلي ١٢٢/٣ ، تذكره الحفاظ١٥٢/٢ ، تهذيب ابن عساكر ٢٤٤/٦.

(٢) هو محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي ، ( ... – نحو ٣٢٠ هـ = ... – نحو ٩٣٢م ) هو باحث صوفي ، عالم بالحديث وأصول الدين ، من أهل (ترمذ) نفي منها بسبب تصنيفه كتاب خالف فيه ما عليه أهلها ، فشهدوا عليه بالكفر . من مؤلفاته : " نوادر الأصول في احاديث الرسول ط " ، " بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب – ط " الأعلام ٢٧٢/٦ .

(٣) رواه مسلم ، ك المساجد ، باب (٧) ، ص ١٥٠.

أعده الله تعالى للقراء المرائين وان من شر القراء (١) من يزور الأمراء"(٢) رواه العقيلى والعسكري وابن عساكر عن علي وروي ابن عساكر عن مسعود (٣) قال : لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا ، لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم . سمعت نبيكم صلي الله عليه وسلم يقول : " من جعل الهموم هما واحدا ، هم المعاد ، كفاه الله سائر الهموم ، ومن شعبته الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى واديها هلك " (٤)

وقوله : " من أحب آخرته أضر بدنياه ، ومن أحب دنياه أضر بآخرته ، فآثروا ما يبقي على ما يفنى ، واعلم أن أقل العلم والعرفان ، بل أدني الاسلام والايمان أن يؤمن بأن الدنيا فانية والآخرة باقية . ونتيجة هذا العلم وثمرته أن يختار الباقي علي الفاني ، بل لو كان الباقي خزفا والفانى ذهبا ، لكان العاقل اختار ما يبقي علي ما يفني ، فكيف والآخرة ذهب باق ، والدنيا خزف فان " (٥)

---

(١) فى الأصل ( الفرد ) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته.

(٢) حديث : " تعوذوا بالله من جب الحزن ... " رواه الترمذى فى السنن كتاب الزهد باب (٤٨) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب جـ ٤ و ص ٥٩٤ .

(٣) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبو عبد الرحمن : صحابى من أكابرهم ، فضلا وعقلا ، وقربا من رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلي الاسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة . وكان خادم رسول الله الأمين ، وولى بعد وفاة النبى صلي الله عليه وسلم بيت مال الكوفة . توفي في المدينة عن نحو ستين عاما فى عهد الخليفة عثمان بن عفان . وكان يحب الاكثار من التطيب . له ٨٤٨ حديثا وأورد له الجاحظ ( فى البيان والتبيين ) خطبة له ومختارات من كلامه . الأعلام ١٣٧/٤ - الاصابة ت ٤٩٥٥ - صفة الصفوة ١٥٤/١ .

(٤) رواه أبو نعيم الأصفهانى فى الحلية عن ابن مسعود رضي الله عنه، جـ ٢،ص ١٠٥ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٤١٢/٤ ورجاله ثقات ، لكن فيه انقطاع ، كما نبه على الذهبي في تلخيص المستدرك ٣٠٨/٤ متعقبا تصحيح الحاكم اياه .

كما يشير اليه قوله سبحانه : " قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقي " (١) وفي آية أخرى : " وللآخرة خير لك من الأولى " (٢) ويومىء اليه قوله عليه السلام : " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقي كافرا منها شربة ماء " (٣) هذا مع قوله تعالي : " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين " (٤)

## رابعا : الآثار :

" وأما الآثار عن الأخيار من الأحبار "

فعن أبي عمران الجوني عن هرم بن حيان (٥)أنه قال : إياكم والعالم الفاسق " فبلغ عمر بن الخطاب فقال : ما العالم الفاسق ؟ فكتب إليه هرم

---

(١) سورة النساء ، آية (٧٧)٠

(٢) في الأصل " وللآخرة خير وأبقى " وصحة الآية كما أثبتها سورة الضحى آية (٤)٠

(٣) حديث صحيح بطرقه وشواهده ، أخرجه ابن ماجة ( ٤١١٠) في ك الزهد باب مثل الدنيا ، وفيه زكريا بن منظور ضعيف ، لكن تابعه عبد الحميد بن سليمان عند الترمذى ٣٢١ وباقي رجاله ثقاة ، وله شاهد عن ابن عمر عند الخطيب ٩٢/٤ ، واسناد صحيح ، وآخر عند ابن المبارك في الزهد ( ٥٠٩ ) عن رجال من أصحاب رسول الله ، ولا بأس باسناده في الشواهد وثالث عند المبارك أيضا ( ٦٢٠ ) عن الحسن البصري مرسلا باسناد حسن ، فالحديث صحيح بهذه الشواهد٠

أنظر : شرح السنة للبغوي – ١٤ / ٢٢٩٠

(٤) سورة الزخرف ٠ الآيات ( ٣٣ – ٣٥ )٠

(٥) هو : هرم بن حيان العبدى الأزدى ، من بني عبد القيس ( ٠٠٠ – بعد ٢٦ هـ = ٠٠٠ – بعد ٦٤٧م) وهو قائد فاتح ، من كبار النساك ٠ من التابعين ، كان أمير بني عبد القيس في الفتوح ٠ وولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ، بأرض فارس ٠ =

ابن حبان :والله يا أمير المومنين ما أردت إلا الخير يكون إمام " يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق ،فيشبه علي الناس، فيضلوا "ابن سعد(1)والمروري في العلم.

قلت : ( المؤلف ) (٢) ويؤيده قوله تعالي : " كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " (٣) وقوله : " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " (٤)

وقال سفيان(٥) "في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء والزائرون للملوك" وقال حذيفة ( ٦ ) اياكم ومواقف الفتن قيل وما هى ؟ قال : أبواب الأمراء ،

---

= وحاصر " بوشهر " سنة ١٨ ودخلها . وكان من سكان البصرة عده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية ، من كبار التابعين . سماه الجاحظ في النساك الزهاد من أهل البيان . وقد بعثه عثمان بن أبي العاص ( أمير البحرين ) إلي القلعة ( بحرة ) ويقال لها " قلعة الشيوخ " فافتتحها عنوة ( سنة ٢٦ ) ومات فى احدى غزواته . الاعلام ٨٢/٨ ، طبقات بن سعد ٩٥/٧ ، صفة الصفوة ١٤٣/٣.

(١) هوسهل بن سعد الخزرجي الأنصارى ، من بني ساعدة : صحابى ، ومن مشاهيرهم من أهل المدينة ، عاش نحو مائة سنة له في كتب الحديث ١٨٨ حديثا . الأعلام ١٤٣/٣.

(٢) ما بين المعكوفين من عندي للتوضيح.

(٣) سورة الصف ، آية (٣).

(٤) سورة البقرة ، آية (٤٤).

(٥) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من مصر ، أمير المؤمنين في الحديث ، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ في الكوفة وخرج منها فسكن مكة – والمدينة . له من الكتب : " الجامع الكبير " و " الجامع الصغير " كلاهما في الحديث وكان آية في الحفظ.
الأعلام للزركلي ١٠٤/٣ – ١٠٥.

(٦) هو : حذيفة بن حسل بن جابر العيسى ، أبو عبد الله ، واليمان لقب حسل : صحابى ، من الولاة الشجعان الفاتحين .( ... – ٣٦ هـ = ... – ٦٥٦م) كان صاحب سر النبي صلي الله عليه وسلم في المنافقين ، لم يعلمهم أحد غيره . وولاه عمر علي المدائن ( بفارس ) وكانت عادته إذا استعمل عاملا كتب في عهده " وقد بعثت فلانا وأمرته بكذا ، فلما استعمل حذيفة كتب في عهده " اسمعوا له وأطيعوه ، وأعطوه ما =

يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه (١)(٢) ! ! ! "٠

وعن كميل بن زياد (٣) قال (٤) : " أخذ بيدى على بن أبي طالب

= سألكم " فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين ، فقرأ عهده ٠ فقالوا : سلناما شئت ، فطلب ما يكفيه من القوت ٠ وأقام بينهم فأصلح بلادهم٠ وهاجم نهاوند ( سنة ٢٢ هـ ) فصالحه صاحبها علي مال يؤديه في كل سنة ٠ وغزا الدينور ، وماه سندان ، فافتتحهما عنوة (وكان سعد بن أبي وقاص قد فتحهما ونقضتا العهد ) ثم غزا همذان والرى ، فافتتحهما عنوة ٠ واستقدمه عمر الى المدينة ، فلما قرب وصوله اعترضه عمر فى ظاهرها ، فرآه علي الحال التى خرج بها ، فعانقه وسر بعفته ٠ ثم أعاده إلي المدائن ، فتوفي فيها . له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثا ٠ الأعلام للزركلى ٢/١٧١، الاصابة ١/٣١٧ ، صفة الصفوة ١/٢٤٩٠

وقد ورد في الإحياء أن حذيفة رضي الله عنه قال : " انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا ، وذلك لكثرة البطالين " الإحياء ٠ جـ ١ ، ص١٠٨٠

(١) وقد ورد في الإحياء أيضا أن حذيفة رضي الله عنه قد خص بعلم المنافقين ، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن ، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة ، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم ، ولا يخبر بأسمائهم ٠ وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه : هل يعلم فيه شيئا من النفاق ؟ فبرأه من ذلك ٠ الإحياء ٠ جـ ١ ، ص ١٣٢٠

(٢) الحلية لأبى نعيم ٢/٢٧٣٠ عن حذيفة رضي الله عنه٠

(٣) هو : كميل بن زياد بن نهيك النخعى ( ٢١ – ٨٢ هـ = ٦٣٣ – ٧٠١م ) تابعى ثقة من أصحاب على بن أبي طالب ، كان شريفا مطاعا فى قومه٠

شهد صفين مع على ، وسكن الكوفة ، وروى الحديث ٠ قتله الحجاج صبرا ، الأعلام للزركلى ٥/٢٣٤ ، حلية الأولياء ٢/١٩ ، الاصابة ، باب الكنى ٠

(٤) اعتمد الباحث في تخريج الحوار بين كميل النخعى وعلى بن أبي طالب على ما ورد في كتاب العقد الفريد ، تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى ٠ دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان ٠ حـ ٢ ، ٢١١ – ٢١٣ ٠ وقد جاءت الرواية في فضيلة العلم : " حدثنا أيوب بن سليمان ابن صالح بن هشيم المعافري ، أبو صالح القرطبى =

(فخرج بي ) (١) الي ناحية الجبانة ، فلما ( أسحر ) (٢) تنفس ( الصعداء) (٣) ثم قال : يا كميل : هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ عنى ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم " رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع ، أتباع كل ناعق ، (مع كل ريح يميلون )(٤) لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلي ركن وثيق. يا كميل ( العلم خير من المال ) (٥) العلم يحرسك وأنت تحرس المال ( والمالى تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ومنفعة المال تزول بزواله ) .(٦)

يا كميل محبة ( العلم ) (٧) دين يدان به ، يكسب ( العالم الطاعة لربه في حياته ) (٨) وجميل الأحدوثه بعد وفاته (٩).

---

= قال حدثنا عامر بن معاوية عن أحمد بن عمران الأخنس عن الوليد بن صالح الهاشمي عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفي عن أبي محنف عن كميل النخعي ... الخ.

(١) فى الأصل " فأخرجنى " وما أثبته نقلا من العقد الفريد ( المرجع السابق).

(٢) فى الأصل"أضحى " وما أثبته هو الصحيح نقلا من العقد الفريد ( المرجع السابق).

(٣) هذه الكلمة ليست موجودة بالأصل ،وإنما وردت في العقد الفريد ( المرجع السابق).

(٤) فى "الأصل" يميلون مع كل ريح " وما أثبته نقلا من رواية العقد الفريد والمثبته بالهامش ( المرجع السابق ).

(٥) هذه الجملة ليست موجودة بالعقد الفريد.

(٦) فى الأصل " والعلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقه " وما أثبته هو الصواب نقلا من العقد الفريد ( مرجع سابق ).

(٧) فى الأصل " العالم " وهو تحريف والصواب ما أثبته.

(٨) فى العقد الفريد ( يكسب الانسان الطاعة في حياته ) وأرى أن رواية المخطوطة هي الصواب حيث أنها تناسب المقام ويستقيم بها المعني .

(٩) جاء فى الأصل عقب تلك الجملة عبارة( ونفقة المال تزول بزواله ) وهذه العبارة إضافة إلي أن بها"تصحيفا لكلمة "ونفقة "فالصحيح أنها"ومنفعه" فقد وردت بالعقد الفريد" ومنفعة المال تزول بزواله"وقد أثبت العبارة في مكانها المناسب .

والعلم (١) (حاكم ) (٢) والمال محكوم عليه.

يا كميل : مات ( خزان ) (٣) (المال ) (٤) وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة . ( ها ان هاهنا لعلما جما)(٥) وأشار ( بيده )(٦) الى صدره ، لو ( وجدت )(٧) له حمله ،(ثم قال اللهم) (٨) ( بلى أجد لقنا)(٩) غير مأمون، يستعمل آلة الدين ( للدنيا (١٠) ( ويستظهر بنعم الله علي عباده ، وبحجه علي أوليائه ) .(١١) (أو) (١٢) منقادا لحملة الحق(ولا) (١٣) بصيرة له في أحنائه (ينقدح) (١٤)

---

(١) فى الأصل " والعلم والمال " وما أثبته هو الصحيح ليستقيم المعنى.

(٢) ما بين المعكوفين نقلا من رواية العقد الفريد ليستقيم به المعنى.

(٣) فى الأصل «خبران » وهو تصحيف ، والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى .

(٤) فى الأصل " الأموال " وهو تحريف والصحيح ما أثبته نقلا من رواية العقد الفريد.

(٥) فى الأصل " ان هاهنا لعلماء " والصحيح ما أثبته نقلا من رواية العقد الفريد ، حيث أنها تناسب المقام وتستقيم بها العبارة.

(٦) هذه الكلمة ( بيده ) غير موجودة بالأصل ، إلا أنها وردت بالعقد الفريد وبها تستقيم العبارة.

(٧) فى الأصل ( لو أحببت ) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته نقلا عن العقد الفريد .

(٨) هذه العبارة " ثم قال اللهم " غير موجودة بالعقد الفريد.

(٩) فى الأصل " بلى أصبته لقنى " والصحيح ما أثبته ليستقيم المعني نقلا من العقد الفريد.

(١٠) فى الأصل " في الدنيا " والصحيح ما أثبته نقلا عن رواية العقد الفريد .

(١١) فى الأصل " ويستظهر بحجج الله علي أوليائه ... فقط " والصحيح ما أثبته نقلا عن العقد الفريد.

(١٢) فى الأصل " و " بدون الهمزة والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(١٣) فى الأصل " لا " بدون الواو والصحيح ما أثبته.

(١٤) فى الأصل " يقدح " وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

الزيغ (١) فى قلبه لأول عارض من شبهة ، ( لا إلي هؤلاء ولا إلي هؤلاء ؛ أو منهوما باللذة سلس القيادة للشهوة ، أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين فى شىء) (٢) أقرب شبها ( بهما ) (٣) الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت ( حامليه ) (٤) ( ثم قال ) (٥) اللهم ( بلى ) (٦) لا تخلو الأرض من قائم ( بحجة الله) (٧) ، إما ظاهرا مشهورا ، وإما خائفا مغمورا ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ( وكم ذا وأين ؟ (٨) ) أولئك (والله) (٩) هم الاقلون عددا والأعظمون ( عند الله قدرا) (١٠) بهم يحفظ الله حججه (وبيناته ) (١١) حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم ( هجم بهم العلم على حقيقة الأيمان (١٢) ( حتى ) (١٣ ) باشروا روح

---

(١) في العقد الفريد " الشك " وأرى سلامة الكلمة كما هى بالأصل.

(٢) فى الأصل ( اللهم لازار ولازاك أو منهوماً بالذات سلس القياد للشهوات ومغرما بالجمع والادخار وليس من رعاة الدين ) والصحيح ما أثبته نقلا من العقد الفريد لتقسيم العبارة ويتضح المعنى.

(٣) فى الأصل " بها " والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٤) فى الأصل " حملته " والصحيح ما أثبته ليناسب المقام.

(٥) ما بين المعكوفين كما جاء في رواية العقد الفريد وهو الصواب.

(٦) لم ترد كلمة " بلى " فى الأصل ، والصحيح وضعها كما جاء بالعقد الفريد .

(٧) فى الأصل " لله لحججه " والصواب ما أثبته نقلا من العقد الفريد .

(٨) فى الأصل ( من كم وأين ) والصواب ما أثبتناه نقلا من العقد الفريد ليستقيم المعنى وتتضح العبارة.

(٩) فى الأصل بدون لفظ الجلالة ما أثبته نقلا من العقد الفريد .

(١٠) لم ترد عبارة ( عند الله قدرا ) بالأصل والصواب اثباتها كما جاء بالعقد الفريد.

(١١) لم ترد كلمة " وبيناته " بالأصل . والصحيح أثباتها كما جاء بالعقد الفريد .

(١٢) فى الأصل " ينجم العلم عن حقيقة الأمر " والصحيح ما أثبته ليتضح المعني وتستقيم العبارة كما وردت في العقد الفريد.

(١٣) خلا الأصل من كلمة ( حتي ) والصحيح إثباتها كما في العقد الفريد.

اليقين ( فاستلانوا ما استخشن المترفون ) (١) وأنسوا بما استوحش (منه) (٢) الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة ( بالرفيق ) (٣) الأعلى . ( يا كميل ) (٤) أولئك خلفاء الله فى أرضه ، الدعاة إلي دينه ( آه آه ) (٥) شوقا الى ( رؤيتهم ) (٦) ( انصرف يا كميل إذا شئت ) (٧) استغفر الله لى ولك.

ابن الأنباري في المصاحف والمرهبى في العلم ، ونصر فى الحجة ، وابن عساكر وأبوا نعيم فى الحلية.

وقيل للأعمش (٨) : قد أحببت العلم لكثرة من يأخذ منك ، فقال : لا تعجلوا ، ثلاث يموتون قبل الادراك ، وثلاث يلزمون أبواب السلطان ، وهم

---

(١) فى الأصل " واستباوا ما استوعر... " وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته وفقا لرواية العقد الفريد.

(٢) خلا الأصل من كلمة ( منه ) وقد اثبتها العقد الفريد وهو الصواب.

(٣) في الأصل " بالمحل " والصحيح ما اثبته وفقا لرواية العقد الفريد.

(٤) خلا الأصل " من عبارة ( ياكميل ) والصواب إثباتها كما في العقد الفريد.

(٥) في الأصل ( هاه) وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته وفقا لرواية العقد الفريد.

(٦) جاء في العقد الفريد " شوقا اليهم " وأرى سلامة عبارة النص كما وردت.

(٧) لم ترد عبارة ( انصرف يا كميل اذا شئت ) فى الأصل ، إلا أن العقد الفريد أثبتها ورأيت موافقته ليستقيم المعني وتتضح العبارة.

(٨) الأعمش ( سليمان بن مهران ) ٦١ – ١٤٨ هـ = ٦٨١ – ٧٦٥م.

وهو : سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد ، الملقب بالأعمش ، تابعى ، مشهور . أصله من بلاد الري ، ومنشأه ووفاته بالكوفة . كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض ، يروي نحو ١٣٠٠ حديث ، قال الذهبي : كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح . وقال السخاوى : قيل : لم ير السلاطين والملوك والأغنياء فى مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره.

الأعلام ٣/١٢٥ ، تاريخ بغداد ٩/٣

شر الخلق ، والثلاث الباقية لا يفلح منه الا القليل.(١)

قال الأوزاعي (٢) : " ما من شيء أبغض إلي الله تعالي من عالم يزور عاملا" وقال مكحول الدمشقي : " من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بقدر خطاه " .

وقال سحنون (٣) : " ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال : هوعند الأمير . قال : وكنت أسمع أنه يقال : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه علي دينكم ، حتي جربت ، إذ ما دخلت قط علي هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج ، فاذا عليها الدرك (٤) ، وأنتم تعلمون وترون ما ألقاه به من الفظاظة (٥) والغلظ وكره المخالفة لهواه ، و لوددت أني أنجو من الدخول عليه كفافا (٦) مع أني لا آخذ منهم شيئا

---

(١) الحلية لأبي نعيم ٧/٢٨٨.

(٢) الأوزاعي هو : ( عبد الرحمن بن عمر بن محمد ٨٨ – ١٥٧هـ = ٧٠٧ – ٧٧٤ م ) من قبيلة الأوزاع ، امام الديار الشامية في الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين . ولد في بعلبك ، ونشأ في البقاع ، وسكن بيروت وتوفي بها . له كتاب " الفن في الفقه " و " المسائل " ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها . الأعلام ٣/٣٢٠.

(٣) هو :سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون ، ( ١٦٠ –٢٤٠ هـ = ٧٧٧ – ٨٥٤ م ) ، قاضي ، فقيه ، انتهت إليه رياسه العلم في المغرب ، كان زاهدا ، لا يهاب السلطان في حق يقوله ،أصله شامي من حمص ، ومولده في القيروان ، ولي القضاء بها سنة ٢٣٤ هـ واستمر إلى أن مات... روي"المدونة – ط "في فروع المالكية.الأعلام ٤/٥.

(٤) الدرك بمعني الذنب والمؤاخذه.

(٥) في الأصل الفظة ولم أجد لها أصلا في كتب اللغة ، والفظاظة القسوة والاساءة . انظر المعجم الوسيط ( فظظ ).

(٦) كفافا : الكفاف ما كان مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان.

ويقال : ليتني أخرج من هذا الأمر كفافا أي لا لي ولا علي.

انظر : المعجم الوسيط ( كفف )

، ولا أشرب لهم شربة ماء . ثم قال : " علماؤنا شر من علماء بني اسرائيل يجيزون السلطان بالرخص ، وبما يوافق هواه ، ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخلوهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم " . وقال الحسن [1] : " كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم " فى الاسلام ، وصحبة النبي عليه السلام.

قال ابن المبارك [2] : يعنى ابن ( أبي ) [3] وقاص [4] ، قال : وكان يغش السلاطين ثم قعد عنهم ، فقال له بنوه : يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم فى الاسلام ! ! ! فلو أتيتهم ... فقال : يا بني ، آتى إذاً جيفة قد أحاط بها قوم " والله لئن استطعت ما شاركتهم فيها.

قالوا : يا أبانا إذاً نهلك هزلا ، قال : يا بني ، لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب الى من أن أموت منافقا سمينا. قال الحسن : خصمهم والله إذا علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان.

---

(١) يعني : الحسن البصرى = الحسن بن يسار.

(٢) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء ، التميمى ، المروزى أبو عبد الرحمن : الحافظ . ( ١١٨ – ١٨١ هـ = ٧٣٦ – ٧٩٧م) وهو شيخ الاسلام المجاهد ... جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء كان من سكان خراسان ، ومات بهيت ( على الفرات ) منصرفا من غزوة الروم له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه ، و " الرقائق – خ " في مجلد. الأعلام ١١٥/٤ ، تذكرة الحفاظ ٢٥٣/١.

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من المخطوطة ويعني ( سعد بن أبي وقاص ).

(٤) هو : سعد بن أبي وقاص مالك؛ بن أهيب (٢٣ق هـ – ٥٥هـ = ٦٠٠ – ٦٧٥ م )، الصحابى الأمير ،فاتح العراق ، ومدائن كسرى ، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة ، وأول من رمي بسهم فى سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ويقال له : فارس الاسلام ، أسلم وهو ابن ١٧ سنة،له فى كتب الحديث ٢٧١ حديثا . الأعلام ٨٦/٣ – ٨٧.

وقال أبو ذر (١) لسلمة : " لا تغشى أبواب السلاطين ؛ فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم الا أصابوا من دينك أفضل منه . "

وكتب عمر بن عبد العزيز (٢) إلي الحسن ، أما بعد : " فأشر علي بقوم (٣) أستعيذ بهم علي أمر الله تعالي " فكتب إليه : " أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا ، فلن تهديهم ، ولكن عليك بالأشراف ، فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة ."

وحكى الأوزاعي عن بلال بن سعد أنه كان يقول : " ينظر أحدكم إلي الشرطى فيستعيذ بالله منه ، وينظر إلي علماء الدنيا المتصنعين (٤) إلى الخلق،المتشوفين إلي الرياسة،فلا يمقتهم ،وهؤلاء أحق بالمقت من الشرطى".

وعن الحسن البصرى : " إن بقيْت لك الدنيا لم تبلغها فأى فائدة (٥) فى طلبها ، وانفاق العمر العزيز علي كسبها ".

---

(١) أبو ذر الغفارى ( ... - ٣٢ هـ = ... - ٦٥٢ م ).

وهو : جندب بن جناده بن سفيان بن عبيد ، من بني غفار ، من كنانة بن خزيمة ، أبو ذر : صحابى ، من كبارهم . قديم في الاسلام ، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامسا .

يضرب به المثل في الصدق . وهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام.

هاجر بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم إلى بادية الشام ، فاقام إلى أن توفى أبو بكر وعمر وولي عثمان . ومات في ( الربذة ) من قري المدينة وكان كريما . وروي له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثا . الأعلام ١٤٠/٢. صفة الصفوة ٢٣٨/١ ، الاصابة ٦٠/٧.

(٢) هو : عمر بن عبد العزيز مروان الأموى القرشي أبو حفص الخليفه الصالح والملك العادل . ( ٦١ - ١٠١ هـ = ٦٨١ - ٧٢٠م ) . الاعلام ٥٠/٥

(٣) فى الأصل : " فأشر علي قوام أستعيذ بهم " وهو تحريف واضح.

(٤) فى الأصل : ( المتصفين ) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٥) فى الأصل " لم تتبعلها فأى حائره " وهو تحريف واضح والصحيح ما أثبته ليستقيم المعني.

ولله در القائل :

هب الدنيا تساق إليك عفوا ... أليس مصير ذاك الى زوال

ومادنياك الا مثل ظل ... أظلك ثم آذن بارتحال

ولآخر :

وأضغاث نوم (١) أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثلها لايخدع

وعن سفيان الثورى :

" ما أخاف علي دهر إلا من القراء والعلماء " فاستنكروا ذلك منه فقال : ما أنا قلته ، إنما قاله ابراهيم النخعى (٢) يعني به أستاذا يخيفه .

وعن عطاء .(٣) قال : قال لى الثوري : " احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفت أحدهم (٤) فى رمانه فأقول إنها حلوة ويقول : انها حامضة ما أمنته أن يسعى به مني (٥) الى السلطان جائر ".

وعن مالك بن دينار (٦) أنه قال : " اني أقبل شهادة القراء علي جميع

---

(١) " أضغاث نوم " يعنى بها " الدنيا"

(٢) هو : ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود : ، أبو عمران النخعي ، من مذحج : (٤٦ - ٩٦ هـ = ٦٦٦ - ٧١٥ م) من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث . ولما بلغ الشعبي موته قال : والله ما ترك بعده مثله . الأعلام ٨٠/١

(٣) : هو : عطاء بن أسلم بن صفوان ( ابن أبي رباح ) ( ٢٧ - ١١٤ هـ = ٦٤٧ - ٧٣٢ م ) وهو تابعي ، من أجلاء الفقهاء . كان عبدا أسود . ولد في جند ( باليمن ) ونشأ بمكة فكان مفتى أهلها ومحدثهم وتوفي فيها . الاعلام ٢٣٥/٤ ، صفة الصوفة ١١٩/٢.

(٤) في الأصل ( أو هم الي ) وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعني.

(٥) فى الأصل ( من ) وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

(٦) هو : مالك بن دينار البصري ، أبو يحي ( ... - ١٣١ ه = ... - ٧٤٨م ) من رواة الحديث ، كان ورعا يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفي بالبصر. الأعلام ٢٦٠/٥ - ٢٦١.

الخلق ، ولا أقبل شهادة بعضهم علي بعض ، لأني وجدتهم حسادا " ، قلت (١) : " واذا كان من أعوان الظلمة ، فيتعين أن لا تقبل شهادته علي أحد ، فانه إما ظالم أو فاسق "

وعن الفضيل (٢) أنه قال لابنه : " اشتر لي دارا بعيدة من القراء ، مالي بقوم إن ظهرت مني زلة هتكوني ، وإن ظهرت علي نعمة حسدونى " (وصدق ) (٣) من قال في حال هؤلاء الرجال :

تشاغل قوم بدنياهم ... وقوم تخلوا بمولاهم

فألزمهم باب مرضاته ... وعن سائر الخلق أغناهم

ولآخر :

أرى الزهاد في روح وراحة .... قلوبهم عن الدنيا مزاحة

إذا أبصرتهم أبصرت قوما ....ملوك الأرض سيمتهم سماحة

وعن بعض المشايخ : " إن ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا يمضغه غيرك فكل ويحك رزقك بالعز ولا تأكله بالذل ".

وأصله الخبر المأثور عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال لابن مسعود : " ليقل همك ما قدر يأتيك ومالم يقدر لم يأتك "

---

(١) ( قلت ) المقصود هنا ( المؤلف ).

(٢) هو : الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى ( ١٠٥ - ١٨٧ هـ = ٧٢٣ - ٨٠٣ م) وهو شيخ الحرم المكي ، من أكابر العباد الصلحاء ، كان ثقة في الحديث أخذ عنه خلق منهم : الأمام الشافعى : ولد في " سمرقند " وسكن مكة وتوفى بها . من كلامه : " من عرف الناس استراح " الأعلام ١٥٣/٥.

(٣) ما بين القوسين زيادة من عندي تستقيم به العبارة.

قلت (١) : ويؤيده قوله تعالى : " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" (٢) والحديث المشهور : " ما أصابك لم يكن ليخطئك (٣) وما أخطأك لم يكن ليصيبك " (٤) وحديث : " جف القلم على علم الله " (٥) وفى رواية : " جف القلم بما هو كائن الي يوم القيامة " ٠(٦)

وخبر على : " إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور" ٠

وقد ثبت أن الله تعالى يقول : " إني لأذود أوليائي عن نعيم الدينا كما يذود الرّاعى الشفيق إبله عن مبارك العُرّة " ٠

وفي هذا المعني لبعض الزهاد شعر:

سبقت مقادير الاله وحكمه ... فأرح فؤادك من لعل من لوا

وقال أخر :

فلعل ما نخشاه ليس بكائن ... ولعل ما نرجوه ليس يكون

سيكون ما هو كائن في وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون

---

(١) ( قلت ) المقصود ( المؤلف )

(٢) سورة التوبة ، آية ( ٥١ )٠

(٣) جزء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود : يا غلام " ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم إن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا علي أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا علي أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك " ٠

(٤) أخرجه الترمذى في كتاب الزهد ، باب ما جاء فى قصر الأمل ٠ حديث = ٢٢٣٤ ، وأخرجه أحمد فى مسنده ٢/ ٢٤ ، ٤١ ، ١٣٢ ٠

(٥) صحيح البخاري : كتاب القدر ٠ الباب الأول ٣/ ١٩٦٠

(٦) المرجع السابق ٠

وقال آخر :

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون

جنون " منك أن تسعي لرزق ... ويرزق من غشاوته الجنين

وعن بعض الكبراء :

تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها ، وخسة شركائها . ثم إن السلف الصالح أجمعوا علي التحذير من أهل زمانهم وآثروا العزلة في عامة شأنهم ، وأمورا بذلك ، وتواصوا (١) بالتزام ما هنا لك ولا شك أنهم كانوا أنصح وأبصر ، وأقروا أن الزمان بعدهم لن (٢) يصير خيرا مما كان ، بل كل يوم شر (٣) منه وأمر .

فعن يوسف بن أسباط أنه قال : سمعت الثورى يقول : " والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان " قال حجة الاسلام (٤) : " ولئن حلت في زمانه ففي زماننا وجبت " قلت (٥) : ويؤيده قوله تعالي : " يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " ( ٦) وقوله عليه السلام "اذا رأيت شحاً مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأي برأيه

---

(١) فى الأصل : " وتواضعوا " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى .

(٢) فى الأصل : " لم " وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة لغويا .

(٣) فى الأصل : " شرا " وهو تحريف حيث أن الكلمة خبر لكل والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة لغويا .

(٤) هو : محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ( ٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١م ) ١٠١/٤ ومفتاح السعادة ١٩١/٢ - ١٩٢ . الاعلام ٢٢/٧ ، طبقات الشافعية ٤ : ١٠١

(٥) قلت ( المقصود : المؤلف ) .

(٦) سورة المائدة ، آية ( ١٠٥ ) .

فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة " (١)

وكتب رجل علي باب داره : " جزى الله من لا يعرفنا خيرا ولا جزي بذلك أصدقاءنا خاصة ؛ فما أوذينا قط الا منهم ".

وقال الفضيل : " هذا زمان " احفظ فيه لسانك ، وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ".

وعن داود الطائي (٢) : " صم عن الدنيا واجعل فطرك الجنة وفر من الناس فرارك من الأسد ".

قلت : (٣) ويشير إلي قوله تعالى : " ففروا الي الله " (٤) وقوله سبحانه : " وتبتل اليه تبتيلا " (٥) وقال الثورى : " هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت إلي أن تموت ".

وعن يحيي بن معاذ (٦) : " رؤية الناس بساط الرياء " . عن ابراهيم

---

(١) الترمذى الجامع ، كتاب تفسير القران ، باب (٦) جـ ٥ ص ٢٥٧ ح = ٣٠٥٨.
وقال الترمذي حديث حسن غريب . طبعة – مصطفى الحلبى . تحقيق ابراهيم عطوة عوض : ١٣٩٥ هـ

(٢) هو : داود بن نصير الطائى أبو سليمان ، من أئمة المتصوفين ، أصله من خراسان ومولده بالكوفة ، رحل إلي بغداد ، فأخذ عن أبي حنيفة وغيره وعاد إلي الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة إلي أن مات فيها قال : أحد معاصريه لوكان داود فى الأمم الماضية لقضى الله تعالى شيئا من خبره " الاعلام ٢/٣٣٥ ، حلية الأولياء ٧/٣٣٥.

(٣) قلت : المقصود: المؤلف.

(٤) سورة الذاريات ، أية (٥٠).

(٥) سورة المزمل ، أية (٨).

(٦) هو يحيي بن معاذ بن جعفر الرازى ، أبو زكريا : واعظ ، زاهد ، لم يكن له نظير فى وقته .من أهل الرى، أقام ببلخ ، ومات في نيسابور . له كلمات سائرة منها : "هان عليك من احتاج اليك" "الدنيا من أولها آلي آخرها لا تساوي غم ساعة " اجتنبت صحبة =

بن أدهم (١) : " كن واحدا امعيا (٢) ومن ربك ذا أنس ومن الناس وحشيا ثم اعلم أنك متي عانقت العبادة بحقها ولزمتها حق الملازمة ، ووجدت حلاوة المناجاة واستأنست بكتاب الله وسنة رسول الله اشتغلت عن الخلق ومرامهم واستوحشت من صحبتهم وكلامهم وسلامهم".

وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : " جميع العلم في القرآن ، لكن تقاصرت عنه أفهام الرجال".

وقال غيره :

إذا ذكرت (٣) بحار العلم يوما ... فقول المصطفى لا غير بحرى (٤)

هو البحر المحيط وما عداه ... فأنهار صغارٌ منه تجري

وقد جاء بعض الأمراء إلي بعض الكبراء (٥) واعتذر لقلة المارين اليه فأجاب عليه : " بأنه (٦) بمقدار ما يفرح الناس بذهابك إليهم ، فنحن نفرح بعدم إيابك إلينا "

---

= ثلاثة أصناف من الناس : العلماء الغافلين ، القراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين " الاعلام٨/١٧٢.

(١) هو : ابراهيم بن أدهم بن منصور ( ... - ١٦١ هـ = ... - ٧٧٨م ) زاهد مشهور . كان أبوه من أهل الغني في بلخ ، فتفقه ورحل إلي بغداد وجال فى العراق والشام والحجاز ، وكان يصوم في السفر والاقامة ، وينطق بالعربية الفصحي لا يلحن وكان إذا حضر مجلس سفيان الثورى وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل . الاعلام ١/٣٠.

(٢) فى الأصل ( حامعيا ) وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

(٣) فى الأصل " اذا كرت " وهو تحريف واضح والصحيح ما أثبته.

(٤) في الأصل " تجرى " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٥) المقصود بالكبراء : " العلماء العباد المخلصون ".

(٦) في الأصل : " بأن مقدار " وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

وقال بعض المشايخ :

اتخذ الله صاحبا ... ودع الناس جانبا

قلب الناس كيف شئـ ... ـت تجدهم أقاربا

ويؤيده خبر ( اخبر تقله ) (١) وحديث : " الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة (٢) واحدة " (٣)

وفى قصة أبى حنيفة مع المنصور وأبى هريرة عبرة لمن يعتبر فى الموعظة الحسنة ومما ينسب إلى على كرم الله وجهه ورضى الله عنه :

ما الفخر الا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز(٤)بعلم تعش حياً به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود (٥) : " ليس شىء أعز من العلم ، فالملوك حكام على الناس والعلماء حكام " على الملوك" .

---

(١) تقله : من قلا بمعني : كره . ومعني " اخبر تقله ، اختبر الانسان فقد تنكشف لك أشياء لا تحبها فيه.

(٢) الراحلة يقصد بها : الناقة التي تستطيع أن تحمل الرجل والأساس لمسافات طويلة.

(٣) روي الحديث البخاري ٢٨٦/١١ ك الرقاق ، باب رفع الأمانة كما ورد في مسلم (٢٥٤٧ ) في ك فضائل الصحابة ، باب قوله صلي الله عليه وسلم " الناس كابل مائه لا تجد فيها راحلة ".

(٤) فى الأصل " ففز بهم بعلم " وهو تحريف والصواب ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٥) هو : ( ظالم بن عمر بن سفيان بن جندل الدؤلى الكنانى ١ ق هـ - ٦٩ هـ = ٦٠٥ - ٦٨٨م ) وهو واضع علم النحو ، كان معدودا فى الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضرى الجواب من التابعين سكن البصرة فى خلافة عمر وولى إمارتها فى أيام على له شعر جيد فى " ديوان ط " صغير . من شعره : لا تنه عن خلق وتأتى مثله . مات بالبصرة . الأعلام ٢٣٦/٣.

وقال ابن عباس خُيِّر سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال فاختار العلم فأُعطِى المال والملك معا .

وسئل ابن المبارك : من الناس ؟ فقال :العلماء . فقيل من الملوك ؟ قال: الزهاد . وقيل : من السفلة ؟ فقال : الذين يأكلون بدينهم " .

وقال بعض الحكماء : ليت شعرى أى شيء أدرك من فاته العلم ! ! ! وأى شيء فاته من أدرك العلم " ! ! !

وقال سالم بن أبى الجيد : اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم فأعتقنى ، فقلت : بأى حرفة احترف ؟ فاحترفت بالعلم ، فما أتت لى سنة حتى أتى أمير المدينة زائرا فلم آذن له.

وقال أبو الدرداء : " لأن أتعلم مسألة أحب إلى من قيام ليلة ، وقال أيضا : العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم.

وقال عطاء : " مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو " وقال عمر:"موت ألف عابد قائم بالليل صائم بالنهار أهون من موت عالم بصير(١) بحلال الله وحرامه . وعنه : " من تحدث بحديث فعمل به فله مثل أجر ذلك العلم " وقال عطاء : " دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى ! ! ! فقلت ما يبكيك ؟ قال : ليس أحد يسألنى عن شيء ! ! !

وقال بعضهم : ( العلماء ) (٢) سرج الأزمنة ، كل واحد مصباح زمانه ، يستضيء به أهل عصره " .

وقال الحسن " لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم " .

وقال يحيى بن معاذ : " العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم " قيل : وكيف ذلك ؟ قال : " لأن آباءهم وأمهاتهم

---

(١) فى الأصل يصير وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) ما بين القوسين من عندى لتستقيم به العبارة

يحفظونهم من نار الدنيا ( والعلماء )(١) يحفظونهم (٢) من نار الآخرة.

ثم أعلم أن ما يطلب لذاته فهو السعادة فى الآخرة وما يتوسل به إليها فى الدرجة الفاخرة إنما هو العلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل أيضا إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأفضل السعادات فى الدنيا والآخرة العلم فهو أفضل الأعمال ، وكيف لا !!!

وقد تعرف (٣) فضيلة الشىء أيضا بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين ومقارنة (٤) الملائكة المقربين . ثم أى رتبة تكون أجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه ، فى تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم بالعلم إلى جنة المأوى " (٥)

فمن هنا قال عليه السلام : " اطلبوا العلم ولو بالصين " (٦) ابن عدى والعقيلى والبيهقى (٧) فى الشعب وابن عبد البر فى فضل العلم . قال

---

(١) ما بين القوسين من عندى لتستقيم به العبارة

(٢) فى الأصل " يحفظون " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) فى الأصل " يعرف " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٤) فى الأصل " ومعارنة " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٥) فى الأصل " وسياقتهم العلم الى الجنة المأوى " وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٦) حديث " اطلبوا العلم ولو بالصين " رواه البيهقى وغيره عن أنس وهو ضعيف ، بل قال ابن حبان : باطل وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات. انظر : كشف الخفاء ١٣٨/١.

(٧) هو أحمد بن الحسين بن على ، أبو بكر ( البيهقى ٣٨٤- ٤٥٨ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٦م) من أئمة الحديث ولد فى : خسر وجرد ( من قرى بيهق ، نيسابور ) ونشأ بها ثم رحل إلى بغداد والكوفة ومكة وغيرها ، ثم طلب نيسابور فلم يزل بها إلى أن مات ، وقد كثرت تصانيفه : ومنها : السنن الكبرى ، والسنن الصغرى والمعارف والأسماء والصفات ، والترغيب والترهيب والجامع المصنف فى شعب الايمان ، والاعتقاد وفضائل الصحابة . ، الاعلام ١/ ١١٦ ، طبقات الشافعية ٣/٣.

الحجة : (١) " وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب "

كان الشافعي (٢) يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى مكتب ويسأله كيف فى كذا وكذا ؟ فيقال له " مثلك يسأل هذا البدوى فيقول : إن هذا وُفق (٣) لما علمت ، وفى نسخة : لما جهلناه .

وكان أحمد بن حنبل ويحى بن معين (٤) يختلفان إلى : معروف الكرخى (٥) ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما ، وكانا يسألانه ، وكيف لا ! ! وقد قال صلى الله عليه وسلم : " سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم " الطبرانى (٦) من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان . ضعفه

---

(١) المقصود ( حجة الاسلام الغزالى ).

(٢) الامام الشافعى ( ١٥٠ - ٢٠٤ هـ ) = ( ٧٦٧ - ٨٢٠ ) هو : محمد بن إدريس ابن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى . الاعلام ٢٦/٦.

(٣) فى الأصل " وفقا " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٤) ابن معين ( ١٥٨ - ٢٣٣ هـ = ٧٧٥ - ٨٤٨ م) وهو : يحى بن معين بن عون ابن زياد المرى بالولاء ، البغدادى ، أبو زكريا : من أئمة الحديث ومؤرخى رجاله . نعته الذهبى بسيد الحفاظ . ومن كلامه : كتبت بيدى ألف حديث. له : " التاريخ والعلل - خ " فى الرجال . و " معرفة الرجال " - خ الجزء الأول منه . وكان أبوه على خراج الرى فخلف له ثروة أنفقها فى طلب الحديث وعاش ببغداد وتوفى بالمدينة حاجا ، وصلى عليه أميرها . الأعلام ١٧٢/٨ - ١٧٣.

(٥) هو معروف بن فيروز الكرخى أبو محفوظ : أحد أعلام الزهاد والمتصوفين كان من موالى الإمام على الرضى بن موسى الكاظم . ولد فى كرخ بغداد. ونشأ وتوفى بها . اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به حتى كان الامام أحمد بن حنبل من جملة من يختلف إليه . الأعلام ٢٦٩/٧.

(٦) الطبرانى له : " المعجم الصغير والمتوسط والكبير " وفى الحديث ( مسند ابن عباس).

الجمهور ومن هنا قيل : " علماء الظاهر زينة الأرض والملك وعلماء الباطن زينة السموات والملكوت ".

قال الثورى لرفيق له كان يمشى معه، فنظر إلى باب دار مرفوع معمور: " لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى إلى هذا الإسراف ، فالناظر إليه مغين له على إسراف ما فى يديه " وفى قوله سبحانه : " ولا تمدن عينيك (١) إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى " دلالة عليه .

وقال بعض العارفين : " لا تنظروا إلى الأغنياء ، فان بريق أموالهم يذهب برونق أحوالكم ".

وقال الجنيد (٢) (٣) : قال لى السرى (٤) شيخى يوما : إذا قمت من عندى من تجالس ؟ قلت : المحاسبى . قال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك

(١) ذكر المؤلف الآية فقط ( ولا تمدن عينيك ) وقد أثبتها هنا بتكملتها وهى من سورة طه ،الآية (١٣١).

(٢) يميل المحقق إلى أن المقصود هنا : " الجنيد البغدادى " ( ٠٠٠ - ٢٩٧ هـ = ٠٠٠ - ٩١٠م ) وسبب هذا الترجيح يعود إلى أن شيخه السرى السقطى يؤرخ له ( ٠٠٠ - ٢٥٣ هـ = ٠٠٠ - ٨٦٧م) كما أن المحاسبى يعتبر : الحارث بن أسد ٢٣٤ هـ ولعلم تداخل تلك التواريخ إضافة إلى قرينة التخصص ترجح رأينا .

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز ، أبو القاسم : صوفى من العلماء بالدين مولده ومنشأه ووفاته ببغداد . وهو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد ، عده العلماء شيخ مذهب التصوف ، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة من رسائله ، " دواء الأرواح - خ " الاعلام ١٤١/٢.

(٤) السرى السقطى ( ٠٠٠ - ٢٥٣ هـ = ٠٠٠ - ٨٦٧ م) وهو سرى بن المغلس السقطى، ابو الحسن : من كبار المتصوفة بغدادى المولد والوفاة . وهو أول من تكلم فى بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية . وهو خال الجنيد وأستاذه . ومن كلامه : " من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز " الأعلام ٨٢/٣.

تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين . ثم لما وليت سمعته يقول : " جعلك الله صاحب حديث صوفيا ، ولا جعلك صوفيا صاحب حديث . وأشار إلى ( أن) (١) من حصل الحديث بالعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه . ثم اعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى مقامات الضلال ؛ ولذلك قال بعض أهل الحال : " انظر الى ما قال ولا تنظر إلى من قال ؛ فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق ، وان قنعت بالتقليد فانظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس من علماء الدنيا ، ولا تغفل عن الصحابة الكرام ، وعلى حبهم فى هذا المرام ؛ فقد أجمعوا على أنهم لم يدرك فى الدنيا شأؤهم ، ولا يشق غبارهم (٢) ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها . وما (٣) فضل أبو بكر رضى الله عنه بكثرة صلاة ولا صيام ولا بكثرة رواية ولافتوى ولا كلام ولكن بسر وقر فى صدره كما شهد له سيد المرسلين صلى الله علين وسلم كذا ذكره الغزالى.

قال العراقى أخرجه الترمذى فى النوادر من قول بكر بن عبد الله المزنى ، قال : ولم أجده مرفوعا . قلت (٤) : " لكنه فى حكم المرفوع ، فإن مثل هذا لا يقال من قبيل الرأى ، وقد تلقته المشايخ بالقبول ، وأوردوه فى معرض النقول ".

ويؤيده كلام ابن مسعود : " ليس العلم بكثرة الرواة ،إنما العلم نور يقذف فى القلب ، فليكن حرصك فى طلب ذلك السر ، فهو الجوهر النفيس ،

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من عندى تستقيم به العبارة.

(٢) فى الأصل " غبارتهم " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) فى الأصل " دعا " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٤) " قلت " المقصود هنا " المؤلف ".

والدر المكنون ، ودع عنك ما يطابق أكثر الناس عليه ، وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها ، فلقد قبض رسول الله على آلاف من الصحابة كلهم علماء بالله ، أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا" .

ولقد كان ابن عمر منهم ، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل : اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس ، ووضع ( الأمانة ) (١) فى عنقه اشارة إلى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة. ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود : " مات تسعة أعشار العلم " فقيل له : تقول ذلك وفينا جملة من الصحابة ! ! ! قال : " لم أرد علم الفتيا والأحكام وإنما أريد العلم بالله " أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل ! ! !

فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر ، وهو الذى سد باب الكلام والجدل ، فضرب " صبيغا " (٢) بالدرة ؛ لما أورد عليه سؤلاا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره.

## " خامسا : العلوم التى يتقرب بها الى الله تعالى " : (٣)

والحاصل أن أقسام ما يتقرب ( به ) (٤) الى الله ثلاثة :

علم مجرد : وهو علم المكاشفة .

---

(١) ما بين المعكوفين من عندى ليستقيم المعنى وتنتظم العبارة.

(٢) " صبيغا " اسم رجل فاسق ضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٣) هذا العنوان من صياغة الباحث ، حيث يتفق مع المادة العلمية التالية وحتى يسهل على القارىء متابعة المعلومات من خلال الاطلاع على تلك المخطوطة.

(٤) ما بين المعكوفين من عندى لتستقيم العبارة.

وعمل مجرد : كعدل السلطان مثلا .

(و) (١) مركب من علم وعمل ، وهو علم طريق الآخرة ؛ فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا ، فانظر الى نفسك ( تكن ) (٢) يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله ، أو فى حزبيهما ، فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما .

**شعر :**

خذ ما تراه (٣) ودع شيئا سمعت به ... فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وفى كلام الشافعى : " من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وخالقها فى قلبه فقد كذب " .

وكتب حكيم (٤) الى حكيم : " قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم " .

وقال عيسى عليه السلام :

" ما أكثر الشجر ... وليس كلها يثمر

وما أكثر الثمر ... وليس كلها يطيب

وما أكثر العلوم ... وليس كلها بنافع "(٥)

---

(١) فى الأصل " مركب " بدون الواو وهو تحريف ، والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى وتنتظم العبارة.

(٢) ما بين المعكوفين من عندى لتستقيم العبارة.

(٣) فى الأصل " ترده " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

والشاعر هو : " الطغرائى " والبيت من قصيدته المشهورة والمعروفه بلامية العجم.

(٤) فى الأصل " حكم " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٥) فى الأصل " وليس بكلها منافع " وهو تحريف والصواب ما أثبته ليستقيم المعنى .

وأما فى الإحياء من حديث : " قليل من التوفيق خير من كثير من العلم"(١) فقال العراقى : لم أجد له أصل . وكذا ما ذكره من أن عليا أخرج القصاص من جامع البصره ، فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه ؛ إذ كان يتكلم فى علم الآخرة ، لم يصح (٢) ؛ اذ المحدثون اتفقوا على عدم اجتماع الحسن بعلى رضى الله عنه .

## أصل العلم وغايته وثمرته : (٣)

ثم أعلم أن لب العلم هو التوحيد ، وغايته عند ذوى التأييد أن ترى الأمور كلها من الله تعالى ، رؤية بقطع التفاقد من الأسباب والوسائط والاضافات ، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه.

وهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل.

ومنها : ترك شكاية الخلق ، وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله.

وكان احدى ثمراته ، قول أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، لما قيل له فى مرضه : أنطلب لك طبيبا ؟ فقال : " الطبيب أمرضنى " وقول آخر لما

(١) انظر : كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى ، المتوفى ١١٦٢ هـ طبعة مكتبة القدسى ، ١٣٥٢ هـ جـ ٢ ص ٩٩ ، ح = ٨٨٢ ، وذكره صاحب الفردوس عن أبى الدرداء، لكن قال : ( العقل ) بدل ( العلم ) . ولم يخرجه ولده فى مسنده قال العلامة ( على القارى ) صاحب تلك المخطوطة : وتعقبه بعض المتأخرين بأن ما ذكره فى الفردوس رواه ابن عساكر عن أبى الدرداء ، ورواه الطبرانى عن ابن عمر بلفظ ( قليل الفقه خير من كثير العبادة )

(٢) جملة " لم يصح " خبر المبتدأ " ما ذكره " المدون فى بداية الجملة.

(٣) هذا العنوان الجانبى من عندى حيث أنه يناسب المقام ويتفق مع المعلومات المذكورة تاليه.

مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك ؟ فقال ، قال : " انى فاعل لما أريد ".

وإذا عرفت هذا فإليك الخيرة فى أن تنظره بنفسك ، فتقتدى بالسلف أو تستدل بحبل الغرور وتتشبه بالخلف.

فكل ما ارتضاه السلف من العلوم فقد اندرس أكثره (و) (١) ما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع محدث.

وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء " (٢) فقيل من الغرباء ؟ فقال (٣) : الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى ، والذين يحيون ما أوتوه (٤) من سنتى . مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا ، وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمر بن عوف وحسنه.

وفى حديث آخر : " الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم " (٥)أحمد من حديث عبدالله بن عمرو(٦)

---

(١) ما بين المعكوفين من عندى ليستقيم المعنى.

(٢) حديث : " بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء " رواه مسلم : ك الايمان (٢٣٢) وفى مجمع الزوائد " ٣٧٨١ " وعزاه لعبد الله . ورواه الطبرانى وفيه اسحاق بن عبد الله بن أبى فروة وهو متروك . وهو فى مسند أحمد ٧٣/٤ وابن ماجة (٣٩٨٦ ، ٣٩٨٧ ، ٣٩٨٨) .

(٣) فى الأصل " فقيل " وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٤) فى الأصل " أتوه " وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٥) " الغرباء ناس قليلون ... " رواه أحمد عن ابن عمر . الجامع الصغير ١٠٠/٢.

(٦) هو : عبد الله بن عمرو بن العاص . ٧ ق هـ - ٦٥ هـ = ٦١٦ - ٦٨٤ م وهو من قريش صحابى جليل من النساك. من أهل مكه . كان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن السريانية . وأسلم قبل أبيه ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يكتب =

وقد صدق عليه السلام ، فإن تلك العلوم قد صارت غريبة اليوم بحيث يمقت ذاكره . وكذا قال النووى : (١) " إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء ، فاعلم أنه مخلط ، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه " .

والحاصل أن القسم المحمود من العلوم بالأشياء إلى أقصى غايات الاستقصاء ، هو العلم بالله تعالى وبصفاته ، فإن هذا علم مطلوب بنفسه(٢) ، والتوسل به الى سعادة الآخرة ، وذخائره (٣) الفاخرة ، بل بذل المقدور فيه الى أقصى الجهد قصور عن هذا الواجب ، فإنه البحر الذى لا يدرك غوره ، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم من إشرافه، وما أحاط (٤) أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم من الأصفياء على اختلاف درجاتهم بحسب قوة حالاتهم ، وتفاوت تقدير الله فى مراتب عناياتهم ، وهذا هو العلم المكنون ، لا يبسط (٥) فى الكتب ، وإنما يعين على التنبه له التعليم ، ومشاهدة أحوال علماء الآخرة ،

---

= ما يسمع منه فأذن له . شهد كثيرا من الحروب والغزوات ويضرب بسيفين . وحمل راية أبيه يوم اليرموك . ولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة وامتنع عن بيعه يزيد بن معاوية وانزوى بعسقلان منقطعا للعبادة . له ٧٠٠ حديث . الأعلام ١١١/٤ . صفة الصفوة ٢٧٠/١ .

(١) النووى ( ٦٣١ - ٦٧٦ ) هـ = ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م ) هو يحى بن شرف بن مرى ابن حسن الحزامى الحورانى ، النووى ، الشافعى ، أبو زكريا ، محى الدين : علامة بالفقه والحديث له الكثير من المؤلفات منها : المنهاج فى شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين وغيرها . مولده ووفاته فى نوا ( من قرى حوران بسوريه ) الاعلام ١٤٩/٨ - ١٥٠ ، طبقات الشافعية للسبكى ١٦٥/٥ .

(٢) فى الأصل " لنفسه " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى .

(٣) فى الأصل " وذخائر " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى .

(٤) فى الأصل " خاطر " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى .

(٥) فى الأصل " أبسطه " وهو تحريف والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة .

ويعين عليه فى آخر الأمر المجاهدة ، والرياضة وتصفية القلب ، وتفريغه من علائق الدنيا وعوائقها والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء بالقطع عن حدائقها ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ، ولا غنى فيه عن الاجتهاد ، فإن المجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها .

ثم أعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه سلم ، تولاها الخلافاء الراشدون (١) المهديون ، فكانوا أئمة علماء بالله تعالى ، فقهاء فى أحكامه ومشتغلين بالفتاوى فى الأقضية ، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا ماورد فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجرودا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على المولى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم .

فلما أفضت الخلافة بعدهم الى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء ، واستصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم فى أفعالهم وأقوالهم . وقد كان بقى من العلماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول فى اليقين وملازم صفوة (٢) الدين ومواظب على سمت السلف الصالحين ، وكانوا إذا طلبوا أعرضوا وهربوا ، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح ( فى ) (٣) طلبهم لتولية القضاء والحكومات .

فرأى أهل تلك الأعصار من (٤) العلماء فى الأمصار إقبال الأئمة والولاة عليهم ، مع إعراضهم عنهم وعدم التفاتهم إليهم ، فأشربوا ، فطلب العلم توصلا إلى نبل العز وطلب الجاه من قبل الولاة ، فأكبوا على علم

---

(١) فى الأصل " الراشدين " وهو تحريف ويخالف قواعد اللغة والصحيح ما أثبته .
(٢) فى الأصل " صوف " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى .
(٣) فى الأصل " الى الالحاح طلبهم " بدون حرف الجر " فى " والصحيح اثباتها ليستقيم المعنى .
(٤) فى الأصل " عن " وهو تحريف والصحيح ما أثبته .

الفتاوى ، وعرضوا أنفسهم على الولاة ، وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلاة لديهم ، فمنهم من حرم ومنهم من تبجح (١) ، فالمتبجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة التبذل ، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين ، أذلة بالإقبال عليهم ، إلا من بغضه الله تعالى فى كل عمر من علماء الدين ، وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات ، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ، ومالت نفسه إلى سماع الحجج وما فيها من الفوائد فقلبت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام ، فانكب الناس على علم الكلام وما يتعلق به (٢) من الأحكام ، وتركوا سائر أحكام الاسلام واستمرسوا فنون المناقضات وأصناف المفاوضات فى المقالات ، وزعموا أن غرضهم الذود عن دين الله وقمع البدعةوالتدافع عن السنة ، كما زعم من قبلهم أن غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد أحكام المرسلين إشفاقا (٣) على خلق الله ونصيحة لهم ، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام ، وقبح فتح باب المناظرة فى ذلك المرام لما كان قد تولد فى فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة من العناد المفضية الى إهراق الدماء وتخريب البلاد وسائر أنواع الفساد فيما بين العباد ومالت نفسه الى المناظرة (٤) فى الفقه وبيان الأولى من مذهب أبى حنيفة (٥) والشافعى على الخصوص.

---

(١) فى الأصل " أحج " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل " بها " وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

(٣) فى الأصل " شفاقا " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٤) فى الأصل " الناظرة " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٥) هو : النعمان بن ثابت التيمى بالولاء ، الكوفى أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ = ٦٩٩- =

فترك الناس الكلام وفنون علوم الإسلام ، وانسالوا (١) على المسائل الخلافية بين الحنفية والشافعية ، وتساهلوا فى الخلاف مع المالكية والحنبلية، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع واستخراج حقائق الأصل والفرع ، وتقرير علل المذاهب وأدلتها ، وتمهيد أصول الفتاوى وتتمتها ، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات وزينوا فيها أنواع المجادلات.

قال حجة الإسلام : وهم مستمرون عليه إلى الآن ، ولست تدرى ، ما الذى يحدثه (٢) الله فيما بعد من الأعصار فى الأمصار ، ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر وإلى علم آخر لمالوا أيضا معهم وزعموا أن ما اشتغلوا به هو من علم الدين ، وأن لا مطلب لهم إلا التقرب إلى رب العالمين ، ثم قاسوا الملوك بالحدادين ، وظنوا أن عادة الصحابة فى مشاوراتهم ، كتشاورهم فى مسألة الحد والآخرة ، وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ كما نقل من إلقاء المرأة جنينها خوفا من عمر ، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها ، وما نقل عن مالك والشافعى ومحمد ابن الحسن وأبى يوسف وغيرهم من العلماء فى محاوراتهم.

وقد رؤى الثورى حزينا ، فقيل له : مالك ! ! ! فقال صرنا (٣) متجرا لأبناء الدنيا؛يلزمنا أحدهم ، حتى اذا تعلم ، جعل عاملا وقاضيا أو قهرمانا.

---

= ٧٦٧ م) وهو إمام الحنفية ، والفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . ولد ونشأ بالكوفة ومات وهو محبوس ، لأنه رفض المنصب الذى ولاه إياه المنصور العباسى ، وهو القضاء على بغداد فسجنه إلى أن مات . له " مسند – ط " فى الحديث جمعه تلاميذه ، و " المخارج – خ " فى الفقه ، صغير رواه عنه تلميذه أبو يوسف . الأعلام ٣٦/٨ ، تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣ – ٣٢٤

(١) فى الأصل " وانسالوا " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل يحدث وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) فى الأصل ( حزنا ) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

وقد ذكرنا نذرا يسيرا فى :

فضل العلم.وميزنا بين العلوم المحمودة والمذمومة فى شرح عين العلم.

سادسا : آداب المعلم : (١)

بقى بعض الآداب اللازمة (٢) لأولى الألباب منها :

* تصحيح النية فى جميع الأبواب من العبادات والمعاملات بحديث : إنما الأعمال بالنيات.

* وتقديم طهارة النفس عن الأخلاق الرديئة والأفعال الذليلة (٣) ، فقد ورد : ؛ ومن طلب علما مما يبتغى به وجه الله ، ليصيب به عرضا من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة أى ريحها " . رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد جيد .(٤)

وقال بعض المحققين : معنى قولهم : " تعلمنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله " : أن العلم أبى وامتنع علينا ولم تنكشف حقيقته لدنيا ، وإنما وصل حديثه وألفاظه إلينا ، والظن (٥) أن معناه أنا تعلمنا لغير (٦) الله فأبى العلم شرفه أن يكون إلا الله ، فببركة العلم حصل تصحيح العمل ، وهذا خالص لجميع ( من ) (٧) جذبتهم العناية الإلهية ، وأخلصتهم (٨) من

---

(١) هذا العنوان من عندى حيث أنه يناسب المقام.

(٢) فى الأصل " واللازم " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) فى الأصل " الذلية " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى

(٤) انظر : الحلية لأبى نعيم ٢٩٠/١٠ .

(٥) فى الأصل " والنظر " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٦) فى الأصل " بغير " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٧) ما بين المعكوفين من عند المحقق لسلامة المعنى.

(٨) فى الأصل " وأخلصتم " وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه.

التعلق بالأمور (١) الملاهية ؛ وإنما يكون هذا نتيجة علم الكتاب والسنة دون سائر العلوم المحدثة لأصل البدعة.

قال بعض أهل العلم (٢) ببطلان النظر فى العقليات والفهقيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وحققه أصحابها .

* ومنها أن يقلل العلائق والعوائق والتعلق بالخلائق ، فإنها شاغلة ومانعة عن خدمة الخالق ( و ) " ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه " (٣) وكذا قيل : " العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر ".

* ومنها أن لا يتكبر على العلم ويتواضع للمتعلم.

قال الشعبى (٤) : صلى زيد بن ثابت (٥) على جنازة ، فقربت إليه بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال زيد : خل عنك ابن عم رسول

(١) فى الأصل " من الأمور " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل " الظن " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) سورة الأحزاب ، آية(٤).

(٤) الشعبى ( ... – ٤٩٩ هـ = ١١٠٦م ) هو : عبد الرحمن بن قاسم الشعبى ، أبو المطرف : قاضى مالقة ( بالأندلس ) كانت تدور عليه الفتيا بقطره أيام حياته . وكان يذهب إلى الاجتهاد . له " مجموع " فى الأحكام . الأعلام ٣/٣٢٣ تهذيب التهذيب ٢٥٤/١.

(٥) هو : زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي ( ١١ ق هـ – ٤٥ هـ = ٦١١ – ٦٦٥م ) . صحابى من أكابرهم . كان كاتب الوحي ولد فى المدينة ونشأ بمكة . هاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ١١ سنة ، وتعلم وتفقه فى الدين ، فكان رأسا بالمدنية فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. وكان أحد الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، وعرضه عليه . وهو الذى كتب فى المصحف لأبى بكر ، ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأمصار . له فى كتب الحديث ٩٢ حديثا. الاعلام ٥٧/٣، صفة الصفوة ٢٩٤/١.

الله ، فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبل زيد ابن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى الاحياء.

وقال العراقى ذكره الحاكم والبيهقى فى المدخل ، أنهم قالوا : هكذا نفعل قال الحاكم : صحيح الاسناد على شرط مسلم.

وقد قيل : العلم حرب للمتعال *** كالسيل حرب للمكان العالى.

* ومنها أن يعمل بعلمه . قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون " (١) وقال عليه السلام : " أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم ( لم ) (٢) ينفعه الله بعلمه " (٣) الطبرانى والبيهقى ، وقال : " لا يكون المرء عالما (٤) حتى يكون بعلمه عاملا " (٥) ابن حبان.

وقال أسامة بن زيد (٦) : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الصف ، آية (٢).

(٢) مابين المعكوفين زيادة من عندى سقطت من المخطوطة.

(٣) رواه الطبرانى وابن عدى وابن ماجه عن أبى هريرة وسكت عنه العجلونى فى كشف الخفاء جـ ١ /١٣١ ، وأشار السيوطى فى الصغير الى ضعفه جـ ١ ، ١٣٦/.

(٤) فى المخطوطة " عالم " وهو تصحيف ولحن واضح ، لأن عالم خبر كان.

(٥) حديث لايكون المرأ عالما حتى يكون بعلمه عاملا : ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء ، والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء ، ولم أجده مرفوعا هكذا ذكره العراقى بالاحياء. الجزء الأول . بهامش صفحة ٩٨.

(٦) هو : أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف ، أبو محمد : ( ٧ ق هـ - ٥٤ هـ = ٦١٥- ٦٧٤م ) وهو صحابى جليل.ولد بمكة ، ونشأ على الإسلام (لأن أباه كان من أول الناس إسلاما ) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا جما ، وينظر إليه نظر ه إلى سبطية الحسن والحسين ، هاجر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ألى المدينة وأمره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين من عمره . له فى كتب الحديث ١٢٨ ، الاعلام ٢٩١/١.

يقول : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار بالرحا ، فيطوف به أهل النار فيقولون : مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشهر وآتيه (١) " متفق عليه.

ولعل هذا الحديث مقتبس من قوله تعالى:" مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" (٢) أبلغ من هذا قوله تعالى : " واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ..." إلى أن قال :"فمثله كمثل الكلب ... " (٣) الآية ،أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات ويحرص الى اللهوات.قال سفيان الثورى:"يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل".

* ومنها : أن يكون حريصا على طلب زيادته لقوله تعالى : " وقل رب زدنى علما " (٤) ولقوله عليه السلام : " ... لا بورك لى فى يوم لا أزداد (٥) فيه علما "(٦) ولقولهم : " من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان ، ومن

---

(١) رواه مسلم . ك الزهد ، باب (٧) جـ ٢ ، ص ٣٩٠.
كما أكد هذه الرواية العراقى فى تعليقه بهامش الإحياء الجزء الأول صفحة ١٠٠ أكد العراقى ان الاتفاق على أن الرواية المتفق عليها " يؤتى بالرجل ... " بدل بالعالم حيث وردت بالاحياء بلفظ العالم.

(٢) سورة الجمعة ، آية (٥).

(٣) نص الآية : " واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون " الأعراف . الآيات ( ١٧٥ – ١٧٦ ).

(٤) سورة طه ، آية (١١٤).

(٥) فى الأصل" زداد " وهو تصحيف . والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(٦) ورد فى الفوائد المجموعة للشوكانى بلفظ : إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك فى طلوع شمس ذلك اليوم " ثم قال الشوكانى رحمه الله : رواه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة مرفوعا . وفى إسناده وضاع الفوائد . ص ٢٧٥.

استوى يوما فهو مغبون " وقال ابن المبارك : " لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد (١) علم جهل " ويؤيده حديث : " منهو مان لا يشبعان : طالب العلم وطالب الدنيا " (٢)

* ومنها : التباعد عن مصاحبة أهل الدنيا والتسارع (٣) بمرافقة أهل العقبى.

قال الفضيل : " إنى لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالما يلعب به الجهال الحمقى أبناء الدنيا : (٤)

وقيل ليحيي بن معاذ الرازى : (٥) " متى يذهب بهاء العلم والحكمة ؟ قال : إذا طلبت (٦) الدنيا بهما"

وقال عمر رضى الله عنه : " إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه (فى)(٧) دينه فإن كل محب يخوض فيما أحب "

---

(١) فى الأصل" فقد " وهو تصحيف . والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(٢) " منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا " رواه ابن عدى عن أنس والبزار عن ابن عباس ، وأشار السيوطى ٢/٦٧٥ إلى ضعفه.

(٣)فى الأصل" والتساعد " وهو تصحيف . والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(٤) هذا الحديث رواه الديلمى . وهو موضوع . فى أسانيده كذابون ومجهولون. انظر الفوائد المجموعة للشوكانى . ص ٢٧٨ . هذا كما قال العجلونى :

روى بسند فيه منكر . انظر : كشف الخفاء ١٠/١١٥.

(٥) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى أبو زكريا واعظ زاهد لم يكن له نظير فى وقته ، من أهل الرى ، أقام ببلخ ومات فى نيسابور . من أقواله " من خان الله فى السر ، هتك الله ستره فى العلانية " الأعلام ٨/١٧٢.

(٦) فى الأصل" طلب " وهو تحريف . والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(٧) ما بين المعكوفين من عندى ليستقيم المعنى.

قلت (١) : ويؤيده حديث : " من أحب شيئا (٢) ذكره (٣) " وقال سعيد ابن المسيب (٤) : " اذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص " (٥)

شعر :

عجبت لبياع الضلالة بالهدى *** ومن يشرى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه *** سواه ذاك من دين أعجب

* ومنها : أن لا يطلب الدنيا بعلمه ، لما قدمناه ، ولأن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرافها وعظم الآخرة وعزتها وصفائها ودوامها ، ويعلم أنهما متضادتان كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وككفتى الميزان مهما رجحت احداهما خفت الأخرى وكالمشرقين فمتى قربت من احدهما بعدت عن الثانى ، وكقدحين أحدهما مملوء فبقدر ما تصب منه فى الاخرى حتى يمتلىء يفرغ من الآخرة، كما نبه على هذا الأمر قوله عليه السلام :

" من أحب آخرته أضر (٦) بدنياه ، ومن أحب (٧) دنياه أضر بآخرته

---

(١) المقصود " المؤلف ".

(٢) فى الأصل" شىء " والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) حديث : " من أحب شيئا ذكره " رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن عائشة رضى الله عنها وأشار السيوطى فى جامعه إلى ضعفه ٤٧٨/٢.

(٤) هو : سعيد بن المسيب بن حزن ( ١٣ – ٩٤ هـ = ٦٣٤ – ٧١٣م ) وهو سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاء. توفى بالمدينة الأعلام ١٠٢/٣.

(٥) هكذا ذكره الغزالى فى الإحياء . الجزء الأول . ص ١٠٢.

(٦) فى الأصل" اخر" وهو تحريف . والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٧) فى الأصل" حب" وهو تحريف . والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

فآثروا ما يبقى على ما يفنى " كذا رواه أحمد والحاكم عن أبى موسى (١) . ثم من لا يعرف حقارة الدنيا وخساستها وانقلاباتها وامتزاج لذاتها بآلامها وكدوراتها ثم انصرام ما يصفو فى بعض حالاتها فهو فاسد العقل فيما هنالك ، فإن المشاهدة والتجربة ترشد (٢) إلى ذلك .

فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظمة الآخرة ونفاستها ودوامها ، فهو كافر مسلوب الايمان ، فكيف ( يكون ) (٣) من العلماء من لا إيمان له ، ومن لا يعلم مضارة الدنيا للعقبى ، وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع . فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم ، بل هو كافر بالقران من أوله إلى آخره.

فكيف يعد من زمرة العلماء من علم هذا كله ، ثم لم يؤثر الاخرة على الدنيا ، فهو أسير الشيطان ، وقد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه الدرجة.

وفى أخبار داود عليه السلام حكاية من الله تعالى ": ان أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى . يا داود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى أولئك قطا ع الطريق على عبادى.

---

(١) أبو موسى الأشعرى ( ٢١ ق هـ - ٤٤ هـ = ٦٠٢ - ٦٦٥م) هو عبد الله بن قيس ابن سليم بن حضار بن حرب ، أبو موسى ، من بنى الأشعر ، صحابى جليل ، من الشجعان الولاة الفاتحين ، وأحد الحكمين اللذين رضى بهما على ومعاوية بعد حرب صفين . ولد فى زبيد " باليمن " وقدم مكة عند ظهور الاسلام ، فأسلم ، كان أحسن الصحابة صوتا فى التلاوة ، وفى الحديث " سيد الفوارس أبو موسى " له ٣٥٥ حديثا . الأعلام ١١٤/٤.

(٢) فى الأصل" تراشد " وهو تحريف . والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم السياق.

يا داود إذا رأيت ( لى ) (١) طالبا فكن له خادما ، يا داود من رد الى هاريا كتبته جهبذا(٢) ( ومن كتبته جهبذا ) لم أعذبه ابداً " . (٣) ولذا قال الحسن ( رحمه الله ) (٤) " عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل العقبى"(٥) ( الآخرة ) (٦) وكان يحيى بن معاذ ( الرازى رحمه الله ) (٧) يقول لعلماء الدنيا " يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم طالوتيه ( ظاهرة ) (٨) وأخفافكم جالويته ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآثمكم جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين المسالك (الشريعة) (٩)المحمدية والمسالك الأحمدية (١٠)، ثم لا يظن أن ترك المال يكفى للحقوق بعلماء الآخرة فى الحال والمال (١١)، فإن (محبه) (١٢) الجاه أضر من المال (١٣) " وكذا قال بشر : " حدثنا " باب من أبواب

---

(١) ما بين المعكوفين نقلا عن رواية الإحياء الجزء الأول الصفحة ١٠١.

(٢) ما بين المعكوفين وفقا لرواية الإحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٢.

(٣) هذا الخبر الذى حكاه داود عليه السلام عن المولى عز وجل مذكور تقريبا بنفس النص فى كتاب الإحياء مع تغيير طفيف فى بعض الألفاظ التى لا تخل بجوهر المعنى وقد أشرت إلى بعضها.

(٤) ما بين المعكوفين وفقا لرواية الاحياء المشار اليها بالصفحة ١٠٢، الجزء الأول

(٥) تلك الرواية عن الحسن رضى الله عنه ذكرت فى الاحياء (المشار اليه ) صفحة ١٠٢.

(٦) ما بين المعكوفين وفقا لرواية الأحياء ، الجزء الأول الصفحة ١٠٢.

(٧) ما بين المعكوفين وفقا لرواية الأحياء ، الجزء الأول الصفحة ١٠٢.

(٨) ما بين المعكوفين كرواية الاحياء ( ظاهرية ) بدلا من ( طالوتية ) كنص المخطوطة.

(٩) ما بين المعكوفين كرواية الأحياء . (الشريعة ) بدلا من (المسالك ) كنص المخطوطة.

(١٠) خلت رواية الأحياء من ( والمسالك الاحمدية).

(١١) جملة ( فى الحال والمال ) لم ترد ضمن رواية الإحياء.

(١٢) خلت رواية الاحياء من لفظة ( محبة ) التى جاءت بالمخطوطة .

(١٣) هذه الرواية عن يحى بن معاذ الرازى رحمه الله مذكورة فى الاحياء مع اختلاف طفيف إلى اللفظ أشرت اليه سابقا.

الدنيا ، فإذا سمعت الرجل يقول : " حدثنا " فإنما يقول " أوسعوا إلى " (١)

وقال الثورى : " فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد " (٢).

وقال سهل (٣) : " ... (٤) الناس كلهم موتى إلا العلماء ، والعلماء سكارى إلا العاملين (٥) والعاملون (٦) كلهم معزورون إلا المخلصين ، والمخلص على وجل حتى يدرى بما يختم (٧) له به ... " وفى رواية والمخلصون على خطر عظيم ، وهو انقلاب الاخلاص رياء ، ونفاقا .

وقال بعض المحققين: خطره أن يظن أن اخلاصه بإخلاص نفسه ، ولذا قيل :مرتبة المخلصين بفتح اللام أعلى من منزلة المخلصين بكسرها .وقد (٨) قرىء بالوجهين فى السبعة قوله تعالى : " إنه من عبادنا المخلصين " (٩)

(١) هذه الرواية عن بشر مذكورة بنصها فى الاحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٢ .

(٢) هذه الرواية عن الثورى مذكورة فى الاحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٢، وزيد عليها : " وكيف لا تخاف فتنة وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم : " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا " انظر : الاحياء الجزء الأول . ص ١٠٢.

(٣) سهل بن سعد ( ... — ٩١ هـ = ... — ٧١٠م ) وهو : سهل بن سعد الخزرجى الأنصارى من بنى ساعده ( صحابى ) من مشاهيرهم ، من أهل المدينة عاش نحو مائة سنة ، له فى كتب الحديث ١٨٨ حديثا . الأعلام ١٤٣/٣.

(٤) رواية سهل كما ذكرها الأحياء الجزء الأول الصفحة ١٠٣ بها زيادة فى أولها " وقال سهل رحمه الله : العلم كله دنيا ، والآخرة منه العمل به ، والعمل كله هباء إلا الاخلاص : وقال : الناس كلهم ... الخ " كما أشارت المخطوطة إلى نهاية الرواية .

(٥) فى الاصل « العالمين » وما ذكرته نقلا عن الإحياء ( المرجع السابق ) هو المناسب للسياق .

(٦) فى الأصل "والعالمون" وما ذكرته نقلا عن الإحياء،(المرجع السابق) تستقيم به العبارة.

(٧) فى الرواية ذاتها التى جاءت فى الاحياء المرجع السابق"حتى يدرى ماذا يختم له به".

(٨) فى الأصل " وان " وما أثبته هو المناسب للمعنى.

(٩) سورة يوسف ، آية (٢٤).

وكأن فى القراءتين تنبيها على الحالتين والنسبتين من المعنى المجازى الكسبى والحقيقى الوهبى ، كما حقق فى قوله تعالى : " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى (١) " وهذا مرتبة جمع الجمع التى هى نهاية المقصد الأقصى من المنزلة الأسنى.

وقال أبو سليمان الدارانى (٢) : " إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا ، وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية وطيب (٣) الحديث الذى لا يحتاج (اليه) (٤)الا فى طريق الآخرة (٥)

وقال بعض السلف : " العلماء يحشرون فى زمرة (٦) الأنبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين ، والأمراء فى معنى القضاة ، كل فقيه يقصد بعلمه الجاه والمال "(٧)

وروى أنه حَمل إلى الحسن رجل من خراسان كيسا بعد انصراف الحسن من مجلسه ، فيه خمسة آلاف درهم ، وعشرة أثواب من دقيق البر

---

(١) سورة الأنفال ، آية (١٧).

(٢) أبو سليمان الدارانى ( ... - ٢١٥ هـ = ... - ٨٣٠ هـ ) هو : عبد الرحمن ابن أحمد بن عطية العنسى المذحجى ، أبو سليمان : زاهد مشهور ، من أهل " داريا " (بغوطة دمشق ) رحل إلى بغداد ، وأقام بهامدة ثم عاد الى الشام ، وتوفى فى بلده . كان من كبار المتصوفين . له أخبار فى الزهد من كلامه : " خير السخاء ما وافق الحاجة " الاعلام ٣/٢٩٣ -٢٩٤.

(٣) جاء فى الأحياء " أو طلب الحديث ".

(٤) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى.

(٥) جاء فى الإحياء ،" فى طلب الآخرة " انظر : الاحياء الجزء الأول . ص ١٠٣.

(٦) فى الأصل" فرة " وهو تصحيف . والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٧) حديث : " العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء " ، والقضاه يحشرون فى زمرة .... الخ " قال الصنعانى : " موضع " انظر : " كشف الخفاء " جـ ٢ ، ص٦٥

وقال : " يا أبا سعيد : (١) هذه نفقه وهذه كسوة " . فقال الحسن : " عافاك الله ( تعالى ) (٢) ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك ، انه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا ، لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق ( له ) (٣).

* ومنها : أن يكون غير مائل إلى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى المجلس والتجمل فى الأثاث والمسكن ، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ، ويتشبه بالسلف الصالح ( رحمهم الله تعالى ) (٤) فيما هنا لك ( ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك ) وكلما ازداد إلى طرف القلة ميله ونهمته ازداد من الله تعالى قربه ومنزلته ، وارتفع فى علماء الآخرة درجته . ويشهد لذلك ما يحكى عن أبى عبد الله الخواص (٥) ،

وكان من أصحاب حاتم الأصم (٦) قال : " دخلت مع حاتم إلى الرى ، ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلا نريد الحج ، وعليهم المرقعات (٧) وليس معهم

---

(١) المقصود بأبى سعيد " كنية " الحسن البصرى .

(٢) ما بين المعكوفين زيادة كرواية الاحياء . الجزء الأول ص ١٠٥.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة يستقيم بها المعنى كرواية الإحياء . المرجع السابق.

(٤) ما بين المعكوفين وارد بالاحياء . المرجع السابق.

(٥) ( لعله ) ابراهيم الخواص ( ... - ٢٩١ هـ = ... - ٩٠٤م ) هو : ابراهيم ابن أحمد بن اسماعيل ، أبو اسحاق الخواص : صوفى ، كان أوحد المشايخ فى وقته . من أقران الجنيد . ولد فى " سُر من رأى " ومات فى جامع الرى. قال الخطيب البغدادى : له " كتيب " مصنفه . والخواص : بائع الخوص . الأعلام ٢٨/١.

(٦) حاتم الأصم ...- ٢٣٧ = ... - ٨٥١ م ) هو : حاتم بن عنوان،أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصم : زاهد، اشتهر بالورع والتقشف.له كلام مدون فى الزهد والحكم. ومن أهل بلخ.زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل. وشهد بعض معارك الفتوح.مات بواشجرد . وكان يقال : حاتم الأصم لقمان هذه الأمة . الأعلام ١٥٢/٢ ، تاريخ بغداد ٢٤١/٨.

(٧) جاء فى الاحياء " وعليهم الزرمانقات " انظر الاحياء جـ ١ ، ص ١١٢.

جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين ، فأضافنا تلك الليلة ، فلما كان من الغد ، قال لحاتم : ألك حاجة ؟ فانى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل ، فقال حاتم : عيادة المريض فيها فضل ، والنظر إلى الفقيه عبادة ، فأنا أيضا أجىء معك ، وكان العليل : محمد بن مقاتل قاضى الرى ، فلما جئنا ( إلى ) (١) الباب ، فإذا هو مشرف حسن (٢) ، فبقى حاتم متفكرا يقول (٣) : باب عالم على هذه الحالة !!! ثم أذن لهم فدخلوا ، فإذا دار ( حسناء قوراء ، واسعة نزهة ، وإذا بزة (٤) وستور ) فبقى حاتم متفكرا ، ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه ، وإذا بفرش (وطيئة) (٥) وهو راقد عليها ، وعند رأسه غلام وبيده مذبة (٦) ، فقعد الزائر (٧) ( عند رأسه ) (٨) وسأل عن حاله ، وحاتم قائم على حياله (٩) ، فأومأ ( اليه ) (١٠) ابن مقاتل أن اجلس ، فقال : لا أجلس ، فقال : لعل لك حاجة فقال : نعم ، فقال : ما هى ؟ فقال : مسألة أسألك عنها ، قال سل ، قال : قم

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة تناسب المقام كما جاء فى الاحياء.

(٢) جاء فى الاحياء ( فإذا قصر مشرف حسن ).

(٣) فى الأصل ( القول ) والصحيح ما أثبته كما هو رواية الإحيا. .المرجع السابق .

(٤) فى الأصل " فإذا دار بزراء وبن وبيعة وستور " وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته وهو كرواية الاحياء . المرجع السابق.

(٥) فى الأصل " وطب " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته كرواية الاحياء . المرجع السابق.

(٦) فى الأصل ندية وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب المقام.

(٧) فى الأصل" الرازى " وهو تصحيف . والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٨) ما بين المعكوفين زيادة تناسب المقام كما ورد فى رواية الاحياء ، المرجع السابق.

(٩) فى الأصل" خياله " وهو تصحيف . والصحيح ما أثبته ليناسب المعنى.

(١٠) ما بين المعكوفين زيادة كما جاء فى رواية الأحياء ، مرجع سابق .

( فاستو جالسا ) (١) حتى أسألك ، فاستوى ( جالسا ) (٢) فقال حاتم : " علمك هذا من أين أخذته ؟ " من الثقاة (٣) حدثونى به " قال : " عمن ؟ " قال: " عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " قال : " وأصحاب رسول الله عمن ؟ " قال : " عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " قال : ورسول الله عمن ؟ " قال : " عن جبريل عن الله عز وجل " قال حاتم : " فطالما (٤) أداه جبريل عليه السلام عن الله عزو وجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأداه رسول الله إلى أصحابه ، وأصحابه إلى الثقاة ، وأداه الثقاة إليك ، هل فيما سمعت من كان فى داره إسراف وكانت سعتها أكثر ، كان له عند الله المنزلة أكبر ؟ " قال : " لا " قال: " كيف سمعت "؟ " قال : "سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى العقبى وأحب المساكين وقدم لآخرته (كانت ) (٥) له عند الله المنزلة ٠

قال له حاتم : " وأنت بمن اقتديت ؟ ( أبالنبى ) صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحين من أحبابه ، أم بفرعون ونمروز (٦) وأحزابه ؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة ( أفلا أكون أناشرا منه ) (٧) وخرج من عنده ٠

---

(١) فى الأصل " واستو " بدون " جالسا " والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى كما جاء فى رواية الإحياة ٠ المرجع السابق ٠

(٢) ما بين المعكوفين زيادة وافقت المعنى وهو وفقا لما جاء بالاحياء المرجع السابق٠

(٣) فى الأصل " الثقات " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى٠

(٤) فى الأصل " ففيما " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى٠

(٥) فى الأصل " كان " وهو تحريف والصحيح ما أثبته٠

(٦) " نمروز " هو أول من بنى بالجص والآجر٠

(٧) فى الأصل " لا أكون ناشرا منه " وهو تصحيف واضح والصحيح ما أثبته ليناسب المقام وهو كرواية الاحياء ٠ المرجع السابق٠

فلما دخل حاتم بغداد ، واجتمع إليه ( أهل بغداد ) (١) فقالوا : " يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ( ألكن ) (٢) أعجمى ( وليس ) (٣) يكلمك أحد إلا قطعته " قال : " معى ثلاث خصال أظفر بهن على خصمى : أفرح إذا أصاب خصمى ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسى أن لا ( أجهل ) (٤) عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال " سبحان الله ما أعقله ! ! ! قوموا بنا اليه " فلما دخلوا عليه قال أحمد : يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا ؟ قال: يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال : تغفر للقوم جهلهم ، وتمنع جهلك منهم وتبدل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا ، فإذا كنت هكذا سلمت من الدنيا .

وفى سير السلف فى البذاذة (٥) وترك التجمل ما يشهد لذلك ، والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه، واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة فى الحق ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخر هى مخطورة ، فالحزم اجتناب ذلك ، لأن من خاض فى الدنيا لا يسلم منها البتة هنالك ، ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض

---

(١) فى الأصل " أهله " وهو تحريف والصحيح ما أثبته وفقا لرواية الاحياء جـ ١ ، ص ١١٣.

(٢) فى الأصل " لكن " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته وفقا لرواية الأحياء جـ١ ، ص١١٣.

(٣) فى الأصل " ليس " وما أثبته " بالواو " نقلا عن رواية الأحياء جـ ١ ، ص ١١٣.

(٤) فى الأصل " يجهل " والصحيح ما أثبته وفقا لروية الاحياء ، ص ١١٣.

(٥) بذ يبذ بذذا وبذاذة وبذوذة بمعنى : رثت هيئته وساءت حالته . فالبذاذة = رثاثة الهيئة ، وهى ترك مداومة الزينة . انظر : لسان العرب . بذذ وقد وردت الكلمة فى الأصل ( البذارة ) وهو تحريف والصحيح ما أثبته.

فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص (١) المطرز بالعلم (٢) كما في الصحيحين ( ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة ) (٣).

وقد حكى ابن يحيى أن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس (٤) ، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد وآله في الأولين والآخرين. من يحى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن أنس.

أما بعد : فقد بلغني أنك تلبس الدقاق ، وتأكل الرقاق ، ( وتجلس على الوطيء ) (٥) وتجعل على بابك حاجبا ، وقد جلست ( مجلس العلم ) (٦) وقد ضربت إليك المطى ، وارتحل اليك الناس ، واتخذوك إماما ، ورضوا بقولك ، فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع . كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه والسلام.

فكتب اليه مالك : بسم الله الرحمن الرحيم . من مالك بن أنس إلى يحى بن يزيد : سلام الله عليك . أما بعد : فقد وصل إلى كتابك فوقع مني موقع النصيحة في الشفقة والأدب ، أمتعك الله بالتقوى ، وجزاك بالنصيحة

---

(١) في الأصل الخميص وهو تحريف والصحيح ما أثبته وفقا لرواية الاحياء جـ١ ص ١١٤.

(٢) العلم خيط ملون.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة وفقا لرواية الاحياء جـ ١ ،ص ١١٤.

(٤) هو مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري ، أبو عبد الله : إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية من مؤلفاته : الموطأ - وله رسالة في الوعظ . وقد عاش من ( ٩٣ - ١٧٩ هـ = ٧١٢ - ٧٩٥م) الاعلام ٥/٢٥٧.

(٥) في الأصل وتأكل الرقاق على الموطأ والصحيح ما أثبته وفقا للاحياء جـ ١ ، ص ١١٤.

(٦) في الأصل مجلسا للعلم وما يوافق اللغة ما أثبته وفقا لرواية الاحياء ص ١١٤.

خيرا، وأسأل الله التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فأما ما ذكرت لي في أكل الرقاق ولبس الدقاق ، وأحتجب وأجلس على الوطاء ، فنحن نفعل ذلك ، ونستغفر الله تعالى ، وقد قال تعالى : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " (١) وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، ولا تُرِعنا من كتابك فلسنا نُرِعْك من كتابنا (٢) والسلام.

فانظر إلى انصاف مالك مع جلالة مفاسد هنالك بحيث اعترف بأن ترك ذلك خير منه ، وأفتى بأنه مباح ، وقد صدق فيها جميعا.

ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود الله حتى لا يحمله ذلك على المداهنة والمراءاة (٣) والتجاوز إلى المكروهات و أما غيره فلا يقدر عليه ، فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم ، وهو بعيد من الخوف والخشية . وخاصية العلماء الخشية و خاصية الخشية التباعد عن مظان الحظر.

* ومنها أن يكون شيئا مستعصيا ( عن ) (٤) السلاطين ، فلا يدخل عليهم البتة ، مادام يجد إلى الفرار منهم سبيلا ، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة ، وزمامها بأيدي السلاطين والظلمة والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في (طلب) (٥) مرضاتهم

---

(١) سورة الأعراف ، آية (٣٢).

(٢) معنى عبارة " ولا ترعنا من كتابك فلسنا نرعك من كتابنا " معناها ذكرني وأذكرك.

(٣) في الأصل والمرايات وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليوافق السياق.

(٤) في الأصل وعلى وما أثبته يناسب السياق اللغوي وهو يوافق رواية الإحياء جـ١، ص ١١٥.

(٥) ما بين المعكوفين زيادة وفقا لرواية الأحياء جـ ١ ، ص ١١٥ ، وهي تناسب السياق.

واستمالة قلوبهم فى تزيين حالاتهم مع أنهم ظلمة فى حكوماتهم ويجب على كل متدين أن ينكر عليهم ، ويضيق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم ، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه ، أو يسكت على الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم ، أو يتكلف فى كلامه لمرضاتهم وتحسين حالاتهم وذلك هو البهت الصريح ، أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك وهو السحت الفضيح.

* ومنها أن لا يعامل كل منسوب إلى ظلم ، فلا يعامله ، وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه يكون معينا لهم بذلك على الظلم . كذا فى الإحياء.

وحكى عن رجل أنه تولى عمل سور بعمارة ثغر من الثغور قال:فوقع فى نفسى من ذلك الشىء ، وإن كان ذلك العمل من الخيرات ، بل من فرائض الاسلام لكن كان الأمير الذى تولى عن جهته من الظلمة ، قال : فسألت سفيان، فقال: لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير. قلت: هذا سور فى سبيل الله للمسلمين، فقال : نعم ، ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب لقاءهم ليوفوك أجرك ، فتكون قد أحببت لقاء من يعصى الله . وقد جاء عن الحسن: "من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه "(١) وعنه عليه السلام: " إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق "ابن أبى الدنيا وغيره من حديث عائشة.

وقد أدخل سفيان الثورى على المهدى (٢) وبيده درج أبيض فقال : يا

---

(١) ذكره البيهقى فى الشعب . انظر كشف الخفاء للعجلونى جـ ٢ ، ص ٢٤٨.

(٢) المهدى ( ١٢٧ - ١٦٩ هـ = ٧٤٤ - ٧٨٥ م ) هو محمد بن عبد الله المنصور ابن محمد بن على العباسى ، أبو عبد الله ، المهدى بالله : من خلفاء الدولة العباسية فى العراق . ولد بايذج ( من كور الأهواز ) وولى بعد وفاة أبيه وبعهد منه ( سنة ١٥٨ هـ ) وأقام فى الخلافة عشر سنين وشهرا ومات فى ماسبذان ، صريعا عن دابته فى الصيد ، وقيل مسموما. كان محمود السيرة والعهد ، ومحببا إلى الرعية ، حسن الخلق والخلق ، جوادا ، وهو أول من لعب بالصوالجة فى الاسلام . الاعلام ٦/٢٢١.

سفيان أعطني الدواة حتى أكتب مقالا : فقال : أخبرني أى شيء تكتب ، فان كان حقا أعطيتك ، وهو مقتبس من قوله تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان " (١) ومن هذا القبيل أن بعض الأمراء طلب من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم بالكتاب فقال : ناولني الكتاب حتى أنظر مافيه.

* ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا ، بل يكون متوقفا ومتحرزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا ، فإن سئل عما يعلم تحقيقا بنص كتاب ، أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جَلِى أفتى ، وإن سئل عما يشك فيه قال : لا أدرى ، وإن سئل عما يظنه باجتهاد أو تخمين احتاط ورفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان فى غيره غنية . هذا هو الحزم لأن نقل خطر الاجتهاد عظيم.

وقد كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال : اذهب إلى الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه ويقول : تريدون أن تجعلونى جسرا تعبرون عليه إلى جهنم.

وقال ابن مسعود : " إن الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون" وقال : " جنة العالم : لا أدرى ، فان أخطأ فقد أصيبت مقاتلة " وقال صلى الله عليه وسلم : " ما أدرى أعزيز نبى أم لا ؟ وما أدرى أتبع ملعون أم لا؟ وذو القرنين نبى أم لا ؟ رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة.

ولما سئل عليه السلام عن خير البقاع وشرها قال لا أدرى ! ! ! حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال : لا أدرى ! ! ! إلى أن علمه الله تعالى أن المساجد خير البقاع وشرها السوق ، أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصحح اسناده الطبرانى من حديث جبير بن مطعم ولابن حبان والحاكم

(١) سورة المائدة ، آية (٢).

وصححه نحوه من حديث ابن عمر ٠

وكان ابن عمر يسأل عن عشر مسائل ، فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع ، وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويكست عن واحدة٠

وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى ، أكثر من أن يقول أدرى ، منهم سفيان الثورى ومالك وأحمد بن حنبل والفضيل وبشر بن الحارث٠

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى (١) : " أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ورأى (٢) أخاه كفاه ذلك٠

وفى لفظ آخر : " كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها على الآخر ، ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول ٠"٠

ونظيره ما روى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية من الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر وهكذا دار(٣) بينهم حتى رجع إلى الأول٠

وقال بعضهم : كان أسرعهم فتيا ، أقلهم علما ، وآخرهم فعلا لها (٤) أورعهم٠

وكان شغل الصحابة والتابعين خمسة أشياء : قراءة القرآن وعمارة المسجد ، وذكر الله تعالى ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر٠

---

(١) هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ( ٧٤ – ١٤٨ هـ = ٦٩٣ – ٧٦٥م ) قاض فقيه ، من أصحاب الرأى ، ولى القضاء والحكم بالكوفة لبنى أمية ثم لبنى العباسى ، واستمر ٣٣ سنة ٠ له أخبار مع الأمام أبى حنيفة وغيره مات بالكوفة ٠ الأعلام ١٨٩/٦٠

(٢) فى الأصل ( ران ) وهو تحريف والصحيح ما أثبته لينساب السياق٠

(٣) فى الأصل ( درا ) وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى٠

(٤) فى الأصل ( فعالها ) وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم السياق٠

وكان أنس إذا سئل يقول:سلوا مولانا الحسن ،وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول : سلوا جابر بن زيد، وكان ابن عمر يقول :سلوا سعيد ابن المسيب ، وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال : ما عندى إلا ما رويت فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا ( حديثا ) (١) فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه ، فأخذ الصحابى كفا من حصى ورماهم وقال : تسألونى عن هذا العلم وهذا الحبر بين أظهركم.

* ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة وصدق الرجاء في الانكشاف (٢) ، من ذاك المراقبة والمجاهدة، فإن المجاهدة تفضى إلى المشاهدة فى دقائق علوم القلب ويتفجر بها ينابيع الحكمة من فيض الرب.

أما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك ، إذ الحكمة خارجة عن الحصر والعد هنالك ، وإنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله فى الخلوة مع حضور القلب وصفاء الفكرة مع الحق والانقطاع عن الخلق فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف المحكم والاحكام ، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعة بكلمة ، وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب ، فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول أولى الألباب ، قال تعالى : " واتقوا الله ويعلمكم الله " (٣) وقال عليه السلام : " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم " (٤) أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من عندى ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل " انكشاف " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٣) سورة البقرة ، آية (٢٨٢).

(٤) رواه أبو نعيم عن أنس ،أنظر:كشف الخفاء ومزيل الالباس للعجلونى جـ ٢،ص ٢٦٥ ، ولم يشر إلى حكمه– قال الامام الشوكانى فى الفوائد المجموعة ص ٢٨٦ وهو ضعيف.

وفى بعض الكتب السالفة : " يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ؟ ولا فى تخوم الأرض من يصعد به ؟ ولا من وراء البحار ومن يعبر يأتى به ! ! ! العلم مجبول فى قلوبكم ، تأدبوا بين يدى بأداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق الصديقين ، أظهر العلم فى قلوبكم ، حتى نعطيكم ونغمركم ".

وقد ورد : " من أخلص لله أربعين يوما ، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " (١) . أبو نعيم فى الحلية عن أبى أيوب.

* ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين ، فإن اليقين هو رأس مال الدين ، وهو فى التوحيد بأن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ، ولا يلتفت إلى الوسائط ، بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فيزول عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم وينزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع منه ، فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما ، بل يراهما آلتين مسخرتين واسطتين . ومتى تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان ، وكل مخلوق ، فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب ، وأن القدرة الأزلية هى المصدر للكل ، استولى على قلبه التوكل والرضا والتسليم ، وصار بريئا من الغضب والحسد ، وسوء الخلق .

* ومن ذلك الثقة بضمان الله للرزق ، وقطع الطمع والنظر الى الخلق .

* ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

---

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس بمأثور الخطاب جـ ٣ ص ٥٦٤ ح = ٥٧٦٧ ، عن أبى أيوب الأنصارى . قال المناوى : أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، واقتصر العراقى فى تخريج الاحياء على تضعيفه وهو تعقيب لا يسمن ولا يغنى من جوع ، أنظر حاشية مسند الفردوس ٣/٥٦٣.

وثمرة هذا اليقين ، صدق المراقبة ، فى الحركات والسكنات ، والخطرات والمبالغة فى التوقى ، والاحتراز عن كل السيئات ، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد . والتشمير أبلغ.

* ومن ذلك اليقين بأن الله سبحانه مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك ، وخفايا خواطرك وفكرك . وثمرته أن يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع حاله وجلوته كالجالس بمشهد ملك عظيم ينظر إليه ، فإنه لا يزال مطرقا متأدبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب. كما يشير إليه قوله عليه السلام " الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (١) ويكون فى فكرته الباطنة كهوفى فى أفعاله الظاهرة ، أن يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته ، كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغا فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى ، الحافظة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس ، لما ورد إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأحوالكم " (٢) وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والاستكانة والخضوع والوقار ، وجملة من الأخلاق المحمودة للأبرار.

ثم ( ان ) (٣) هذه الأخلاق تورث نوعا من الطاعات وأصنافا من الحالات .

* ومنها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته ، وإدراكه بصفاء قلبه

---

(١) البخارى : الصحيح . ك : الإيمان ، باب ( ٣٨ ) جـ ١ ، ص ١٧ ومسلم . الصحيح ك : الايمان . باب ( ١) جـ ١ ، ص ١٧ ويعرف بحديث جبريل.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه . ك : البر ، باب (٩) جـ٢ ، ص ٢٧٩ ، ك : اللباس باب (١٠) جـ ٢ ، ص١٥٦ .

(٣) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى.

وطهارته لا على المصحف والكتب ، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره ، فإنما المقلَّد صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ، فيما أمر به وقاله ، وإنما تقلد الصحابة ، من حيث أن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إذا قلد صاحب الشرع فى تلقى أقواله وأفعاله ، ينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره وأحواله ، فإنما المقلد يفعل الفعل ، لأن صاحب الشرع فعله ، والنبى عليه السلام لما فعله ، لا بد أن يكون لسر فعله ، فينبغى أن يكون شديد البحث فى أسرار الأعمال والأقوال ، فإنه إن اكتفى بحفظه ما يقال كان ( كمن ) (١) دعا للعلم ولا يكون عالما .

وقال ابن عباس : " ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢) رواه الطبرانى من حديث يرفعه بلفظ يدع بدل يترك .

(وكان ابن عباس قدتعلم ) (٣) من زيد بن ثابت الفقه وقرأه (٤) على أبى بن كعب ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعا .

وقد قال الامام أبو حنيفة : ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلقيناه على الرأس والعين ، وماجاءنا عن الصحابة فنأخذ منه ونترك وما جاءنا من التابعين فهم رجال ونحن رجال . وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرض ، فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد ، بل الكتب والتصانيف محدثة ، لم يكن بشىء منها فى زمن الصحابة

---

(١) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى .

(٢) انظر : حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى . جـ ٣ ، ص٣٠٠ .

(٣) فى الأصل ( وقد كان ابن عباس تعلم ) والأصح ما ذكرناه فهو الأولى ليستقيم المعنى والسياق .

(٤) فى الأصل " وقرأ " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى .

وصدر من التابعين ، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين ، وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين ، وبعد وفاة سعيد بن المسيب ، والحسن وخيار التابعين ، بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث ، وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها ، عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر ، وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ.

ولذا كَرِه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجماعة من الصحابة ، تصحيف القرآن فى مصحف ، وقالوا : كيف نفعل شيئا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخافوا اتكال الناس على المصاحف ، وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين ، والاقراء ، ليكون هذا شغلهم وهمهم ، حتى أشار عمر وبقية من الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم ، وعذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات.

فانشرح صدر أبى بكر لذلك ، فجمع القرآن فى مصحف واحد هنالك.

وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ويقول : لا نبتدع مالم يفعله الصحابة . كذا فى الإحياء . لكن يشكل بأنه صنف المسند ، ولعله بعدما استقرت (١) عليه الآراء.

وقيل أول كتاب صنف فى الاسلام ( كتاب ) (٢) ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة. ثم كتاب : معمر بن راشد الصنعانى (٣) باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة . ثم

---

(١) فى الأصل استقر وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى والسياق.

(٣) هو : معمر بن راشد ابن أبى عمرو الأزدى الحدانى بالولاء ( ٩٥ - ١٥٣ هـ = ٧١٣ - ٧٧٠م) فقيه حافظ للحديث ، متقن ، ثقة من أهل البصرة ، ولد واشتهر فيها وسكن اليمن . أول من صنف باليمن. الأعلام. ٣٧٢/٧.

كتاب الموطأ. بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثورى ، ثم من القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثرة الخوض فى الجدال (و) (١) الخوض فى إبطال المقالات ، ثم مال الناس إليه وإلى القصص ، والوعظ بها، فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان ، فصارت (٢) بعد ذلك تستعزب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان ( وما أعرض ) (٣) عن ذلك الا الأقلون . هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة ، فكيف الظن بزمانك هذا ، وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يُستهدف بالنسبة الى الجنون . فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه ويسكت.

كذا قال الغزالى وهو فى قرن خمسمائة فكيف بزماننا هذا وقد زاد على الألف من الهجرة. (٤)

ولا شك أن البعد عن زمان الحضرة (٥) بمنزلة البعد عن المشعلة ، فان كل من يبعد يقع فى زيادة الظلمة.

ولذا قال عليه السلام : " لا يأتى عليكم عام ولا يوم إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم " أحمد والبخارى (٦)

---

(١) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم المعنى.

(٢) فى الأصل " فصار " وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(٣) فى الأصل " وأعرض " وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه ليناسب السياق.

(٤) تبين الفقرة سنة تأليف الكتاب ومن ثم معرفة عصر مؤلفه. أنظر : ترجمة المؤلف.

(٥) يقصد البعد عن حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم كما نبعد عن المشعل التى تضىء.

(٦) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة أبو عبد الله ، حبر الاسلام والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخارى . نشأ يتيما وقام برحلة طويلة فى طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ وجمع ستمائة ألف حديث اختار منها فى صحيحه =

والنسائى (١) عن أنس.

* ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور ، وأن اتفق عليه الجمهور ولا يغرنه إطباق الجماعة على ما حدث (٢) به الصحابة، وليكن حريصا على التفتيش عن سير السلف وأحوالهم ، وما كان فيه أكثر همتهم من أقوالهم وأفعالهم ، أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية ، وتولى الأوقاف والوصايا ومال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العزة أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن ، واجتناب دقيق الاثم (٣) وجليله ، والحرص على إدارك خفايا شهودات النفس ومكائد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن.

واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق فى العرفان ، أشبههم بالصحابة ، وأعرفهم بطريق السلف الصالحين ، فمنهم من أخذ معرفة الدين بالوجه اليقين.

وكذل قال على : " خيرنا أتبعنا لهذا الدين " لما قيل له خالفت فلانا ، فلا

---

= ماوثق برواته وهو أول من وضع كتابا فى الاسلام على هذا النحو . توفى فى " خرتنك " من قرى سمرقند . وكتابه فى الحديث أحد الكتب الستة المعول عليها . الاعلام ٣٤/٦.

(١) هو : أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائى ( ٢١٥ -٣٠٣هـ = ٨٣٠ -٩١٥م) صاحب السنن ، القاضى الحافظ ، شيخ الاسلام ، أصله من نسا ( بخراسان ) وجال فى البلاد واستوطن مصر فحسده مشايخها فخرج إلى الرملة ( بفلسطين ) فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه فى الجامع وأخرج عليلا ، فمات ودفن ببيت المقدس ، وقيل خرج حاجا فمات بمكة . له : " السنن الكبرى " فى الحديث ، و " المجتبى – ط " وهو السنن الصغرى من الكتب الستة فى الحديث وغير ذلك ، الاعلام ١٧١/١.

(٢) فى الأصل " أحدث " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم السياق .

(٣) فى الأصل " الاسم " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

ينبغى أن تكثرت بمخالفة أهل العصر ، فى موافقة عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ، ولا تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا أنه لا سبيل الى الجنة سواه ٠

وعن ابن مسعود مرفوعا : إنما هنا اثنتان : الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وإياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الآمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة ، ألا لا يطولن عليكم الأمد ، فتقسوا قلوبكم ٠ ألا كل ما هو آت قريب، إلا إن البعيد ليس بآت رواه ابن ماجة باسناد جيد٠

وقال حذيفة : إن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى ، ومنكركم معروف زمان قد أتى ، وإنكم لا تزالون بخير ، ما عرفتم الحق ، وكان العالم فيكم غير مُسْتَخَف به ٠ ولقد صدق ، فأكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة الأبرار٠ إن من إعداد المعروفات تزيين المساجد وترفيعها وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عمارتها ، وفرش البسط الرقيقة فيها ، وقد كان يعد فرش السوارى فى المسجد بدعة ، وقيل إنه من محدثات الحجاج ، فقد كان الأولون قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ٠ ومن ذلك التلحين فى القرآن والآذان ٠ ومن ذلك التقشف فى النظافة ، والوسوسة فى الطهارة ، وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ٠

ولقد صدق ابن مسعود حيث قال : أنتم اليوم فى زمان ، الهوى فيه تابع للعلم ، وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى ٠ ! ! ! وكان أبو سليمان الدارانى يقول : لا ينبغى لمن ألهم شيئا من الخيرات أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر ، فيحمد الله تعالى ، إذ (١) وافق ما فى نفسه ٠

---

(١) فى الأصل ( إذا ) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب المعنى والسياق٠

وقال بعض العلماء : ما تكلف فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه فالكلام فيه تكلف.

وقال بعض العارفين : إنما انقطع الأبدال (١) فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور، لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت ، لأنهم عندهم جهال بالله تعالى ، وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء.

وفى الاحياء قالت الصوفية : العلم حجاب ، وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد ، أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم لموافقتهم (٢) فى المشارب.

وأما العلم الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة ، فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب ، أقول (٣) وقد يقال : العلم حجاب نورانى والجهل حجاب ظلمانى.

ثم أعلم أن عوام القضاة ، أحسن أحوالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العملاء المجتهدين ، لأن الأعمى معترفٌ بتقصيره فيتوب ويستغفر . وهذا الجاهل الظان أنه عالم ، وأن ما هو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا من سلوك طريق الدين ، فلا يتوب ولا يستغفر ، بل لا يزال مستمرا عليه إلى الموت ، فنسأل الله العافية وحسن الخاتمة.

---

(١) الأبدال : حوالى ثلاثين شخصا يتبادلون عملا بالتبادل من باب الحديث " ان الله يبعث على رأس كل قرن ما يجدد به أمر دينه "

(٢) فى الأصل " ( موافقتهم ) وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب السياق.

(٣) المعْنِيُّ هنا : المؤلف.

## سابعا : العقل ووظيفته : (١)

ثم أعلم أن العقل منبع العلم ومُطلقه وسائله(٢) ومداره ، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين . وقد ورد : " يأيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما أمرتم به، ومانهيتم عنه ، واعلموا أنه مجدكم عند ربكم ، واعلموا أن العاقل من أطاع الله ، وان كان ذميم المنظر ، حقير الخطر ، دنىء (٣) المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله ، وإن كان جميل المنظر، عظيم الخطر ، شريف المنزلة ، حسن الهيئة ، فصيحا نطوقا ، فإن القردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه. ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم وإياهم ، فإنهم من الخاسرين . "

رواه دادو بن المحبِّر (٤) أحد الضعفاء فى كتاب العقل ، من حديث أبى هريرة وهو مسند الحارث بن أسامة عن داود ، لما خلق الله تعالى العقل قال له : " أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، ثم قال الله عز وجل : وعزتى وجلالى ماخلقت أكرم على منك ، بك آخذ وبك أعطى ، وبك أثيب ، وبك أعاقب " (٥)

---

(١) هذا العنوان من عند المحقق ، ليناسب المقام ، حيث أن ماورد تحته من معلومات يتناسب مع هذا العنوان.

(٢) فى الأصل " وأسائله" وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب السياق.

(٣) فى الأصل " فى " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليناسب المعنى.

(٤) هو : داود بن المُحَبَّر بن قَحْذَم بن سليمان بن ذكوان الطائى ، أبو سليمان ( ... - ٢٠٦ هـ = ... - ٨٢١ م) من رجال الحديث . له فيه كتاب " العقل " واختلف العلماء فى توثيقه ، وأكثرهم على أنه ضعيف ، يروى عن كل أحد .وهو من أهل البصرة ، سكن بغداد وتوفى بها ، الاعلام ٢/٣٣٤.

(٥) قال الزركشي : كذب موضوع باتفاق . انظر : كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للشيخ : اسماعيل بن محمد العجلونى ، جـ ٢ ، ص١٤٨.

رواه عبد الله بن الامام أحمد فى زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسلا بسند جيد . فزعم ابن تيمية والزركشى أنه باتفاق أهل العلم كذب وموضوع مردود ومدفوع.

وعن أنس قال : " أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا " فقال عليه السلام : " كيف عقل الرجل ؟ " فقالوا : "نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير ، وتسألنا عن عقله " فقال : " إن الأحمق يصيب لحمقة أكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات زلفى من ربهم على قدر عقولهم ".

ابن المُحَبَّر بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصرا .

وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما اكتسب رجل مثل فضله عقل يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ، وماتم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله " (١) ابن المُحَبَّر فى العقل ، وعنه الحارث بن أبى أسامة . وقال صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ، ولا يتم للرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله ، فعند ذلك تم له ايمانه ، وأطاع ربه وعصى دعوه ابليس " (٢) ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب(٣) عن أبيه عن جده.والحديث عند الترمذى مختصر دون قوله ولا يتم من حديث عائشة . وصححه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكل شىء دعامة

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن عمر رضى الله عنه ، وأشار السيوطى فى الجامع الصغير من حديث البشير النذير . جـ٢ ، صح ٤١٨ = " ٧٨٣ " أشار الى ضعفه.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ، عن أبى أمامه رضى الله عنه . انظر : السيوطى الجامع الصغير ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ وأشار رحمه الله الى ضعفه.

(٣) هو : عمرو بن شعيب بن محمد السهمى القرشى ( ... - ١١٨ هـ = ... - ٧٣٦ هـ ) من رجال الحديث . سكن مكة وتوفى بالطائف . الأعلام للزركلى ٧٩/٥.

ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار : " وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير " (١) ابن حجر (٢) وعنه الحارث.

وعن أبى هريرة قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد ، سمع الناس يقولون : ": كان فلان أشجع من فلان ، وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما هذا فلا علم لكم به " قالوا : " وكيف ذلك يا رسول الله ؟ " فقال : " إنهم قاتلوا عل قدر ما قسم لهم من العقل ، وكانت (٣) نصرتهم نيتهم على قدر عقولهم؟ فأصيب منهم من أصيب ، على منازل شتى ، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على نياتهم وقدر عقولهم " ابن المحبر .

وعن البراء بن عازب (٤) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله تعالى بالعقل ، وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم ، فأعلمهم بطاعة الله أوفرهم عقلاً " ابن المحبّر وعنه الحارث فى مسنده ، ورواه البغوى فى معجم الصحابة من حديث أبى عازب ، رجل من الصحابة غير البراء ، وهو بالسند الذى رواه ابن المحبر.

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : " قلت يا رسول الله بأى شيء يتفاضل الناس فى الدنيا ؟ " فقال : " بالعقل " قلت :" ففى الآخرة "

---

(١) سورة الملك ، آية (١٠).

(٢) هو ابن حجر العسقلانى صاحب " شرح البارى".

(٣) فى الأصل " وكان " وهو تصحيف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى والسياق.

(٤) هو : البراء بن عازب بن الحارث الخزرجى أبو عمارة ٠٠٠ - ٧١ هـ = ٠٠٠ - ٦٩٠م) قائد صحابى من أصحاب الفتوح أسلم صغيرا وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس وعشر غزوة أولها غزوة الخندق . روى له البخارى ومسلم ٣٠٥ من الأحاديث . الاعلام ٢/٤٦ -٤٧.

(قال ) (١) " بالعقل " قلت : " أليس إنما يجزون بأعمالهم ؟ " فقال : " وهل عملوا الا بقدر ما أعطاهم الله من العقل ! ! ! فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يجزون " ابن المحبر والترمذى والحكيم فى النوادر ونحوه .

وقال عليه السلام :" أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظرا وكان أقلكم تطوعاً " ابن المحبر من حديث أبى قتادة (٢) ثم أعلم أن العقل (٣) : هو الوصف الذى يتميز به الانسان عن سائر الحيوان، وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية ، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وكماله : أن تنتهى قوة تلك الغريزة ، إلى أن يعرف عواقب الأمور وآخرها.

ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقسرها ، وهى القصوى والدرجة العليا.

وعن على رضى الله تعالى عنه (٤)

رأيت العقل عقلين *** فمطبوع ومسموع

ولاينفع مسموع إذا *** لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس*** وضوء العين ممنوع

---

(١) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقيم السياق والمعنى.

(٢) هو : الحارث ( أو النعمان ، أو عمرو ) ابن ربعى الأنصارى الخزرجى السلمى ، أبو قتادة : صحابى : من الأبطال الولاة اشتهر بكنيته ، وكان يقال له " فارس رسول الله " وفى حديث أخرجه مسلم : " خير فرساننا أبو قتادة " شهد الوقائع مع النبى صلى الله عليه وسلم ابتداء من وقعة أحد ومات بالمدنية . الأعلام ٢/١٥٤.

(٣) من آراء المؤلف حول مفهوم : " العقل ".

(٤) فى الأصل " وعن على رضى الله عنه ما رأيت " والصحيح حذف ( ما ) النافية ليستقيم المعنى.

وقد ورد : " وما خلق الله خلقا هو أكرم عليه من العقل " الترمذى (١) والحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن جده من الصحابة.

وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث على : " إذا اكتسب الناس من أنواع البر يتقربون (٢) بها إلى ربنا عز وجل ، فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة " واسناده ضعيف . وقال عليه السلام لأبى الدرداء (٣) : " إذا أزددت عقلا أزددت من ربنا قربا " فقال : " بأبى أنت وأمى فكيف لى بذلك ؟ " فقال :" اجتنب محارم الله ، وأد فرائض الله ، تكن عاقلا، واعمل بالصالحات من الأعمال ، تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك قربة وعزة " ابن المحبر ، ومن طريقه الحارث بن أسامه ، والترمذى والحكيم فى النوادر . وقال ابن المسيب : إن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : " يا رسول الله من أعلم الناس ؟ " فقال : " العاقل " " قالوا : " من أعبد الناس ؟ " فقال : "العاقل " قالوا : " فمن أفضل الناس ؟ " قال :" العاقل " قالوا : " أليس

---

(١) هو محمد بن عيسى بن موسى السلمى البوغى الترمذى أبو عيسى من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ ، تتلمذ للبخارى وشاركه فى بعض شيوخه وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز ، وعمى فى آخر عمره ، وكان يضرب به المثل فى الحفظ مات بترمذ . من تصانيفه " الجامع الكبير – ط " باسم صحيح الترمذى فى الحديث مجلدان ، و" الشمائل النبوية – ط " و" التاريخ " و" العلل " فى الحديث . الأعلام ٣٢٢/٦.

(٢) فى الأصل " يتقربوا " وهو خطأ نحوى ، فالصحيح ما أثبته.

(٣) هو : " عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى ، أبو الدرداء ، صحابى ، من الحكماء الفرسان القضاة . كان قبل البعثة تاجرا فى المدينة ، ثم انقطع للعبادة ، ولما ظهر الاسلام اشتهر بالشجاعة والنسك وفى الحديث : " عويمر حليم أمتى " و" نعم الفارس عويمر " وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها . ابن الجزرى : " كان من العلماء الحكماء " وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بلا خلاف. الأعلام ٩٨/٥.

العاقل من تمت مروءته ، وظهرت فصاحته ، وجادت كفه ، وعظمت منزلته ؟ " فقال : " وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمقتين " (١) إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيا " ابن المحبر .

وفى حديث آخر : " إن العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته " ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة . ثم التفاوت فى العقل الذى هو الغريزة فلا سبيل إلى جحده ، فإنه مثل نور يشرق على النفس ، ويطلع صحبه ومبادىء إشراقه عند شمس التمييز . ثم لا يزال ينمو ( ويأخذ فى ) (٢) التدريج إلى أن يتكامل بقرب أربعين سنة . ومثاله نور الصبح ، فان أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه ، ثم يتدرج إلى الزيادة (إلى ) (٣) أن يكمل بطلوع قطر الشمس . وتفاوت نور البصيرة ، كتفاوت نور البصر ، والفرق بين مدرك الأعمش وبين مدرك الحاد البصر ، بل سنة الله جارية فى جميع خلقه بالتدريج ، حتى أن غريزة الشهوة لا تركب فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة ، بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج ، فكذلك جميع القوى والصفات . ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة ، كان متخلفا عن رتبة العقل الغريزى .(٤)

ومن ظن أن عقل النبى صلى الله عليه وسلم مثل عقل أحد من السوادية وأجلاف البادية ، فهو أخس فى نفسه من أحد السوادية.

وكيف ينكر تفاوت الغريزة ، ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم ، وإلى ذكى

---

(١) سورة الزخرف ، آية (٣٥).

(٢) فى الأصل " وارغو اخفى " وهو تصحيف واضح والصحيح ما اثبته ليستقيم المعنى

(٣) ما بين المعكوفين من عند المحقق ليستقم المعنى.

(٤) فى الأصل " الغريزة " والصحيح ما أثبته لتستقيم العبارة.

يفهم بأدنى رمز وإشارة في عبارة ، وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور دون التعليم ، " يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار " (١) وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام ، إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ، ويعبر عن ذلك بالالهام . وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : " إن روح القدس نفث في روعي ، أحبب من أحببت فإنك مفارقه، وعش ماشئت فإنك ميت ، واعمل ماشئت فإنك مجزى به " الشيرازى في ألقاب من حديث سهل بن سعد والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف.

ومما يدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله ابن سلام(٢) سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظيم للعرش ، وأن الملائكة قالت : " يا ربنا هل خلقت خلقا أعظم من العرش؟ " قال : " نعم ، العقل " قالت (٣) : " وما بُلغ من قدره ؟ " قال : " هيهات لا يحاط بعلمه ، هل لكم علم بعدد الرمل ؟ " قالوا : " لا " قال الله تعالى : " فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل ، فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ، ومنهم من أعطى الثلاث ومنهم أعطى الأربع ، ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعى وسقا ، ومنهم من أعطى أكثر من ذلك " ابن المحبر من حديث أنس بتمامه ، والترمذى الحكيم مختصرا في نوادره . ثم كل أحد من العقلاء يصرف عقله في شيء من الأشياء ،

---

(١) سورة النور . جزء من الآية رقم (٣٥).

(٢) هو : عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي أبو يوسف ، صحابي أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وكان اسمه " الحصين " فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم " عبد الله " وفيه الآية " وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله " أقام بالمدينة حتى مات . الاعلام ٤/٩٠.

(٣) في الأصل قال وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

ويصير فى ذلك الفن من النبلاء وغيره فيه من الجهلاء.

وإذا أردت أن تفرق بين العلم والعقل ، فاعلم أن أحدا من السلاطين سلَّم ولدا له إلى أحد من الرمالين ، ليتعلم علم الرمل على وجه التخمين ، فاجتهد الرمال فى تعليم الولد مدة من زمن الاستقبال ، إلى أن صار من جهة العلم فى غاية من الكمال ، فأتى به إلى السلطان وقال : " ماكان فى وسعى من العلم فعلمته فى غايته ، لكن ليس لى علاجٌ فى قلة عقله وعدم فطانته " فقال له : " كيف هذا ؟ " فقال : " يخفى السلطان فى يده شيئا ويجربه "

" فأخذ خاتمه فى كفه " وقال له : " ارم الرمل ؟ " فرماه ، وقال : شىء معدنى " ورماه ثانيا : فقال : " مدرور " ورماه ثالثا فقال : " مجوف " فقيل له: " فماذا يكون ؟ " قال : " رحى " فلو كان فيه عقل يعرف أن لا يتصور وجود رحى فى كف أولى النهى ٠ ومن هنا قال تعالى : " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " ٠(١)

ونظيره أنه قال أبو يوسف يوما فى حد الصوم : " انه الامساك من طلوع الصبح إلى غروب الشمس " فقال له قائل : " وإذا لم تغرب الشمس؟" قال : " متى للقيوم الواحد (٢)؟ وقد ورد : ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلا ولا تعصه فتسمى جاهلا" رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة وأبى سعيد(٣)، وقال عز وجل " ولكن أكثرهم لا يعقلون "

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٤٣)٠

(٢) متى للقيوم الواحد ٠ معناها : " أن الشمس لا بد أن تغرب ، لأن هذا سنة الله القيوم الواحد فى الكون "

(٣) هو : سعد بن مالك بن سنان الخدرى الأنصارى الخزرجي أبو سعيد ٠ (١٠ ق هـ - ٧٤ هـ = ٦١٣ -٦٩٣ م) وهو صحابى ، وكان من ملازمى النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه أحاديث كثيرة ٠ غزا اثنى عشرة غزوة وله ١١٧٠ حديثا ٠ توفى فى المدينة ، الأعلام ٣/٨٧٠ وصفة الصفوة ٢٩٩/١٠

ومجمل الكلام أن العقل يسمى به لعقله ، ومنعه صاحبه عمالا يليق به ، كما يسمى نهى ، لنهيه عن الفحشاء والمنكر ونحوه . والحاصل أن العقل لا ينفع بدون النقل والنقل ( لا ينفع ) (١) بدون العقل . وهذا نهاية التحقيق والله ولي التوفيق.

وقد وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب ، من يد العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى ، عبد الله بن مصطفى أفندى غفر الله له ، ولوالديه ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين ، من تاريخ شهر (٢) ذى الحجة الشريفة من سنة تسع عشر ومائة وألف على يد كاتبه الفقير إلى الله تعالى عيسى محمد عفى عنه آمين .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

(١) مابين المعكوفين زيادة من المحقق لتستقيم العبارة.

(٢) فى الأصل " شهور " وهو تحريف والصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

## فهرس الآيات

سورة الكهف :

| | |
|---|---|
| * " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه " . | ٢٨ |

سورة طه :

| | |
|---|---|
| * " وقل رب زدنى علما " . | ١١٤ |
| * " ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى " . | ١٣١ |

سورة النور :

| | |
|---|---|
| * " يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ". | ٣٥ |

سورة العنكبوت :

| | |
|---|---|
| * " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ". | ٤٣ |

سورة لقمان :

| | |
|---|---|
| * " إن الشرك لظلم عظيم ". | ١٣ |

سورة الأحزاب :

| | |
|---|---|
| * " ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ". | ٤ |

سورة الزخرف :

| | |
|---|---|
| * " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدينا والآخرة عند ربك للمتقين ". | ٣٥ |

سورة الذاريات :

| | |
|---|---|
| * " ففروا الى الله ". | ٥٠ |

سورة الصف :

| | |
|---|---|
| * " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ". | ٢ |

## فهرس الأحاديث الشريفة

عبادى ، ياداود إذا رأيت ( لى ) طالبا فكن له خادما ٠ يا داود من رد الى هاربا كتبته جهبذا ( ومن كتبته جهبذا ) لم أعذبه أبدا"٠ ١٦٤

* " إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق "٠ ١٧٣

* "الاحسان أن تبعد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"٠ ١٧٨

* " إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأحوالكم " ٠ ١٧٨

* " إنما هنا اثنتان : الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وأياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة ، ألا لا يطولن عليكم الأمد ،فتقسوا قلوبكم ٠ ألا كل ما هو آت قريب ، ألا إن البعيد ليس بآت "٠ ١٨٣

* " أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا " فقال عليه السلام : " كيف عقل الرجل ؟ " فقالوا : "نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير ، وتسألنا عن عقله " فقال : " إن الأحمق يصيب أكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات زلفى من ربهم على قدر عقولهم "٠ ١٨٦

* " ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ، ولا يتم للرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله ، فعند ذلك تم له إيمانه ٠ وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس "٠ ١٨٦

* " أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظرا وكان أقلكم تطوعا "٠ ١٨٨

* " إذا اكتسب الناس من أنواع البر يتقربون بها الى ربنا عز

وجل فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة ". ١٨٩

* " إذا ازددت عقلا ازددت من ربك قربا فقال بأبى أنت وأمى ...
" ١٨٩

* "إن روح القدس نفث فى روعى ، أحبب من أحببت فإنك مفارقه ، وعش ما شئت فانك ميت وأعمل ماشئت فإنك مجزى به ". ١٩١

* " ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلا ولا تعصه فتسمى جاهلا ". ١٩٢

* " ( حرف الباء ) :

* " بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء فقيل من الغرباء ؟ فقال : الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى ، والذين يحيون ما أوتوه من سنتى ". ١٥٢

* " بأى شىء يتفاضل الناس فى الدنيا ؟ فقال : " بالعقل " قلت " ففى الآخرة ( قال ) : " بالعقل " قلت : " أليس إنما يجزون بأعمالهم ؟ " فقال : " وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل ! ! ! فبقدر ما أعطوه من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون " . ١٨٨

* ( حرف التاء ) :

* " تعوذوا بالله من جب الحزن ، قيل يا رسول الله وما جب الحزن ؟ أو وادى الحزن ؟ قال : " فى جهنم تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة ، أعده الله تعالى للقراء المرائين وإن من شر القراء من يزور الأمراء ". ١٢٦

( حرف الجيم ) :

* " جف القلم على علم الله ". ١٣٩

* " جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله تعالى بالعقل ، وجد

واديها هلك". ١٢٦

* " من أحب آخرته أضر بدنياه ، ومن أحب دنياه أضر بآخرته ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، واعلم أن أقل العلم والعرفان بل أدنى الاسلام والايمان أن يؤمن بأن الدنيا فانية والآخرة باقية . ونتيجة هذا العلم وثمرته أن يختار الباقى على الفانى ، بل لو كان الباقى خزفا والفانى ذهبا لكان العاقل اختار ما يبقى على ما يفنى ، فكيف والآخرة ذهب باق ، والدنيا خزف فان ". ١٢٦

* " من طلب العلم لله لم يصب منه بابا إلا ازداد فى نفسه ذلا وفى الناس تواضعا ولله خوفا وفى الدين اجتهادا ، فذلك الذى ينتفع بالعلم فليتعلمه ، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والخطوة عند السلطان لم يصب منه بابا إلا ازداد فى نفسه عظمة وعلى الناس استطالة وبالله اغترارا وفى الدين جفاء ، فذلك الذى لا ينتفع بالعلم فليتمسك وليكف عن الحجة على نفسه والندامة والخزى يوم القيامة". ١٢٤

**( حرف النون ) :**

* " نعم الأمير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير ". ١٢٠

**( حرف الواو ) :**

* " ويل لأمتى من علماء السوء يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم ربحا لأنفسهم لا أربح الله تجارتهم". ١٢٣

* " وما خلق الله خلقا هو أكرم عليه من العقل ". ١٨٩

**( حرف الياء )**

* " يأتى على الناس زمان علماؤها فتنة وحكماؤها فتنة تكثر المساجد والقراء ، لا يجدون عالما إلا الرجل بعد الرجل". ١١٩

* " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار بالرحا ، فيطوف به أهل النار فيقولون : مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه". ١٦٠

* " يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما أمرتم به ، وما نهيتم عنه ، واعلموا أنه مجدكم عند ربكم ، واعلموا أن العاقل من أطاع الله ، وإن كان ذميم المنظر ، حقير الخطر ، دنىء المنزلة رث الهيئة وأن الجاهل من عصى الله ، وإن كان جميل المنظر ، عظيم الحظر ، شريف المنزلة ، حسن الهيئة ، فصيحا نطوقا فإن القردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه . ولا تغتروا بتعظيم أهل الدينا إياكم ، فإنهم من الخاسرين ". ١٨٥

* " يا ربنا هل خلقت خلقا أعظم من العرش ؟ قال : " نعم العقل " قالت " : وما بلغ من قدره ؟ " قال : " هيهات لا يحاط بعلمه ، هل لكم علم بعدد الرمل ؟ " قالوا : " لا " قال الله تعالى : " فإنى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل ، فمن الناس من أعطى حبه ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث ، ومنهم من أعطى الأربع ، ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ، ومنهم من أعطى أكثر من ذلك ". ١٩١

* " يا رسول الله من أعلم الناس ؟ قال : " العاقل " قالوا : " من أعبد الناس ؟ فقال : " العاقل " قالوا : " فمن أفضل الناس ؟ " قال العاقل " قالوا : " أليس العاقل من تمت مروءته ، وظهرت فصاحته ، وجادت كفه ، وعظمت منزلته ؟ " فقال : " وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين " " إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيا ". ١٨٩

## فهرس الأعلام

الأعلام

( حرف الألف ):

## فهرس الأنبياء والرسل



## فهرس الأماكن والبلدان

## فهرس الشعر

## فهرس الآثار

## فهرس المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

* القرآن الكريم.

* ( ابن حنبل ) أحمد الشيبانى . المسند . دار الفكر . المكتب الاسلامى للطباعة والنشر . لبنان .بيروت . د.ت.

* ( أبو حامد الغزالى ) محمد بن محمد بن محمد الغزالى . إحياء علوم الدين . دار الشعب . القاهرة . د.ت.

* أبو نصر الديلمى ، مسند الفردوس .

* ( أبو نعيم ) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لبنان . بيروت دار الكتاب العربى . ط٢ . ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م

* أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى . كتاب العقد الفريد . دار الكتاب العربى . بيروت . لبنان . ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

* ( البخارى ) محمد بن اسماعيل ، صحيح البخارى.

* ( الترمذى ) محمد بن عيسى بن سورة . الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض . دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان . د.ت.

* ( الزركلى ) خير الدين . الأعلام . دار العلم للملايين . بيروت، لبنان ط ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

* ( السخاوى ) محمد بن عبد الرحمن . المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة . تحقيق محمد عثمان الخشت . لبنان بيروت ، دار الكتاب العربى . ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

* اسماعيل بن محمد العجلونى . كشف الخفاء ومزيل الالباس . طبعة مكتبة القدسى ، ١٣٥٢هـ.
* ( السيوطى ) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ، الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير.
* ( المناو ى ) محمد بن عبد الرءوف . فيض القدير شرح الجامع الصغير لبنان - بيروت . دار المعرفة ط ٢ ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م.
* ( النووى ) يحى بن شرف الدين . صحيح مسلم بشرح النووى . لبنان - بيروت دار الفكر . د.ت.
* شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى معجم البلدان . المجلد الخامس ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٧م.
* على بن سلطان محمد القارى . الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول . دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

**ثانيا : رسائل علمية :**

* عبد الله على الملا : كتاب رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود . للامام الفقيه المحدث الملا على بن سلطان محمد القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ، دراسة وتحقيق ، سالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى . مكرة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم العقيدة ١٤٠٩هـ.

**ثالثا : كتب محققة :**

* أحمد عبد الرازق الكبيسى ، فصول مهمة فى حصول المتمة . للامام العلامة على بن سلطان محمد القارى المكى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ تحقيق مطابع الصفا بمكة المكرمة ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

رابعا : المراجع :

* ابراهيم عصمت مطاوع . أصول التربية . دار المعارف . ط ٣ ، القاهرة ١٩٨٣م.

* سعيد اسماعيل على ، أصول التربية الإسلامية . دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

* سعيد حوى ، فصول فى الإمرة والأمير . دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٣م.

* عاصم أحمد أبو عجيلة ، الحرية الفكرية وترشيد العقل الإسلامى ، القاهرة مطبعة نهضة مصر ، ١٩٨٤م.

* عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها . مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع ، القاهرة . ط٢ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

* على ابراهيم حسن ، النظم الإسلامية . مكتبة النهضة المصرية ، ط٤ ، ١٩٧٠م.

* عمر شريف ،ظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

* محمد يوسف موسى ، نظام الحكم فى الاسلام ، دار الكتاب العربى ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٢م.

* يوسف القرضاوى ، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، كتاب الأمة ، العدد (٢) شوال ١٤٠٢ هـ.

صدر من هذه السلسلة

١- الإصلاح التربوى فى العالم الثالث

د. حسن البيلاوى

٢- التعليم وتحديث الانسان العربى

د. السيد سلامة الخميسى

٣- الأمن التربوى العربى

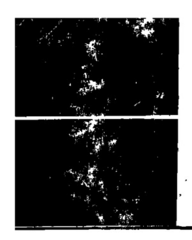
أ.د. سعيد اسماعيل على

٤- العائد الاقتصادى المتوقع من التعليم الجامعى

د. اسماعيل محمد دياب

١٩٩٠/٩٠٢٢





# هـذا الـكـتـاب



يُعد هذا الكتاب برهانا واضحا على أن العلاقة بين رجل (الفكر) ورجل (السلطة) ليست هى قضية اليوم فقط وإنما كانت كذلك قضية هامة من قضايا الأمس

فإذا كان المثقفون يمثلون – أو هكذا يجب – ضمير الأمة فإن هذا يعنى ألا يندمجوا فى السلطة ، تماما كما هو الأمر بالنسبة للسلطات الثلاث عندما نشهد حرصا على ألا تندمج السلطة التشريعية مع السلطة التنفيذية بإعتبار الأولى رقيبة على الثانية.

وإنه لأمر يبعث على الفخر حقا أن يتنبه واحد من قدامى الفقهاء الإسلاميين (المقرى) إلى أهمية أن يحافظ رجال الفكر على مكانتهم ومواقعهم، فلا يستذلون أنفسهم بالوقوف على أبواب السلطان حتى لا يستخدمهم فى تبرير ما يعمل ويصرف أهتماماتهم عن نقض الأوضاع القائمة والدفاع عن جماهير الناس وحراسة العقيدة من عبث العابثين.